

①

بسم الله الرحمن الرحيم

استقرت المناقشة عند اقتناع اللجنة بالرسالة
وأنه لا توجد ملاحظات جوهرية تطالب اللجنة
الطالب بتغييرها

مكة المكرمة
جامعة أم القري
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التأخية والمضاربة

رئيس اللجنة
أ.م.ع. ١٤٠٥/١/٢١
أ.م.ع. ١٤٠٥/١/٢١
أ.م.ع. ١٤٠٥/١/٢١



رسالة ترقية لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

١٨٤ - ٢٩٦ هـ
٨٠٠ - ٩٠٨ هـ

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي



إعداد
فوزية محمد عبد الحميد فوزي

إشراف

الدكتور أحمد السيد راجي

٢٩٨٢ هـ

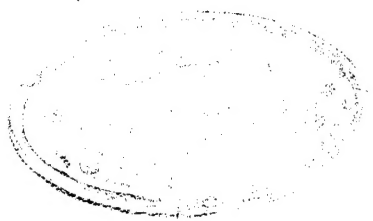
٩٦٤



١٤٠٤ - ١٤٠٥ هـ
١٩٨٤ - ١٩٨٥ هـ

فوزية محمد عبد الحميد فوزي

١٤٠٥ - ٨ - ٢١



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

شَكَرٌ وَقَدِيرٌ
بِسْمِ اللَّهِ

الحمد لله وقدر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمدًا كثيرًا .
 إنه ليس في كثير من أن أقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل
 الدكتور أحمد السيد راج - أمد الله بالصحة والعافية -
 الذي كان له الشرف الكبير أن يكون مشرفاً على رسالتي
 هذه ، إذ لم يخل عليّ بالإرشاد والتوجيه المستمر ، كما
 أعطاني الكثير من وقته الثمين . وكان لإرشاده
 ونقده خير معين لي على إنهاء هذه الرسالة على الوجه
 الذي فرحت به ، فله مني كل آيات الشكر والتقدير
 والعرفان .

كما ليس في أن أقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني
 في إخراج هذه الرسالة بالصورة التي هي عليها ،
 والله ولي التوفيق

الطالبة
 فوزية محمد نوح

مكة المكرمة

في / / ١٤٠٥ هـ

لَقَدْ رَمَى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونشكره على نعمه الكثيرة التي أنعمها علينا . ونستغفره ونستهديه فهو الهادي الى سواء السبيل . نصلى ونسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، النبي الأمي ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فان البحرية الاسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة تعتبر من الموضوعات الهامة الجديدة بالبحث . لما كان لبحرية الأغالبة من دور كبير في فتح جزر الحوضين الأوسط والغربي للبحر الأبيض المتوسط وجنوب إيطاليا . وماتبع ذلك من بسط السيادة الاسلامية على هذه الجهات ونشـر الاسلام بها ، بل ان بحرية الأغالبة بعد نجاحها في غزو هذه المناطق وفتحها مالبثت أن ورثت البحرية البيزنطية في السيطرة على الحوض الأوسط للبحر الأبيض المتوسط ، كما ورثت البحرية البيزنطية التجارية النشاط التجاري البحري بين حوضي البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي .

هذا ولم تكن هذه الدراسة بالأمر اليسير ، ذلك أن مصادر التاريخ الاسلامي العامة ، ومصادر تاريخ المغرب بصفة خاصة لم تقدم لنا الا اشارات بسيطة وموجزة عن بحرية الأغالبة ، وذلك في سياق حديثها عن فتوحات الأغالبة لجزيرة صقلية وماجاورها من جزر الحوض الأوسط للبحر الأبيض المتوسط ولجنوب إيطاليا . بل ان حديثها عن هذه الفتوحات - التي استمرت قرابة قرن من الزمان والتي برز دور بحرية الأغالبة فيها - اتسم في كثير من الأحيان بالايجاز ، بل وأحيانا أخرى بالتناقض مع بعضها البعض .

كما أن المراجع العربية والمعربة تركزت دراساتها عن البحرية الاسلامية في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، وعن البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس بصفة عامة . بل إن تلك المراجع التي

تحدثت عن البحرية الاسلامية في بلاد المغرب والأندلس لم تعط لموضوع بحرية الأغالبة ودورها ما تستحقه من البحث . هذا بالإضافة الى أن الدراسات الحديثة التي تناولت تاريخ الأغالبة عالجت بصفة موجزة فتوحات الأغالبة لجزيرة صقلية وماجاورها من جزر الحوض الأوسط للبحر الأبيض المتوسط ولجنوب ايطاليا .

ومن ثم يتضح لنا أهمية موضوع البحرية الاسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة واختيارى له كرسالة أتقدم بها لنيل درجة الماجستير فى التاريخ الاسلامي من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى وأرجو من خلال هذا البحث - أن أكون قد وفقت في ابراز هذه الواجهة المشرقة من تاريخ دولة الأغالبة التي قامت بفضل اهتمامها بالبحرية بدور رئيسى في الجهاد الاسلامي في الحوض الأوسط للبحر الأبيض المتوسط وفي جنوب ايطاليا ورفعت راية الاسلام خفاقة في هذه المناطق لفترة زمنية طويلة .

والبحث يتكون من مقدمة وأربعة فصول ثم خاتمة أبين فيها أهم ماتوصل اليه البحث من نتائج ومعلومات عن بحرية الاغالبة (١٨٤ هـ - ٢٩٦ هـ ٨٠٠ م - ٩٠٨ م) .

ففي المقدمة : تحدثت عن أهمية الموضوع الذى أنا بصدد بحثه بينت فيها سبب اختيارى له ، ثم استعرضت خطة البحث مع تلخيص بسيط لكل فقرة من فقراتها .

وبعد ذلك تحدثت عن أهم المصادر والمراجع التى رجعت لها والتي استخرجت منها اكثر المادة العلمية لهذا الموضوع .

وفي الفصل الأول : تحدثت عن تاريخ البحرية في المغرب قبل ظهور دولة الأغالبة . وتناولت فيه الأسباب التى أدت بالقائد العظيم حسان ابن النعمان الى بناء دار الصناعة في تونس ، مع بيان تفاصيل انشاء

هذه الدار منذ أن كانت فكرة حتى أصبحت أول دار لصناعة السفن بأفريقية والتي بينت فيها أول قوة بحرية اسلامية في افريقية يدافع بها المسلمون عن شواطئهم ضد غارات الروم دون الحاجة الى البحرية الاسلامية في شروق البحر الابيض المتوسط . ثم انتقلت للحديث عن فترة دفاع المسلمين عن شواطئ افريقية منذ ولاية موسى بن نصير الى ولاية آخر وال من ولاية افريقية من قبل الخلافة الأموية والعباسية . وفي الفترة الاخيرة من عصر ولاية الأمويين والعباسيين في افريقية اتسم نشاطهم البحري في الدفاع عن شواطئ افريقية بالخمول واقتصروا الأمر في هذا الصدد على المحارس والأربطة التي كانت مقامة على شواطئ افريقية للدفاع عنها الى أن جاء العهد الأغلب الذي سيجعل للبحرية الاسلامية في بلاد المغرب الأهمية التي تجعل دولة عظمى كالدولة البيزنطية تخشاهما وتخاف منها .

أما الفصل الثاني : فقد خصصته لأبين فيه مدى اهتمام ولاية الأغلبية بالبحرية . وبدأت حديثي في هذا الفصل عن مدى توفر المواد اللازمة لنشاء دور الصناعة ، مع اعطاء امثلة لبعض المدن التي تتوفر فيها هذه المواد .

ثم تحدثت عن دور الصناعة في دولة الاغلبية ، فقد اضاف الأغلبية الى دار صناعة مدينة تونس ثلاث دور للصناعة ، وهي دار صناعة مدينة سوسة ، ودار صناعة مدينة طرابلس ، ودار صناعة مدينة مسينا في صقلية ، بالاضافة الى دار صناعة جزيرة مالطة ، واخيرا دار صناعة جزيرة قوصره .

وبعد ذلك انتقلت الى الحديث عن التحصينات البحرية الدفاعية التي قام بها الأغلبية للساحل الافريقي ، والتي تتمثل في المحارس والأربطة وتحصينات أسوار المدن البحرية الهامة التي قام بها ولاية افريقية ثم أمراء الاغلبية . فتحدثت أولا عن معنى كلمة (رباط) بمناسبة بناء الوالي هرثمه بن أعين لرباط المنستير في سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م وبينت فائده ووظائفه بالنسبة لسكان افريقية . وبعد ذلك انتقلت لتعداد منشآت الأغلبية فتحدثت عن رباط سوسة وعن تدعيمهم لرباط المنستير ، وعن سور سوسة وسور سفاقس . وأخيرا تحدثت عن مدى اهتمام أمراء الأغلبية بأقامة المحارس والأربطة على طول الساحل الافريقي .

وفي الفقرة الرابعة من هذا الفصل تحدثت عن القواعد البحرية والمراسى في دولة الأغلبية . وفي البداية ذكرت أهمية الساحل التونسي لسكانه وما يفرضه عليهم من حياة بحرية ، وبينت مدى طول هذا الساحل وعدد المراسى التي يحتويها شاطئه .

ثم تحدثت في الفقرة الأخيرة من هذا الفصل عن حجم وقوة البحرية الأغلبية ، وذلك من واقع ما نستطيع أن نستخلصه من بعض النصوص التاريخية التي أشارت في بعض الغزوات البحرية التي قام بها الأغلبية عن عدد السفن التي اشتركت في كل غزوة من هذه الغزوات وقد أتبعنا ذلك بما أستطعت استخراجها من المصادر التاريخية المعاصرة التي روت لنا هذه الغزوات البحرية للأغلبية وفتوحاتهم في جزر الحوض الأوسط للبحر الأبيض المتوسط وفي جنوب إيطاليا عن أنواع السفن التي كانت تتكون منها البحرية الأغلبية ، وهي الشوانى ، والحراقات ، والشلنديات ، والسفن الحربية ، والنواشى والفتاشى .

وأما الفصل الثالث : فقد خصصته لأبيه الدور الذي لعبته البحرية في عهد الأغلبية .

وفي البداية ذكرت فتح الأغلبية لـ جزيرة قوصرة وهي أقرب جزيرة للساحل التونسي .

ثم انتقلت بحد يثى عن أهم حدث في تاريخ البحرية الإسلامية في ذلك الوقت ألا وهو فتح جزيرة صقلية التي تعتبر من أهم جزر البحر الأبيض المتوسط وقد استمر فتحها قرابة القرن من الزمان أى منذ عهد ثالث ولاية الأغلبية زيادة الله حتى نهاية دولة الأغلبية .

وفي الفقرة الثالثة من هذا الفصل تحدثت عن فتح الأغالبة لـ جنوب إيطاليا ووصول غاراتهم الى روما - قلب إيطاليا ومركز البابوية الرئيسى - عدة مرات وتهديد ها .

وذكرت أيضا ما أنشأه المسلمون في جنوب إيطاليا من ولايات مستقلة التي رغم قصر مدة بقائها إلا أنها تدل على قوة مسلمي إفريقيا ومدى ما وصلت إليه بحريتهم من قوة في ذلك الوقت .

أما الفقرة الرابعة من هذا الفصل فقد تحدثت فيها عن فتح الأغلبية لبقية جزر البحر الأبيض المتوسط التي وقعت تحت سيطرتهم كجزيرة مالطه وغيرها من الجزر الصغيرة التي تقع في وسط البحر الأبيض المتوسط . إلى جانب المحاولات التي قاموا بها للاستيلاء على جزيرة سردينيا

هذا وقد خصصت الفصل الرابع والآخر : للحديث عن النشاط التجاري لبحرية الأغلبية . وفي هذا الفصل بينت أهمية هذا النشاط الذي أعطى للمسلمين دورا كبيرا في تجارة البحر الأبيض المتوسط بين المشرق والمغرب بالمقارنة بما كانت عليه هذه التجارة عندما كانت السيادة البحرية لهذا البحر في يد بيزنطة وعندما كانت تفرض رقابتها على طرق التجارة به .

وفي الخاتمة : استعرضت أهم النتائج والمعلومات التي توصلت إليها في بحثي هذا عن البحرية في عهد الأغلبية . وقد زودت البحث ببعض الخرائط التوضيحية .

التعريف بأهم المصادر والمراجع

التي أعتمد عليها البحث

أولا : المصادر :

(١) ابن عذارى المراكشي (ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م)

هو مؤرخ من مؤرخي القرن السابع الهجري ، كتابه الذي رجعت إليه هو " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " في أربعة أجزاء . ويعتبر من المصادر المهمة في تاريخ المغرب

والأندلس ، وذلك لما يحويه من معلومات على درجة كبيرة من الأهمية .
وقد امتاز بن عذارى بالأمانة العلمية فهو في أثناء كتابته يقوم بذكر
المصدر الذى أخذ منه هذه المعلومات .

وقد اعتمدت على الجزء الأول من هذا الكتاب ، اذ وجدت به
شرحاً مفصلاً ووافياً عن المغرب واحواله والدول الموجودة فيه كالادارسة
والرستميين والأغالبة والفاطميين . أما بالنسبة للأغالبة فقد ذكر
ابن عذارى فيما كتبه عنهم معلومات هامة جداً أمدتنى بمادة علمية
جيدة استفدت منها كثيراً في بحثي هذا .

(٢) أبو عبيد البكرى : (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) :

وقد رجعت لكتابه " المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب "
وهو كتاب من كتب الجغرافيا والمسالك والممالك يتحدث فيه مؤلفه
أبو عبيد البكرى عن المدن والقرى في الطريق من مصر الى برقة
والمغرب . فهو يذكر جميع المدن الساحلية والمراسى الموجودة في
الساحل الافريقى ، وكذلك يذكر المدن الداخلية بهذه البلاد . وفي
نهاية كتابه يأتى الى ذكر بلاد السودان ومدنها المشهورة واتصال
بعضها ببعض والمسافات بينها وما فيها من الغرائب وسير أهلها .
وقد استفدت كثيراً من هذا المصدر القيم ووجدت فيه مادة علمية
ذات أهمية كبيره بالنسبة لبحثي .

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاءى

المعروف بابن الأبار : (ت ٥٩٥ - ٦٥٨ هـ / ١١٩٩ - ١٢٦٠ م)

وقد رجعت لكتابه " الحلة السيرة " الجزء الأول . وهو
من كتب التراجم ويحتوى على تراجم أهل المئات الأولى والثانية
والثالثة والرابعة ، حققه وعلق حواشيه الدكتور حسين مؤنس ، وهو
كتاب قيم به تراجم في غاية الأهمية والفائدة لعدد كبير من الشخصيات

التاريخيه في المغرب والأندلس من القرن الأول الهجرى الى منتصف القرن السابع الهجرى مع مادة تاريخية لأسبها عن أعلام مشارقة من أهل القرن الأول كان لهم نصيب في فتوح المغرب والأندلس. وقد استفدت كثيرا من هذا المصدر في كتابة مادة هذا البحث .

(٤) أبوزيد عبدالرحمن بن محمد الانصارى الاسيدى . الدباغ :

(ت : ٦٠٥ / ٦٩٦ هـ) :-

كتابه " معالم الايمان في معرفة أهل القيروان " . أكمله وعلق عليه أبو الفضل ابو القاسم بن عيسى بن ناجى التنوخى (ت ٨٣٩ هـ) يتكون من أربعة اجزاء .

وهو من كتب التراجم ، وقد احتوى على تراجم لأهل القيروان سواء كانت تراجم لولاة أو قضاة أو شيوخ وقد احتوى على مادة تاريخيه جيدة .

وقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على الجزء الثانى منه الذى بدأه مؤلفه بترجمة الامير القاضى أسد بن الفرات بن سنان قاضى القيروان وأمير الحملة البحرية التى قامت بفتح جزيرة صقلية في عهد زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب . وقد احتوى هذا الجزء على شخصيات أهل القيروان في عهد دولة الأغالية ، ولهذا كان ذا فائدة كبيرة لبحثى هذا .

(٥) ابن الاثير الجزرى : (ت : ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) :

كتابه " الكامل في التاريخ " يتكون من تسعة أجزاء ، وهو كتاب جمع فيه ابن الاثير خلاصة الكتب التى سبقته ولكنه هذبها ونقحها فاستحق أن يسمى بالكامل . فقد أخذ كل ماكتبه أبو جعفر الطبرى مع التعليق عليه والزيادة عليه حقائق أخرى استخرجها من كتب تاريخيه

أخرى ، هذا بالإضافة لأحداث الفترة التي تلت تاريخ الطبرى .

وطريقه ابن الأثير في سرد الأحداث هي الحوليات ، ففي كل سنة يذكر أحداثها . إلا أنه في بعض الأحيان يشذ عن هذه القاعدة فعندما تأتي أحداث معينة لموضوع معين في سنة معينة لا يستطيع فصلها كان يذكر معها أحداث السنوات التي تليها والتي تكمل هذا الموضوع .

وقد استفدت في بحثي من الجزئين الخامس والسادس فقد وجدت بها مادة علمية غزيرة وبخاصة عن فتح الأغالبة لصقلية .

(٦) ابن خلدون :

(ت : ٨٠٨ هـ) :

كتابه هو " العبر وديوان المستدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر " وهو في سبع مجلدات .

وهو مصدر قيم يعتبر ثروة من ثروات الكتب العربية والاسلامية التي تؤرخ تاريخ العالم أجمع منذ بدء الخليقة الى ما قبل وفاته مؤلفه بعدة سنوات .

أما بالنسبة لتاريخ المغرب والاندلس فهو كتاب قيم لا بد لكل باحث من الرجوع اليه والتزود من علمه .

وقد استفدت في بحثي هذا من المجلد الرابع الذى تحدث فيه عند دولة الاغالبة ، وكذلك عن الفترة التي قبلها من ولاية بنى أمية وولاية بنى العباس .

(٧) الناصرى : (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م) :

كتابه " الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى " ، حققه

وعلق عليه ولدا المؤلف الاستاذ جعفر الناصري - والاستاذ محمد الناصري ، وهو يتكون من تسعة أجزاء .

وهو كتاب قيم استفدت من الجزء الأول منه في بحثي هذا ، وهو يحتوى على تاريخ الفتح الاسلامي للمغرب وفترة ارتباط المغرب بالخلافة الاسلامية ، ثم الدولة الادريسية والدول الاخرى التي قامت في بلاد المغرب منذ منتصف القرن الثاني الهجري .

وقد كانت استفادتي منه في الفصل الأول حيث أخذت منه مادة علمية جيدة عن بداية عهد زهير بن قيس البلوي وماتلاه من ولاية من قبل الدولة الاموية ومن تلاهم من ولاية لا فريقيه في خلافة العباسيين .

(٨) ابن حوقل : (ت : ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) :

كتابه " صورة الأرض "

مؤلفه عاش في القرن الرابع الهجري ، وهو من التجار الرحالة المثقفين الذين اتخذوا التجارة وسيلة لتفهم خصائص الأقاليم ، وطباع الشعوب ، وتدوين مايتعرفون اليه من ميزات الناس ونواديرهم وغرائبهم .

فكانت نتيجة رحلاته هذا الكتاب الذي بين أيدينا وهو يتكون من جزئين .

وقد استفدت في بحثي من الجزء الأول منه وهو يحتوى على معلومات قيمة عن صورة الأرض . ففي القسم الأول منه يتحدث عن ديار العرب وعن بحر فارس والمغرب والاندلس وصقلية ومصر والشام وبحر الروم والجزيرة والعراق . وفي القسم الثاني منه يتحدث عن بلاد المشرق الاسلامي وقد استفدت من القسم الأول كثيرا وخاصة في التعريف بالكثير من المدن التي ورد ذكرها في الفصلين الثاني والثالث .

(٩) المقدسي : (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م)

كتابه " احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " ويعتبر من الكتب الجغرافية القيمة ذات الفائدة الجمة فقد ذكر فيه مؤلفه الأقاليم الإسلامية بما فيها من مغاوز وبحار وبحيرات وأنهار وقام فيه بوصف أمصار هذه الأقاليم ومدنها المشهورة والطرق المؤدية اليها وما بها من خيرات زراعية ومعدنية وذكر تجاراتها وعادات أهلها وتقاليدهم ولغتهم وألوانهم وغير ذلك من معلومات ، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة بهذه الأقاليم الا وذكرها .

وقد استفدت منه كثيرا فيما أورده من معلومات عن مدن المغرب وصقلية .

(١٠) ياقوت الحموي : (ت : ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) :

كتابه " معجم البلدان " يتكون من خمسة اجزاء ويعتبر من المصادر المهمة ومن المعاجم التي يعتمد عليها كثيرا . وقد استفدت منه كثيرا في بحثي في التعريف بالمدن التي ورد ذكرها في الفصل الثاني خاصة .

(١١) الحميري : (ت : ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) :

كتابه " الروض المعطار في خبر الأقطار " ، وهو من المعاجم الجغرافية القيمة التي تحتوى أيضا على سرد عام لبعض الأحداث التاريخية وقد استفدت منه كثيرا في بحثي التعريف بالمدن التي ورد ذكرها في فصول هذه الرسالة وما بها من ثروات ومعادن .

(١٢) لسان الدين ابن الخطيب : (٧١٣-٧٧٦هـ / ١٣١٣-١٣٧٤م)

" كتابه اعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام ،

ومايجر ذلك من شجون الكلام " .

وهو آخر انتاج علمى لابن الخطيب ، وهو عبارة عن تاريخ عام للعالم الاسلامي وينقسم الى ثلاثة أقسام :-

القسم الأول : يتناول المشرق الاسلامي من السيرة النبوية حتى عصر المماليك وهو لا يزال مخطوطا لم ينشر بعد .

القسم الثاني : عبارة عن تاريخ عام للاندلس من الفتح العربى حتى عصر المؤلف أى حتى القرن الثامن الهجرى . وقد أضاف اليه ابن الخطيب مختصرا لتاريخ الممالك المسيحية الأسبانية مثل قشتاله وأرجوان والبرتغال فهو أول تاريخ شامل لاسبانيا وقد نشره المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال سنة ١٩٣٤ م .

والقسم الثالث : وهو المهم لبحثى هذا فقد تناولت فيه ابن الخطيب تاريخ المغرب العربي من أحواز برقه شرقا الى المحيط الاطلسي غربا حتى بداية عصر الموحدين ، وهى نهاية غير طبيعية بالنسبة للقسمين الأول والثاني التى بلغت عصرا لمؤلف نفسه مما يجعلنا نعتقد ان ابن الخطيب قد قتل قبل ان يتم هذا القسم الثالث والأخير من كتابه .

وقد استفدت من هذا القسم الاخير كثيرا في كتابه موضوع بحثى .

ثانيا : المراجع العربية والمعرّبة :

(١) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى :

الكتاب " تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس " .
وهو من الكتب المهمة في البحرية الاسلامية كما يحتويه من معلومات
جيدة صاغها مؤلفاه الفاضلان في اسلوب سهل مع التحليل المستمـر
لكل ما يعترضها من اختلاف في آراء المؤرخين .

وينقسم الكتاب الى قسمين : القسم الأول يتحدث فيه الدكتور
السيد عبد العزيز سالم عن البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس في
القرون الخمسة الاولى للهجرة .

أما القسم الثاني فيتحدث فيه الدكتور احمد مختار العبادى عن البحرية
الاسلامية في المغرب والاندلس منذ قيام دولة المرابطين حتى سقوط
مملكة غرناطة .

وما يهمننا في هذا الكتاب هو ما كتبه الدكتور السيد عبد العزيز سالم
والذى يتحدث فيه عن قيام البحرية العربية في المغرب حتى نهاية الخلافة
الاموية ثم عن أسباب تفوق البحرية المغربية والاندلسية في القرنين
الثالث والرابع للهجرة ، وبعد ذلك عن فتح المسلمين في المغرب والاندلس
لجزر البحر الابيض المتوسط الأوسط والغربي وتهديد مسلمي غرب البحر
الابيض المتوسط لسواحل ايطاليا وفرنسا الجنوبية في القرنين الثالث
والرابع للهجرة .

وهذه المعلومات مهمة جدا بالنسبة لموضوع بحثي ولذلك فقد استفدت
كثيرا من هذا المرجع القيم .

(٢) السيد عبدالعزيز سالم :

الكتاب " المغرب الكبير " الجزء الثاني ، العصر الاسلامي .
يتحدث مؤلفه في القسم الاول منه عن المغرب في ظل الوندال
والبيزنطيين ، أما القسم الثاني منه فيحتوى على أربعة أبواب يتكلم
فيها عن المغرب في العصر الاسلامي .
ففي الباب الاول يتكلم عن فتح العرب لبلاد المغرب .
أما الباب الثاني فيتحدث فيه عن المغرب الاسلامي في عصر
الدولتين الأموية والعباسية ، وفي الباب الثالث يتحدث عن المغرب
في ظل الفاطميين ، والمغرب الادنى والوسط في ظل بنى زيرى
وبنى حماد الصنهاجيين . أما الباب الرابع فيتناول فيه المغرب
الاسلامي في ظل دولتى المرابطين والموحدين . وأخيرا في الخاتمة
يتحدث عن ورثة الموحدين في المغرب من بنى مرين في المغرب
الاقصى ، وبنى عبد الواد في المغرب الاوسط ، وبنى حفص في المغرب
الادنى .

وهو من المراجع المهمة جدا لتاريخ المغرب والتى لا بد لمن
يبحث في تاريخ المغرب من ان يطلع عليه لما له من أهمية علمية قيمة
سواء من الناحية التاريخية أو الناحية الحضارية . وقد أفادنى كثيرا
الباب الثاني من القسم الثاني بصفة خاصة والذي يتحدث فيه عن المغرب
الاسلامي في عصر الدولتين الأموية والعباسية .

(٣) سعد زغلول عبد الحميد :

كتابه " تاريخ المغرب العربي " في جزئين وهو من المراجع
المهمة في تاريخ المغرب اذ يحتوى على معلومات هامة يعتمد عليها
كثيرا كل باحث في تاريخ هذه المنطقة من وطننا العربي .
وقد استفدت من كلا الجزئين ، ففي الجزء الأول يتحدث المؤلف
عن تاريخ المغرب العربي من الفترة التى سبقت الفتح الاسلامي

وحتى نهاية اسرة الفهرين بافريقية .

أما الجزء الثانى فيتحدث فيه مؤلفه عن الفترات التى تلت ذلك .

وقد أفادني الجزء الاول من هذا الكتاب في كتابه الفصل الأول من بحثى هذا . اما الجزء الثانى فقد أفادني كثيرا الفصل الثانى منه والذى يتحدث فيه مؤلفه عن صقلية الاغلبية واستقرار العرب في جنوب ايطاليا من الفتح الى نهاية الاغلبة " ٢١٢هـ / ٨٢٧م - ٢٩٦هـ / ٩٠٨م " . وقد أفادني هذا الفصل بمعلومات مهمة للفصل الثالث من هذا البحث .

(٤) محمود شيت خطاب :

كتابه " قادة فتح المغرب العربى . الجزء الاول "

وهو من الكتب المهمة التى تحدثت عن قادة فتح المغرب العربى الذين حملوا رايات الاسلام الى المحيط الاطلسى . وقد تحدث مؤلفه في مقدمته عن البلاد والسكان والتاريخ قبل الفتح الاسلامى وفي ايامه فاعطانا بذلك صورة واضحة عما عاناه الفاتحون سواء كانوا قادة او جنودا في جهادهم وجهودهم لاستكمال الفتح .

ثم بعد ذلك تناول كلا من قادة هذا الفتح على حدة من بداية تولية ولاية افريقية والجهاد بها الى ذكره كأنسان وكقائد كل ذلك بنظرة تحليلية فاحصة وباسلوب سهل قوى جميل ثم بعد ذلك يتحدث عنه من حيث المكانة التى تربع عليها في التاريخ الاسلامى .

والشخصيات التى تناولها بالدراسة هى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامرى ، ومعاوية بن حديج السكونى ، وعقبة بن نافع الفهري

القرشي ، وابو المهاجر دينار ، وزهير بن قيس البلوي ، وحسان بن النعمان الأزدي الغساني ، وأخيرا موسى بن نصير اللخمي .

وقد استفدت كثيرا من هذا الموضع ومن نظرة مؤلفه العسكرية الفاحصة لكل معركة من معارك الفتح الاسلامي ، وذلك في كتابه الفصل الأول من بحثي هذا .

(٥) احمد توفيق المدني :

كتابه " المسلمون في صقلية وجنوب ايطاليا " وهو كتاب مهم لتاريخ صقلية وجنوب ايطاليا تحدث فيه مؤلفه في القسم الأول عن وصف جزيرة صقلية ، وأما القسم الثاني فهو موجز عن تاريخ صقلية .

وفي القسم الثالث تحدث عن أمهات المدن والمعالم والآثار بصقلية ، وفي القسم الرابع تحدث عن الحكم الاسلامي الأغلب بها منذ نشأة دولة الأغالية وحتى نهايتها .

وأما القسم الخامس فتحدث فيه عن الحكم الاسلامي الفاطمي بها .

وفي القسم السادس تحدث عن عصر الاستقلال الذاتي . أما القسم السابع فتناول فيه صقلية الاسلامية تحت الحكم النورمانى ، وأما القسم الثامن فتحدث فيه عن التمدن والعمران بها . واخيرا تناول في القسم التاسع العلوم والاداب في صقلية والمؤلف يذكر فتوح المسلمين في جنوب ايطاليا في أثناء ذكره لفتوحهم في صقلية وجزر البحر الابيض المتوسط وقد استفدت من هذا المرجع كثيرا فيما يخص المادة العلمية للفصل الثالث من بحثي هذا ، وكذلك استفدت من تعريبه للفصل الثاني من كتاب " غارات الهمج " تأليف المؤرخ فردينان لوط والذي ضمنه كتابه هذا لما حواه من خلاصة لتدخل المسلمين في البلاد الايطالية .

و الكتاب يعتبر بحق تاريخا شاملا لصقلية وجنوب ايطاليا منذ دخول المسلمين بهما حتى استيلاء النورمان عليها ، كما يبرز أوجه الحضارة والتمدن التي تركها المسلمون بهذه البلاد والتي لا زالت آثارها باقية الى وقتنا الحاضر .

(٦) ابراهيم علي طرخان :

كتابه " المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى " وهو من المراجع المهمة التي تتحدث عن عالم البحر الابيض المتوسط ، فقد ذكر البحر الابيض المتوسط والقوى التي كانت مهيمنة عليه حتى بداية الفتوح الاسلامية ، ثم تحدث عن الفتوح الاسلامية والبحرية الاسلامية ، وعن النفوذ الاسلامي في جزر البحر المتوسط ، وفي ايطاليا . وبعد ذلك تحدث عن نهاية النفوذ الاسلامي في أوروبا الجنوبية ، كما ذكر بعض الملاحق في آخر كتابه . وقد استفدت من هذا المرجع كثيرا في كتابة معظم فصول بحثي هذا .

(٧) ارشيالد لويس :

كتابه " القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط " ترجمة احمد محمد عيسى ، وراجع له محمد شفيق غريال . هذا المرجع مهم جدا في دراسة القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط وذلك لانه يتميز بجمعه بين الحرب البحرية والتجارة في دراسة واحدة ، وهذه الدراسة تشمل الفترة الممتدة من سنة ٥٠٠ هـ وحتى سنة ١١٠٠ م ، وقد حاول مؤلفه ان يتبين فيها أولا : كيف كانت حالة القوة البحرية اوائل العصور الوسطى ، وليتبين فيها ثانيا : مدى تأثير تلك القوة على تجارة البحر المتوسط وتاريخه .

و عموما هذا المرجع يعتبر اضافة قيمة للدراسات التاريخية

تهم كل دارس لهذه الفترة من تاريخ الأمم ، وتهتم بالذات الباحث العربى لان بها مادة قيمة عن بحرية المسلمين وتجارتهم في البحر الأبيض المتوسط .

وقد استفدت من هذا المرجع استفادة كبيرة في جمع معلومات كبيرة عن بحثى وبخاصة الفصل الرابع منه الذى اتحدث فيه عن النشاط التجارى لبحرية الاغالبة .

(٨) صابر محمد دياب :

كتابه هو سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجرى حتى نهاية العصر الفاطمي . وهو يعتبر بحق مرجع مهم للبحرية الاسلامية في هذه الفترة الزمنية من التاريخ الاسلامي فتناول المؤلف موضوعه هذا في خمسة أبواب تحدث في الباب الأول عن البحرية الاسلامية في حوض البحر المتوسط حتى قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب .

وفي الباب الثاني ذكر الفاطميون بالمغرب ونشاطهم في البحر المتوسط .

أما الباب الثالث فتحدث فيه عن ^{الفاطميون} ~~الفاطميون~~ بمصر والشام ونشاطهم في حوض البحر المتوسط .

وفي الباب الرابع اوضح المؤلف العلاقات بين الدولة الفاطمية في مصر والدولة البيزنطية والمدن الايطالية .

واخيرا في الباب الخامس كان حديثه عن مدى انحلال الدولة الفاطمية واثره على نشاطها البحرى في شرق البحر المتوسط .

وقد قام المؤلف بهذا الجد الكبير الذى يشكر عليه في اسلوب واضح سلس . فأحتوى على معلومات قيمة ، استطعت الاستفادة منها في بحثى هذا .

هذه أهم المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها في كتابة هذه الرسالة ، وسيجد القارئ الكريم في نهايتها ثبوتا كاملا لكل ما رجعت اليه من مصادر ومراجع .

والله الموفق “ “

الطالبة

فوزيه محمد عبد الحميد نوح

مكة المكرمة في : / / ١٤٠ هـ

الفصل الأول

البحرية الإسلامية في بلاد المغرب قبل قيام دولة الأغالبة

- ١- إنشاء دار الصناعة في تونس
- ٢- دور البحرية الإسلامية الناشئة في الدفاع
عن شواطئ بلاد المغرب.

١- انشاء دار الصناعة في تونس (١)

كان المسلمون يفتقرون الى القوة البحرية في فتح المغرب ، مما جعل البيزنطيين يستغلون نقطة الضعف هذه لدى المسلمين ، فأرسلوا حملاتهم البحرية لمهاجمة السواحل الافريقية لشد أزر الحاميات البيزنطية في أفريقيه ولاضعاف المسلمين وكسر شوكتهم .

وبقيت سيطرة الروم هكذا على البحر الأبيض المتوسط الذى سمي لذلك ببحر الروم - ، حتى حملة حسان بن النعمان الذى استطاع ان ينشئ قاعدة بحرية للمسلمين ويبنى بها دار صناعة للسفن فكانت النواة لأسطول المغرب الذى سيكون له شأن عظيم في الفتوحات الاسلامية في جزر البحر الأبيض المتوسط وفي جنوب ايطاليا والذى سيجعل من الأجد ر تسمية البحر الأبيض المتوسط ببحر المسلمين بدل بحر الروم .

ولكن قبل أن ندخل في تفاصيل فترة ولاية حسان بن النعمان وبخاصة فترة انشاء هذه القاعدة يجب ان نبين الأسباب التى دعيت الى بنائها .

(١) تونس ، هي مدينة تونس الحالية عاصمة دولة التونسية وهى مدينة كبيرة محدثة بأفريقيه على ساحل بحر الروم ، عمرت من انقضاء مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها هى مدينة قرطاجنه ، وكان اسم تونس في القديم ترشيش ، وهى على ميلين من قرطاجنه ، ويحيط سورها واحد وعشرون الف ذراع ، وهى قصبة بلاد افريقية بينها وبين صفاقس ثلاثة ايام ومائه ميل بينها وبين القيروان . وهى خصبة واسعه المياه والزروع (لمزيد من المعلومات عن تونس في العصر الاسلامي ارجع الى ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢م ، ص ٦٠ - ٦١ - ٦٢ البكرى : المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب ، ص ٣٧ - ٣٨ - ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ٨٧ - الأصبخري : المسالك والممالك ، ص ٣٣ - ابوبكر احمد بن ابراهيم الهمداني المعروف بابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٧٩ .

ولعل أهم هذه الأسباب الحادث الذى كان ضحيته القائد المسلم زهير بن قيس البلوى ومن معه من أشراب العرب ، عقب انتصاره على كسيلة ومن كان يناصره من البربر في معركة (ممس) (١) من نواحي القيروان . وقد كانت معركة حاسمة حقا ، استطاع زهير بن قيس أن يقضى فيها على مقاومة البربر البرانسى . وكان لهذا الانتصار الأثر العظيم في مستقبل الفتوح الاسلامية ، لأن البربر الرانس هم الذين حملوا وقتذاك لواء المقاومة وكان الروم يمدونهم بالعون ، فعندما انتصر عليهم زهير بن قيس البلوى قضى على مقاومة البربر ، وفى نفس الوقت قضى على آمال الروم في الاستعانة بهم ضد العرب .

وقد ذكر لنا السلاوى كيف قضى العرب على مقاومة البربر وكسروا شوكتهم ، فقال " واتبعهم العرب الى مرماجه (٢) ، ثم الى وادى ملوية . وفي هذه الوقعة ذل البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم ، وحضدت شوكتهم ، وأضمحل امر الفرنج فلم يعد ، وخاف البربر من زهير والعرب خوفا شديدا ، فلجأوا الى القلاع والحصون وكسرت شوكة أوربه من بينهم ، وأستقر جمهورهم بديار المغرب الأقصى ، وملكوا مدينة وليلى وكانت فيما بين موضع فاس (٣)، ومكناسة (٤) بجانب

-
- (١) ممس، بالفتح ثم السكون والسين المهملة قرية بالمغرب بالقرب من القيروان (ياقوت : معجم البلدان ، ٥م ، ص ١٩٨)
- (٢) مرماجه : قرية بافريقية لهوارة قبيلة من البربر، بينها وبين الأريس مرحلة (ياقوت : المصدر السابق ، ٥م ، ص ١٠٩) .
- (٢) فاس : مدينة مشهورة كبيره على بر المغرب من بلاد البربر ، وهى حاضره البحر وأجل مدنه قبل ان تختط مراكش (ياقوت : المصدر السابق ، ٤م ، ص ٢٣٠)
- (٤) مكناسة : مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البر الأعظم ، بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة نحو الشرق ، وهى مدينتان صغيرتان على ثنيه بيضاء بينهما حصن جواد .
- (ياقوت : المصدر السابق ، ٥م ، ص ١٨١)

بجانب جبل زرهون ولم يكن لهم بعد هذه الوقعة ذكر" (١)

وعاد زهير بن قيس بعد انتصاره في موقعه ممس إلى القيروان لفترة وجيزة نظم فيها إدارتها وترك فيها عدداً كثيراً من أصحابه ، ثم رحل عنها لأنه لم يكن يريد أن يقيم فيها واتجه إلى برقة . (٢)

وقد أرجع المؤرخون سبب تركه القيروان واتجاهه إلى برقه إلى عدة أسباب فكل من ابن عذارى والساوى يقول : " وأما زهير فانه لما رأى ما منحه الله من الظفر والنصر ، وساق إليه من العز والملك خشى على نفسه الفتنة - وكان من العباد المخبتين - فترك القيروان آمن ما كانت وارتحل إلى المشرق ، وقال : انما جئت للجهاد فسي سبيل الله . وأخاف على نفسي ان تميل إلى الدنيا " (٣)

(١) الناصرى السلاوى : الاستقصا لأخبار المغرب الاقصى ، ج ١ ، ص ٩١ .

(٢) برقة : هى مدينة وسطية ليست بكبيرة ، وحواليها كورة عامرة كبيرة ، وهى في مستوى من الأرض خصبة ، ويطيف بها من كل جانب بادية يسكنها طوائف من البربر (الاصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٣ - ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩) .

ويذكر ابن الفقيه " ان من الفسطاط إلى برقه ستمائة وستون ميلا ، وبرقة مدينة حسنة في صحراء ، وقد فتحت صلحا صالح عليها عمرو بن العاص وجبر أهلها على الجزية وهى خصبة ممتعة ، ومنها إلى القيروان ستمائة وثمانية وثلاثون ميلا . (ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٧٨ - ٧٩) .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب فى ذكر اخبار المغرب ، ج ١ ، ص ٣٢ - الناصرى السلاوى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩١ .

هذا ويحلل السيد عبد العزيز سالم الرأى الذى أورده ابن عذارى والسلاوى فى صدد رحيل زهير بن قيس من القيروان الذى برقه بقوله (هذا التفسير لا يقوم على أساس قوى ، فان افريقيه كانت من أصلح الاقطار فى العالم للجهد والمثاغرة ، وقد كانت افريقية حتى أيام حسان بن النعمان دار حرب وجهاد ، اذا فهناك سبب آخر دفع زهيرا الى هذا الرحيل السريع . وأعتقد أن مهمة زهير انتهت باسترداد العرب للقيروان (١) ، والثأر من كسيلة الذى ترصد لصاحبة عقبه وقتله . وكان زهير يزهد فى الامارة . لذلك آثر العودة الى مصر. (٢)

أما ارشيبالد لويس فيذكر ان سبب تقهقر زهير بن قيس البلوى الى برقية هو نشاط الاسطول البيزنطى فى البحر المتوسط. (٣)

وأما محمود شيت خطاب فيذكر أيضا تحليلا آخر لرجوع زهير بن قيس الى برقه ، فيقول : " وربما يتبادر الى الاذهان ، السوء الاتى : كيف نوفق بين معرفة زهير بوجود قوات الروم فى تلك المنطقة ،

(١) القيروان : هى مدينة مشهورة بين تونس وتوزر ، تعتبر

اجل مدينة بارض المغرب ، منها الى الساحل ثلاث مراحل ، وهى كانت دار ملك المسلمين بافريقيه منذ الفتح ، لم يزل الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس يولون عليها الأمراء من قبلهم حتى جاء حكم الأغلبة وهو بنو الأغلب بن محمد ابن ابراهيم بن الاغلب التميمى ، فاتخذوا القيروان دار ملكهم ولم يزالوا به حتى اخرجهم منها بنو عبيد الفاطميين (الاضطخري : المصدر السابق ، ص ٣٤ - عبد الواحد المراكشى :

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٤٤٠) .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، العصر

الاسلامى ، ص ٢٣٧ .

(٣) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٩٩ .

وكان ذلك من أهم أسباب عودته من القيروان الى برقه ، وبين أقدامه على التقدم الى تلك القوات على رأس ثلة من الفرسان فيتورط في معركة خاسرة ؟ وأبادر الى الجواب ، بأن مثل هذا السوءال قد يتبادر الى غير العسكريين . أما العسكريون الذين خاضوا غمار الحروب واصطلوا بنارها ، فيقدرون أن ما حدث امر طبيعي جدا بسبب ظروف الحرب غير الاعتيادية التي قد تفلت أحيانا من أيدي قادتها فتسير وتتطور على غير ما يشتهون .

والى أولئك الذين يتبادر الى أذهانهم مثل هذا السوءال من المدنيين والى العسكريين النظريين غير المجربين ، أسوق هذا الجواب .

لست أشك أن حامية منطقة (برقة) التي خلفها زهير وراءه لحماية تلك المنطقة من العدو ، ولحماية خطوط مواصلاته ، لا يمكن أن تكون في ظلام دامس بعيدة عن الاحداث لا تهتم بالحصول على المعلومات عن نيات العدو المتربص بها ، فلا بد أن يكون لها مصادر مختلفة مهمتها الحصول على المعلومات عن العدو من البربر والروم : دوريات استطلاعية برية وبحريّة ، ومراكب تمخر عباب البحر ، وعيون وارصاد في مختلف الأماكن والأصقاع . بل اذا حصل كل عربي مسلم وكل مسلم مسوءولا كان أو غير مسوءول على معلومات مفيدة عن العدو ، فانه يرى نفسه مسوءولا عند الله وعقيدته وقومه عن ايصال تلك المعلومات الى المسوءولين بأسرع وقت وبأسرع وسيلة .

هذه الحامية الساهرة لمصالح المسلمين المرابطه دافعا عن أرواحهم وأرضهم وكرامتهم وعزتهم ، أنذرت زهيراً على اعتباره المسوءول الأول عن افريقيه - بتحركات الروم من القسطنطينيه

ومن صقلية ، وقد تكون هذه المعلومات - خاصة عن تحركات الروم - من القسطنطينية - وصلت اليها من المشرق أو حصلت عليها بوسائلها الخاصة أو حصل عليها زهير بوسائله الخاصة ، فعاد زهير بقواته الضاربة لحماية منطقة برقة المهددة بقوات الروم ، ثم تقدم زهير على رأس قطعاته الراكبة التي حرص على قيادتها بنفسه - وهذا من مميزات القائد الممتاز ، اذ يكون دائما في الامام قريبا من موطن الخطر - ، تقدم بنفسه لاستطلاع مواضع انزال الروم ، ومعرفته قوتهم وتسليحهم ، وذلك لاعداد الخطة المناسبة لمقاومتهم " . (١)

و يتفق المؤرخون على أن زهيرا بن قيس البلوى لقي مصرعه في برقة ، ولكنهم يختلفون في التفاصيل . فيذكر السيد عبد العزيز سالم عن ابن عبد الحكم قوله انه أقام بمصر ، واتفق أن أغار الروم على أنطابلس (٢) (برقة) ، واستولوا عليها ، قلع عبد العزيز بن مروان ذلك ، فأرسل في طلب زهير ، وأمره بالخروج لمحاربة الروم ، غير أنه لم يجتمع لزهير من أصحابه الا سبعون رجلا ، سار بهم الى برقة ، فلما وصل الى درنة (٣) من طبرق (٤) بإقليم أنطابلس ، لقي الروم

(١) محمود شحيت خطاب : قادة فتح المغرب العربي ، ج ١ ،

ص ١٦٦-١٦٧ .

(٢) أنطابلس : يذكر ياقوت ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٦

(معناه بالرومية خمس مدن ، وهي مدينة بين الاسكندرية وبرقة ، وقيل : هي مدينة ناحية برقة ، وقد ذكر أمرها في برقة (ص ٣٨٨) فقال : واسم مدينتها أنطابلس .

(٣) درنه : (موضع بالمغرب قرب أنطابلس ، قتل فيه

زهير بن قيس البلوى وجماعة من المسلمين وهي من عمل باجه بينها وبين طبرقة) . المصدر السابق ، م ٢ ، ص ٤٥٢ .

(٤) طبرق : هي مدينة بالمغرب من ناحية البر البربري على

شاطئ البحر قرب باجه وفيها آثار للأول وبنيان عجيب =

وهو في سبعين رجلا ، فتوقف حتى يتمكن من جمع بعض المسلمين فـ في هذه النواحي لمحاربة الروم ، ولكن الروم لم يمهلوه ، فلقبهم ، واستشهد هو وأصحابه جميعا في سنة ٧٦ هـ . ثم يكمل السيد عبد العزيز سالم قول ابن عبد الحكم فيقول ويضيف ابن عبد الحكم أن رجلا من مذحج يقال له عطية بن يربوع كان مقيما ببلدة أملس من برية أنطابلس ، استغاث بجماعة من المسلمين ، فاجتمع اليه سبعمائه رجل ، زحف بهم إلى الروم ، فقاتلهم ، وهزمهم ، فركبوا سفنهم وولوا هاربين . (١)

ويعلق السيد عبد العزيز سالم على رواية ابن عبد الحكم هذه بأن هذه الرواية ينفرد بها ابن عبد الحكم ، وتتضمن خلطا بين أعمال حسان بن النعمان وأعمال زهير ، فتجعل اغارة الروم على أنطابلس بعد عودة حسان بن النعمان إلى دمشق ، وتشير إلى أن زهير عاد مع حسان من إفريقيه ، فاستقر بمصر إلى أن أمره عبد العزيز ابن مروان بالنهوض إلى الروم ، ولو أن ذلك كان صحيحا ، لكان عبد العزيز قد أمده بجيش كبير لمقاتلة الروم . ولكن زهير - وفقا لهذه الرواية - لم يجمع أكثر من سبعين رجلا وأنه اختلف مع عبد العزيز ابن مروان ، ومضى برجاله السبعين لملاقاة الروم ، وهذا لا يمكن اعتباره إلا عملا انتحاريا من جانب زهير . ثم إن تاريخ مقتل زهير وفقا لهذه الرواية (سنة ٧٦ هـ) غير صحيح لأن هذا التاريخ

= وهي عامرة لورود التجار إليها ، وفيها نهر كبير تدخله السفن الكبار وتخرج في بحر طبرقه . (ياقوت ، المصدر السابق ، م ٤ ، ص ١٦) . ويذكر (ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٧٦) أنها عدوة لأهل الأندلس إليها ينتهون ومنها إلى الأندلس يركبون ، وهي صحبحة الهواء كثيرة الرخاء واسعة الفضاء غزيرة الدخل - اما (الاصطخري المصدر السابق ، ص ٣٤) فيقول إن بها عقارب قاتله ، وبها في البحر معدن المرجان ، وليس يعرف في الأرض معدن المرجان إلا بها .

السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٨

يسجل عودة حسان بن النعمان من افريقية الى برقة في معظم المصادر . (١)

ولكن بقية المصادر والمراجع العربية تتفق على أن زهيراً رحل الى المشرق في عدد كبير من الجنود ، فبلغ الروم خروجه من افريقية الى برقة ، وكان هذا ما يريدونه ، فجهزوا أنفسهم وخرجوا الى برقه في مراكب كثيرة وقوة عظيمة من القسطنطينية وجزيرة صقلية ، فأغاروا على برقة وأصابوا بها سبياً كثيراً ، وقتلوا ونهبوا ، وفي هذه الاثناء وصل عسكر زهير ، فأمر عسكره بالمسير الى الساحل طمعا بأن يدرك سبى المسلمين ، فيعملوا على انقاذهم فاشرف على الروم ، فاذا هم في خلق عظيم ، فلم يستطع التراجع وخاصة وقد استغاث به المسلمون وصاحوا ، والروم يدخلونهم المراكب ، فنادى على أصحابه - وكان اكثرهم من اشراف العرب المجاهدين التابعين - أن ينزلوا للقتال فنزلوا فتلقاهم الروم بعدد عظيم من جندهم ، والتحم الفريقان واشتدت المعركة وتكاثر عليهم الروم ، فقتل زهير ومن معه من اشراف العرب ، وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية ، وأما من نجا من العرب فقد توجهوا الى دمشق ، فدخلوا على عبد الملك بن مروان ، فاخبروه بمأساة زهير وأشراف العرب ، فعظم ذلك عليه لفضل زهير ودينه ، وكانت مصيبة مثل مصيبة عقبه قبله . (٢)

ويحلل لنا محمود شتيت خطاب هذه المعركة بخبرته العسكرية فيقول : وكان هدف الروم من حملتهم هذه جيش زهير

-
- (١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٨-٢٣٩
- (٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣-الناصرى
السلامى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩١-٩٢ - السيد
عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ ، محمود
شيت خطاب ، المرجع السابق ، ص ١٥٧-١٥٨ - ابراهيم
حركات : المغرب عبر التاريخ ، ١٤ ، ص ٩٦ - عمر فروخ :
العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط
ص ١٦٩ الا انه يذكر ان موته كان في سنة ٦٩ هـ / ٦٨٩ م .

بالدرجة الاولى لذلك جرى انزالهم في برقة لافى الموانى الافريقية
الآخري ، وهى على طريق عودته من القيروان الى مصر لاجل سحق
جيش زهير وهو الهدف الاستراتيجى الحيوى في الحرب ، لأن القضاء
على الجيش معناه انتهاء كل مقاومة معادية . (١)

ومما يدل ايضا على ان خطة الروم كانت ترمى الى القضاء على
جيش زهير بالدرجة الأولى ، هو تحشيد جيش ضخم من القسطنطينيين
ومن صقلية في آن واحد وتوقيت انزاله في برقة في وقت معين محدد
هو موعد وصول جيش زهير الى تلك المنطقة ، ولو كانت نيات الروم
مجرد غارة لمابذلوا كل هذه الاستعدادات الضخمة في اعداد الخطط
الموقوتة وتحشيد الجيوش الكبيرة ، ولما أجروا انزالهم في وقت وصول
طلائع جيش زهير الى برقة أو قبله . (٢)

فمن الواضح اذا أن الروم أجروا انزالهم في برقة - مع كل
ما ذكر من ضخامة الجيوش ، وضخامة الاستعدادات - للقضاء على جيش
زهير ليفوتوا عليه فرصة نجاحه الكبير في معركة (ممس) وليستعيدوا سلطتهم
الكاملة على افريقية . (٣)

وهكذا سقط زهير وكثير من رجاله شهداء في ساحه الوغى
لأن القوتين الرومية والعربية لم تكونا متكافئتين ، ولأن العرب كانوا
مجهدين من سفرهم الشاق الطويل من القيروان آلاف الأميال ، ولضييق
الوقت المتيسر لزهير لاعداد الخطة العسكرية الدقيقة لمقاومة الغزو ،
ولتلقى الامدادات من المشرق . (٤)

-
- (١) محمود شيت خطاب ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٨
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٥٨ - ١٥٩
(٣) نفس المرجع السابق والصفحة .
(٤) نفس المرجع السابق ، ص ١٦١

فاندفع زهير على رأس قواته مسيرين بعاطفتهم الدينيه المتأججة
عند ما رأوا الرجال والاطفال والنساء أسرى ياقدون قسرا الى سفن
الروم ، فأدى هذا الى تحمسهم وأقدامهم دون تدبير وتقدير الى
مهاجمة الروم دون خطة مناسبة ولا قوات كافية ، مما أدى الى تورط
قواته وتورطه هو نفسه في معركة خاسرة دفع هو ورجاله حياتهم الغالية
ثمنا لها . (١)

وهكذا كانت خاتمة حياة زهير ، اذ استشهد استشهادا
لا يقل روعة وجلالا عن استشهاد عقبة بن نافع الفهري ، وقد أدى هذا
الحدث الى اثاره تائرة العرب المسلمين ، وحفزهم الى مواصلة
الفتح لادراك ثأر زهير واصحابه ، فكان لمقتله اثر عظيم في مسير
الفتوح ، اذ كان زهير قد حسب - بعد قتله كسيلة - ، أن كل
مقاومة للبلاد قد خمدت ، وأن البلاد أصبحت آمنة مطمئنة ، فكان
مقتل زهير منبها للعرب الى ماينجم عن ترك الروم من خطر ، والى
مايمكن ان يسببه للعرب من المتاعب اذ تركوا في مدائن الساحل
يستعيدون ماضع من قوتهم ، ويستمدون العون من بيزنطة نفسها
وكما كان مصرع عقبة محمدا لمهمة زهير ، كان مقتل زهير محمدا لمهمة
حسان بن النعمان - من بعده - فانفق ما قدر عليه من جهد
في القضاء على الروم ، حتى تمكن من ذلك تماما . (٢)

وهكذا مما سبق ذكره من الاحداث نرى مدى أهمية انشاء

(١) محمود شتيت ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

قاعدة بحرية تكون نواة البحرية الاسلامية في بلاد المغرب المستقلة عن البحرية الاسلامية في مصر ولنقوم بحماية السواحل الافريقية والدفاع عنها من غارات البيزنطيين . وفى نفس الوقت ينفرد بحركاتها فى البحر الأبيض المتوسط وبفتوحاتها فى صقلية وغيرها من القواعد البيزنطية التى كانت تشكل خطراً مستمراً على هذه السواحل التونسية (١)

كان هذا أحد الاسباب التى أدت الى وجود هذه القوة البحرية ولكن يوجد سبب آخر يعتبر السبب الأساسى الذى من أجله قام حسان بن النعمان بإنشاء دار الصناعة وبناء البحرية الاسلامية فى بلاد المغرب .

فقد رأى حسان بن النعمان بخبرته الطويلة فى قتال الروم ان مدينه قرطاجنه (٢) التى أصبحت فى حوزة المسلمين رغم شهرتها

(١) عن إنشاء دار الصناعة فى تونس انظر:

السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، ص ٢٩ - ابراهيم العدوى ، الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٥٩ - احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٤٥ - ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، م ١ ، ص ٩٧ - محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١١٥ - عبد الوهاب بن منصور :

قبائل المغرب ، ج ١ ، ص ١١٣ .
(٢) مدينه قرطاجنه : (يسميها أهل تونس اليوم بالمعلقة ، وكانت قرطاجنه مدينه عظيمه تضرب أمواج البحر سورها وهى من مدينه تونس على اثنى عشر ميلا . وكان بينهما قرى متصلة عامرة . وكان البحر لم يخرق الى تونس ، وانما انخرق بعد ذلك . وفى هذه المدينه آثار عظيمه وأبنية ضخمة ، وعمدة ثابتة غليظه ، تدل على عظم قدرة الامم الدائرة . وأهل تونس الى الان لا يزالون يطلعون فى خرابها على اعاجيب ومصانع لا تنقطع بطول الامان لمتأمل) . وهذه المدينه التونسية لا تزال باقية الى يومنا هذا (ابن عذارى : المصدر السابق ،

ج ١ ، ص ٣٤ - ٣٥) .

الطويلة في عالم البحر الأبيض المتوسط لم تعد تصلح كقاعدة للأسطول العربي الذي يعتزم انشاءه وخصوصا بعد ان قام حسان بتخريبها بعد أن فتحها ولم يعجبه موقعها لأنها كانت عارية مكشوفة فسي البحر ليس لها الجبل أو الخندق الذي يحصن (تونس) فكان من السهل على العدو أن يهاجمها في غفلة من المسلمين فيدركوا غرضهم منها . (١) ولذلك رأى حسان ان يقيم تجاه قرطاجنة مدينة عربية اسلامية ، تقع على البحر وتشرف على مدخل قرطاجنة . (٢)

واليك نص ما أورده البكري في بيان الحادثة التي أدت الى سرعة بناء قاعدة تونس " وأغارت الروم من البحر على من كان بقي من المسلمين بمدينة تونس خرجت اليهم في المراكب فقتلوا بها وسبوا وغنموا ولم يكن للمسلمين شيء يحصنهم من عدوهم انما كانوا معسكرين هناك . وبلغ حسان ذلك فرحل الى تونس وأرسل أربعين رجلا من أشـراف العرب الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه بما نال المسلمين من البلاء . وأقام هناك مرابطا ينتظر رأى عبد الملك . فلما بلغ ذلك عبد الملك عظم عليه وكان التابعون اذ ذاك يتواجد بينهم اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنس بن مالك ، وزيد بن ثابت ، فقالا للمسلمين من رابط برادس يوما فله الجنة حتما . ونصحوا عبد الملك ايضا بنصرة هؤلاء القوم وأن يعمل على تأمين حياتهم من العدو وله الاجر والثواب لما لهذه البلد المقدسة من فضل " . (٣)

-
- (١) محمد علي ديبوز : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١١٦
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ -
ابراهيم العدوي : الأمويون والبيزنطيون ، ص ٢٥٨ - محمد
علي ديبوز : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١١٥
(٣) البكري : المصدر السابق ، ص ٣٧ - ٣٨

لكن الرقيق القيرواني يقول فيما كتبه علماء المشرق الى أهل افريقيه
مانصه : " من رابط عنا يوما برادس حججنا عنه حجه وعظم قدر رادس عند
العلماء وفضلها " . (١)

فكتب عبد الملك بن مروان الى اخيه عبد العزيز والى مصر
أن يوجه الى معسكر تونس ألف قبطى بأهله ، وولده وأن يحملهم
من مصر ويعددهم أحسن إعداد وأن يعمل على راحتهم في السفر وعلى
أن يصلوا آمنين الى تونس وكتب الى حسان يأمره ببناء دار صناعة
تكون قوة وعدة للمسلمين لمهاجمة الجزر والسواحل الاوربيه وتكون
دفاعا للسواحل الافريقية حتى آخر الدهر وكذلك ليجعل السواحل
ينشغلون بالدفاع عن سواحلهم بدلا من الهجوم على سواحل المسلمين .

وقد أمر حسان أن يجعل على البربر جلب الخشب من اعالي
الجبال لانشاء المراكب التي سوف يتولى صناعتها المصريون . (٢)

وفي هذا نرى مثالا للسياسة الاسلامية التي تدعو الى التضامن
البحري بين سائر الاقاليم الاسلامية المطللة على البحر الابيض المتوسط

-
- (١) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقيه والمغرب ، ص ٦٥-٦٦ -
حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٦١-٦٢
(٢) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٨ - الرقيق القيرواني : المصدر
السابق ، ص ٦٥-٦٦ - ابراهيم العدوى : الأساطيل
العربية ص ١٤١-١٤٢ ، السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار
العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٢-٣٣ - حسن حسنى
عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٦١-٦٢ - محمد
عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب
والاندلس ، ص ٢١

وقد أدرك حسان بن النعمان بعبقريته وخبرته في محاربة الروم مزايا تونس (ترشيش أو طرشيش) وعرف أن بحيرتها تليق لتكون مرفأً لأسطول المسلمين في المغرب ، وأن المدينة تليق سكناً لعماله وللمسلمين الذين سيستوطنونها . لذلك اختار تونس (ترشيش) لهذا الغرض ، وهي موضع قديم يقال لبحرها بحر رادس وقيل آدس ، وكذلك يسمى مرساها رادس ، وهي مجرى قرية صغيرة تقع بجوار بحيرة الى الجنوب من مرسى رادس وعلى بعد نحو اثني عشر ميلاً شرقى قرطاجنة ، وعلى بعد مائة ميل من القيروان وهي مدينة يونانية أضمل أمرها ، ولم يبق من معالمها غير ديار مقام به بعض الرهبان . (١)

وقد قيل في سبب تسميتها تونس أن العرب كانوا يسمعون أصوات بعض الرهبان طول الليل في صلواتهم ، فيتأمنون بهم ، فقالوا : هذه البقعة تونس وقيل : ان المسلمين سموها : تونس لجمالها ولما تدخله من الانس والبهجة على القلوب . (٢)

وهكذا وصل القبط الى تونس والتقوا هناك بحسان الذى قام بتنفيذ اوامر الخليفة عبد الملك فجعل معظم القبط في رادس فقاموا بحفر البرزخ الذى يفصل البحيرة عن البحر ، كما حفر في ملاء

(١) ابراهيم العدوى : الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٥٨-٢٥٩
محمد على ديبوز : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ١١٥ - السيد
عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٤٨-٢٤٩
صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط ، ص ٣٨ .

(٢) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ح ١ ، ص ٢٠٢ .

البحيرة الضحلة قناة عميقة تستطيع السفن السير فيها حتى تصل إلى تونس الميناء الجديد الذي قام القبط ببنائه وعمارته .

أما البربر فقد كانت مهمتهم جلب الأخشاب اللازمة لصناعة السفن من سفوح الجبال لدار الصناعة ليقوم القبط بتصنيعها إلى سفن والتي عملوا على تعليم المسلمين البربر والعرب صناعتها فبرعوا فيها براعة القبط ، ولم يمض زمن طويل حتى انشأ حسان ثمانمائة سفينة . وهكذا أصبحت دار صناعة تونس متصلة بالميناء ، والميناء متصل بالبحيرة ، والبحيرة متصلة بالبحر . (١)

وهكذا نشأ الأسطول الإسلامي في المغرب ، وهكذا صار للمسلمين قاعدة بحرية قوية تنعم ببحيرة واسعة محمية من أمواج البحر وبعدة عن قوات البيزنطيين البحرية ، وأضحل بذلك شأن قرطاجنة وانصرف الناس والتجار عنها ولم تعد مدينة يرغب البيزنطيون في استردادها .

وبذلك حقق حسان أول الخطوات الهامة في تكوين الأسطول الإسلامي في حوض البحر المتوسط الذي لم تقتصر مهمته على الدفاع عن شواطئ المسلمين فحسب وإنما سيكون قاعدة للغزو والهجوم والجهاد في سبيل الله في الجزر البيزنطية وفي مقدمتها صقلية وسردانية وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط ، بل وفي جنوب إيطاليا . كما كان يستفاد من هذا الميناء في لجوء السفن الإسلامية

(١) البكري : المصدر السابق ، ص ٣٩ - إبراهيم العدوي :
الأساطيل العربية ، ص ١٤١ - السيد عبدالعزيز
سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ، محمد
على دبور : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١١٥ - سعد زغلول
عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ج ١ ، ص ٢٣٣ .

اليه في فصل الشتاء للاحتماء في مرساه عندما تهب العواصف والأنواء .
بالإضافة الى ذلك فهو دار صناعة تعمل على صناعة السفن والآلات الحربية
وتقوم بالصيانة اللازمة للسفن بعد رجوعها من جهادها . (١)

وهكذا أصبحت تونس مكانا مرغوبا فيه ، مليئا بالعمران بفضل
اقبال المسلمين الفاتحين على الاستقرار به واتخاذهم موطناً لهم .
وبالإضافة الى ما سبق ذكره من استفادات فقد استفاد المغرب من تكوين
تلك القاعدة في امتزاج الدماء المصرية والبربرية في المغرب وذلك بعد
وصول العائلات المصرية القبطية لبناء القاعدة ، فقد أسلمت أكثر
هذه العائلات واستقرت في المغرب وامتزجت بالعائلات البربرية .
ان اقرب الناس الى سكان مصر الاقدمين انما هم البربر ، لأن كليهما
من حام بن نوح ، فجدهما واحد ، وتجاورهما قرونا قد جعل كلا منهما
يتأثر بالآخر ، فزادوا تقارباً في كثير من النواحي ، فلا عجب ان يستطيب
المصريون المقام في بلاد الامازيغ ، لأنهم ابناؤهم ولا بد وأن يفتنهم
المغرب بجماله وتروقه تونس بحسنها وتعجبهم شخصية حسان وعدله
فيؤثرون المغرب وطناً وتونس الجميلة سكناً ، فتتشق بهم العلاقات
بين مصر والمغرب . وقد وطد الله هذه العلاقات بسبب الديـ
الاسلامي ، وبسبب امتزاج الدماء فاصبح البلدان وطناً واحداً للمسلمين (٢)

كما شيد حسان بن النعمان في تونس بجانب دار الصناعة
مسجداً جامعاً ، وداراً للامارة ، وثكنات للجند للمرابطة (٣) .

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع
السابق ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢) محمد علي ديبوز : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ح ٣ ، ص ٤ - السيد

عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

وقد اختلف مؤرخو العرب في اسم مؤسس دار صناعة تونس ، فبعضهم ينسبها الى حسان بن النعمان ، وبعضهم ينسبها الى موسى بن نصير ، وبعضهم الى عبيد الله بن الحجاب (١) . غير أن عمل ابن الحجاب في حقيقة الامر لم يكن يعد و ترميم بنـاء دار الصناعة وتجديدها ، ولذلك فان الخلاف يصبح منحصرًا بين حسان ابن النعمان وموسى بن نصير . وللتوفيق بين الرأيين نرى أن حسان ابن النعمان هو الذى شرع في انشاء دار الصناعة بتونس وذلك بعد أن جرى البحر بين مرسى رادس وموضع دار صناعة السفن الواقع الى الشرق من تونس ، ثم استكمل موسى بن نصير بناءها من بعده ، ذلك لان موسى بن نصير تولى على افريقيه من قبل عبد العزيز بن مروان في اواخر سنة ٨٥ هـ ، وشغل منذ بدء ولايته باستئصال ثوار البربر في افريقيه والمغرب الاوسط ، ولم يغز في البحر الا في آخر سنة ٨٥ هـ الغزوة المعروفة بالاشراف ، في الوقت الذى توفى فيه عبد العزيز ابن مروان وقبيل وفاة عبد الملك بشهور معدودة .

واذا كان موسى بن نصير هو الذى أسس تونس ودار صناعتها فكيف نعلل مقاطعة حسان بن النعمان لعبد العزيز بن مروان واتصاله مباشرة بعبد الملك بن مروان الذى امر اخاه عبد العزيز عبد العزيز بتسيير الاقباط الى تونس ، وكيف نفسر قيام موسى بإنشاء دار الصناعة وإنتاج السفن في نفس السنة التى تولى فيها على المغرب وغزا فيها بالمراكب التى صنعت بتونس الى صقلية في غزوة الاشراف ؟

(١) الرقيق القيروانى : المصادر السابق ، ص ١٠٧

من هنا نجد أن الرأي الأقرب للصواب هو أن حسانا هــو
مؤسس دار صناعة تونس ، وأن موسى ماكان الا مجددا لها
وموسعا لانتاجها . (١)

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ،
ص ٣١ - ٣٢ .

٢- دور البحرية الاسلامية الناشئة في الدفاع

عن شواطئ بلاد المغرب

بعد تأسيس مدينة تونس سنة ٨٤هـ / ٧٠٣م أصبحت ولاية افريقية قوة بحرية بعد ان كانت قوة برية فقط منذ انشاء القيروان بعيدا عن الساحل (سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م) خشية الاسطول البيزنطي . وبفضل المراكب الحربية التي كانت تصنعها دار الصناعة في تونس، لم يعهد عرب افريقية ينتظرون مجيء الأسطول الرومي من صقلية أو غيرها من سواحل القسطنطينية لكي يقفوا له بالمرصاد ويصدوه عن ديارهم ، بل أصبحت مراكبهم تجوب البحر الأبيض المتوسط تعترض مراكب الروم ، وتغير على سواحل جزرهم في هذا البحر بصفة خاصة .

وهكذا قام أسطول تونس بغارات ناجحة على صقلية وسردانية وكورسيكا (قورشيكا) قبيل سنة ٩٠ / ٧٠٨م ، وكانت هذه الغارات على هذه الجزر التمهيد الحقيقي لعملية الغزو الكبرى لشبه جزيرة ايبيريا (١)

وقد حال انشاء حسان بن النعمان لدار الصناعة في تونس بين الروم وبين افريقية ، فلم يستطيعوا بعد ذلك النزول الى أراضيها فأمن المسلمون شرهم ، وأصبح حسان بن النعمان لا يغزو احدا ولا ينازعه احد ، وبذلك انصرف عن الجهاد الاصغر وهو قتال الأعداء ، الى الجهاد الاكبر وهو الاصلاح . فوطد اركان دولة الاسلام في المغرب ونشر الاسلام في ربوعه ، فاصبح الفتح الاسلامي هناك بحق فتحا مستمرا . (٢)

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٩

(٢) محمود شيت : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤

ولم تبدأ حملات المسلمين البحرية في البحر الأبيض المتوسط لفتح صقلية وجنوب إيطاليا الا في عهد موسى بن نصير ، ولكن بعد ان اهتم بعمران مدينة (تونس) ، وعمل على توسيع دار صناعتها ، كما شق القناة التي توصل بين الميناء رادس وبين المدينة على طول اثني عشر ميلا حتى دار الصناعة ، وبفضل هذه القناة أصبحت المدينة نفسها مشتى للمراكب اذا هبت الأنواء والرياح ، ثم أمر بصناعة مائة مركب . (١)

وكانت أولى هذه الحملات تلك التي قام بها عبد الله بن موسى ابن نصير عندما دعى موسى بن نصير للتأهب لركوب البحر ، وأعلن انه راكب بنفسه فأسرع الناس للاشتراك في هذه الحملة ، فلم يبق شريف ممن كان معه الا وقد ركب في المراكب التي جهزت لهذه الغزوة ، ثم عقد لواءها لولده عبد الله وولاه عليهم ، وأمره ان يتوجه الى هدفه . وأراد موسى بن نصير بما ذكره من انه راكب بنفسه ان يدفع أهل الجلد والشرف للاشتراك في هذه الغزوة ، ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة الأشراف . وسار عبد الله بن موسى ابن نصير في مراكبه ، وكان المسلمون ما بين الألف الى التسعمائة ونزل أرض صقلية ، فدحر قوتها الرومية ، وغنم منها مغانم كثيرة فقد بلغ سهم الرجل مائة دينار ذهباً . ثم انصرف عائداً سالماً ، وكان ذلك في سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م . (٢)

-
- (١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٦ - محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .
- (٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٠٢ ، احمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ، ص ٥٣ محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٠

ويذكر لنا سعد زغلول عبد الحميد أن العدد السابق للمجاهدين في هذه الغزوة يعنى أن عدد سفن الحملة كان حوالى عشر سفن . كذلك يذكر لنا أن تاريخ الحملة في الرواية السابقة كان ٨٥هـ / ٧٠٤ م ، إلا أنه لما كانت ولاية موسى للمغرب في سنة ٨٦هـ / ٧٠٥ م ، فأغلب الظن أنه يجب تصحيح التاريخ الى سنة ٩٥هـ / ٧١٤ م ، وقتما كان عبد الله بن موسى ، قائد الحملة ، نائبا لوالدة على افريقية . (١)

ثم كانت الحملة الثانية وقد قام بها عياش بن أخيل (٢) وأغار فيها على مدينة سرقوسة (٣) بصقلية وكان هذا في سنة ٨٦هـ / ٧٠٥ م . (٤)

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٠ -

١٩١ .

(٢) يذكره الضبى (بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ص ٤٣٠ - ٤٣٢) عباس بن أجيل ، وعياش بن سراحيل الحميرى ، وقد ولى عياش البحر زمن بنى أمية ، ودخل الأندلس في حملة موسى بن نصير ، ثم قدم بالسفن منها الى افريقية سنة مائة هجرية .

(٣) سرقوسة : (أكبر مدينة بجزيرة صقلية ، وكان بها سريـر

ملك الروم قديما . .) (ياقوت : المصدر السابق ؛ م ٣ ، ص

٢١٤ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٢ - السيد

عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ،

ص ٣٥ - سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ،

ج ٢ ، ص ١٩٠ - محمود شيت خطاب : المرجع

السابق ، ص ٢٣٨ - ابراهيم على طرفان : المسلمون

في اوربا في العصور الوسطى ، ص ٥٧ .

ويذكر خليفة بن خياط انه يسجل غـارة
على صقلية في نفس السنة قام بها المغيرة بن ابي بـردة
العبدى . (١)

وفي سنة ٨٨ هـ / ٧٠٧ م وجه موسى بن نصير نظره الى
السيطرة على جزيرة قوصرة (٢) ، وهى تعتبر من الجزر ذات الموقع
الممتاز الذى يساعد على الدفاع عن بلاد المغرب ويستطيع من
يمتلکها اتخاذها قاعدة للتوسع البحرى ، وذلك لقربها من صقلية
التي كانت القاعدة الكبرى لاسطول الروم فى غرب البحر الأبيض
المتوسط وبها مركز المقاومة لنشاط البحرية الاسلامية .

فعندما صمم موسى بن نصير على فتحها وعلى اتخاذها
قاعدة ومركزا من أهم المراكز للاسطول الاسلامى لصد هجمات الروم
أنتدب لهذه المهمة قائدا من القادة المسلمين الأبطال وهـو
عبد الملك بن قطن الفهرى ، الذى توجه على رأس أسطول قوى من
القاعدة البحرية فى تونس ، واستطاع فتح جزيرة قوصرة ، وضمها
الى ولاية افريقية . (٣)

ولكن البكرى يذكر أن من أرسل عبد الملك بن قطن الفهرى
لغزو قوصرة هو الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، فيذكر مانصه

-
- (١) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ص ٩٢
(٢) جزيرة قوصرة : هى جزيرة فى بحر الروم بين المهدية وجزيرة
صقلية (ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ، ص ٤١٣)
(٣) حسن حسنى عبد الوهاب : قصة جزيرة قوصرة العربية ،
المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثانى ، العدد الثانى ،
ص ٥٩ - ابراهيم العدوى : الاساطيل العربية ، ص ٧٢ -
٧٣ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، المرجع
السابق ، ص ٣٥

" فاغزى عبد الملك بن مروان عبد الملك بن قطن في البحر ففتح ما كان هنالك من الجزائر والقصور خربها وقفل ظافرا " (١)

وكذلك وجه موسى بن نصير ولده عبد الله بالسفن المغربية الى جزيرتى منورقة (٢) وميورقة (٣) بالقرب من سواحل اسبانيا فانتصر على الروم لذين بها وغنم وسبى وعاد سالما ، وكان ذلك في سنة ٨٩ هـ / ٧٠٨ م . (٤)

وكانت هذه الغزوات التى وجهها موسى بن نصير ضد جزيرة صقلية وقوصرة وميورقة ومنورقة تستهدف شل تهديد الاسطول البيزنطى الموجود في قواعده في هذه الجزر في زحفه لإتمام فتح المغرب

-
- (١) البكرى : المصدر السابق ، ص ٤٥
(٢) منورقة : جزيرة عامرة في شرق الاندلس قرب ميورقة .
(ياقوت : المصدر السابق ، م ٥٥ ، ص ٢١٦) .
(٣) ميورقة : جزيرة في شرق الاندلس ، بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة (ياقوت : المصدر السابق ، م ٥٥ ، ص ٢٤٦) .
(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١١٢ - المقبرى التلمسانى : نفح الطيب ، م ١٠ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ - ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٤ ، ص ١٨٧ - الناصرى السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٦ - احمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٤٦ - ابراهيم العدوى الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٦٢ ، ابراهيم على طرخان المرجع السابق ، ص ٧٠

وبذلك استطاع موسى بن نصير أن يتجنب الخطأ الذى وقع فيه منذ عشرين سنة مضت عقبة بن نافع ، وكذلك زهير بن قيس ، ومن ثم كان تحركه من تونس الى سبته (١) سريعا ومكلا بالنصر . (٢)

ثم توجهت أنظار موسى بن نصير لفتح شبه جزيرة أيبيريا لكي تكون هذه الخطوة نقلة جديدة في الفتوحات الاسلامية لتمام سيادة المسلمين على البحر الأبيض المتوسط . ففي رمضان سنة ٩١ / يولييه سنة ٧١٠ م وجه موسى بن نصير احد قادته من البربر ويدعى طريفابن مالك على رأس حملة بحرية قوامها اربعمائة راجل ومائه فارس ، فعبر البحر في اربعة مراكب حتى نزل ساحل البحر بالاندلس فيما يحاذى (طنجة) وهو المعروف اليوم بـ (جزيرة طريف) (٣) وقد سميت باسمه لنزوله فيها ، فأغار منها على ما يليها الى جهة (الجزيرة الخضراء) (٤) وأصاب سببا ومالا كثيرا ، ورجع سالما .

- (١) سبته : هى بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر ، وهى على بر البربر تقابل جزيرة الاندلس على طرف الزقاق الذى هو أقرب ما بين البر والجزيرة . وهى مدينة حصينة ضاربة في البحر . . . بينها وبين فاس عشرة ايام (ياقوت : المصدر السابق ، م ٣٣ ، ص ١٨٢ - ١٨٣)
- (٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٠٢
- (٣) جزيرة طريف . يذكر محمود شيت خطاب (المرجع السابق ، ص ٢٤٤) انها تقع على مقربة من مدينة طريف الحالية ، التى سميت باسمه لنزوله فيها وتعرف هذه الجزيرة باسم Isla de Las Balomas (لاس بالوماس)
- (٤) الجزيرة الخضراء هى مدينة مشهورة بالاندلس ، وقبالتها من البربر بلاد البربر سبته ، من اشرف المدن واطيبها ارضا ، وسورها يضرب به ماء البحر ، ومرساها من اجود المراسى للجواز واقربها من البحر الاعظم . (ياقوت : المصدر السابق ، م ٢ ، ص ١١٦) .

وكانت هذه الحملة تعتبر حملة استكشافية لاستطلاع احوال شبه جزيرة ايبيريا ومعرفة مدى قوتهم واستعدادهم . (١)

وفى الاثنين ٥ رجب سنة ٩٢ هـ / ٢٧ ابريل سنة ٧١١ م توجه طارق بن زياد مولى موسى بن نصير - وهو من البربر - لفتح الأندلس على رأس جيش قوامه ، سبعة الاف مقاتل من البربر باستثناء ثلاثمائة من العرب فركب هو وجنده في أربعة سفن أمهم بها حاكم سبتة يوليان (ليليان) لرغبته في مساعدة المسلمين لفتح شبه جزيرة ايبيريا انتقاما من ملكها لذريق (٢) . وقيل في رواية اخرى انه أبحر في مراكب تجار الروم التي كانت تختلف الى الاندلس . (٣) .

ولكن هذه الرواية التي ذكرت سابقا عن مساعدة يوليان للمسلمين بامدادهم بالسفن الاربع امر يدعو الى المناقشة وهو ما قام به السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى في كتابهما عن تاريخ البحرية الاسلامية فيناقشان هذه القضية على النحو التالى (ان قضية استعانة طارق بن زياد بسفن يوليان صاحب سبتة ، الاربعه أوسفن التجار التي كانت تختلف بين ساحل طنجه وجبل طارق حتى لا يشعر الناس بحركة الغزو ، لا مربعيد عن الحقيقة . فمن المعروف ان دار الصناعة بتونس كانت تنتج سفنا اشتركت كما رأينا في كثير من الغزوات البحرية ضد الرووم ، فمن الطبيعى اذا أياغامر موسى ابن نصير بجيشه لينقله الى الاندلس بسفن اربعة لا يملك غيرها تنقل

-
- (١) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤-٢٤٥ .
 محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ج ١ ، ص ٤٠-
 احمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٥٥ .
- (٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٣- محمد
 عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ج ١ ، ص ٤٠-٤١ -
 احمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٥٦
- (٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦- ابن خلدون - المصدر السابق
 ج ٤ ، ص ١٨٨- ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٢٠٤-
 ص ٢٠٥- ٢٠٦- المقرئ التلمساني : المصدر السابق م ١ ، ص ٢٣٠-٢٣١

فوجا بعد فوج ، وتختلف على هذا النحويين ساحلي المجاز مـرات
عديدة قد تستغرق لنقل جيش طارق ومعداته أكثر من يومين حـتى
توافدت جموع المسلمين عند الجبل الذى عرف فيما بعد بجبل طـارق
وإذا كانت هذه السفن حقا ملكا ليوليان فكيف يجوز لطارق أن يـقوم
بحرقها بقصد حث رجاله على الاستبسال في القتال ، فيقاتلون قتـال
الموت ولا يفكر احدهم في الفرار اعتمادا على وجود السفن ؟ ولـسنا
نصدق أن طارقا يقدم على مثل هذا العمل الذى يدل على جهـل
بالقيادة ، لأنه بذلك يقطع على نفسه خط الرجعة . وإذا افترضنا
انه احرق السفن الأربعة ، فما الفارق بين أن يتركها راسية وبين ان يحرقها
في حالة انهزامه ؟ اذ ليس من المعقول أن يتدافع جنده فـي
تلك الحالة ليركبوا هذه السفن الأربعة التى لا تتسع لحمل عـشر الجيش
اذا اعتبرنا أن كل مركب منها كانت تتسع لما يقرب من مائة رجل . ونعتقد
أن سفنا عديدة لا يقل عددها عن خمس وثلاثين سفينهبالا ضافة الى مراكب
اخرى لنقل المعدات والاقوات قد استخدمت في عملية النزول بالأنـدلس،
وأن طارقا فيما يظهر احرق بعض هذه السفن حتى يدفع الحماس فـي
جنوده فيوطنوا انفسهم على الاستشهاد او الفتح ، فحذف النـساع
النقطة من الخاء ، وخرق السفن يختلف كثيرا عن حرقها لأن الخـرق
من الممكن مداواته وعلاجه عند الضرورة وقد يكون ذلك هو المقصـود .
ويبدو أن موسى بن نصير منذ وجه طارقا لوجهته ، أمر بصنـاعة
مزيد من السفن لنقل دفعة جديدة من الجند عدتها خمـسة
آلاف مددا لطارق ، فصنع منها عدة كثيرة . كذلك نعتقد أن دار -
الصناعة بتونس انتجت عددا آخر من السفن استخدمها موسى بن نصير
في حملته على الأندلس في سنة ٩٣هـ / ٧١١م وهى حملة أضخـم
بكثـر من حملة طارق اذ كان جيشة يتألف في هذه المرة من ثمانية عشر

الفا من العرب ووجوه الناس . (١)

ومنذ أن وصلت هذه السفن الى الأرض الخضراء أرض شبه جزيرة
ايبيريا تحولت جميع المعارك التي قام بها الفاتحون المسلمون الى معارك
برية من النوع الذى ألفوه وتعودوا عليه في عصر الفتوح الاسلاميــــــــــــة
الأولى ، ولذلك توالى انتصارات المسلمين في شبه جزيرة ايبيريا .
ولكن كان لهذا الأسطول الاسلامي أثر غير مباشر في حماية خطوط مواصلاتهم
الطويلة مع شمال افريقية ، والتي هى في مواجهة جزيرة صقلية والجزر
الآخرى البيزنطية في غربي البحر الابيض المتوسط .

وبالرغم من عدم استخدام موسى بن نصير وطارق بن زياد للقوة
البحرية في فتح اسبانيا الا انه كان لهذا الفتح نتائج عظيمة الخطـــــــــــــر .
ففيما بين عامي ٧٤ - ٩٩ هـ / ٦٩٣ - ٧١٧ م تمكن المسلمون من الالتفاف
حول الجناح الايمن لقوة البيزنطيين البحرية ، وكان ذلك عن طريق
اختراقهم لمراكز الدفاع البيزنطي ، في شمال افريقية هذا الى جانب
امتداد فتوحاتهم في اسبانيا وجنوب فرنسا ، وبذا يكون الاسلام قد
صار كالهلال على ما يقرب من ثلثي شواطئ البحر المتوسط بين نهـــــــــــــر
الرون وبلاد أرمينية . (٢)

ثم بعد ذلك قرر موسى بن نصير فتح جزيرة سردانية وهى تعتبر
فيما عدا جزيرة صقلية وجزيرة اقريطش من اكبر الجزائر في بحر الـــــــــــــروم

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ،

ص ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - عمرفوخ : المرجع السابق ، ص ٨٣ - ٨٤ ،

هامش رقم ٥ .

(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٣

ونلاحظ أن المؤرخين يذكرون هذه الغزوة مرة سنة ٨٩هـ / ٧٠٧ م ،
ومرة أخرى سنة ٩٢هـ / ٧١٠ م .

ومن ثم فانه من المحتمل أن يكون قد حدث لبس في الحديث
عن هذه الغزوة أو أن تكون هذه الجزيرة قد غزيت مرتين ، مرة سنة
٨٩هـ ، ومرة ثانية سنة ٩٢هـ .

وفي كتاب تاريخ البحرية الاسلامية نجد أن مؤلفيه السيد
عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي في روايتهما لهذه الغزوة
يخلطان بين غزوها في سنة ٨٩هـ وغزوها في سنة ٩٢هـ فيدخلان
أحداث الثانية في الأولى .

فبالنسبة لغزوة سنة ٨٩هـ / ٦١٧ م فقد عقد موسى بن نصير
لواءها لعبد الله بن مرة فغزا سردانيه وافتتح مدائنها ، فبلغ سبيها
ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والفضة والمواد الاخرى (١) .

أما الغزوة الثانية لهذه الجزيرة في سنة ٩٢هـ / ٧١٠ م فرغم
أنها غزوة مشهورة بسبب ماتمخضت عنه من المغامر الهائلة ، الا انها
لم تنته نهاية سعيدة .

وقد عقد موسى بن نصير لواءها الى عطاء بن رافع الهذلي
أو الى عطاء بن ابي نافع الهذلي وهو قائد اسطول مصر الذي أرسله
عبد العزيز بن مروان . وقد خرج عطاء من مدينة سوسة (٢) قاصدا
جزيرة سردانية ، وكان معه أبو عبد الرحمن الحبلى والتابع المشهور
حنش ابن عبد الله الصنعاني (٣) . ونزل الجند العرب على عاصمة

-
- (١) محمود شتيت خطاب : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٠
(٢) سوسة : هي مدينة صغيرة بنواحي افريقيه ، بينها وبين صفاقس
يومان (لمزيد من المعلومات عنها ارجع الى ياقوت ، المصدر السابق ،
٣م ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ - الحميري ، الروض المعطار في خبر
الاقطار ، ص ٣٣١ .
(٣) حنش بن عبد الله الصنعاني ، يذكره (الضبي ، المصدر السابق ، ص
٢٧٨ - ٢٧٩) انه حنش بن عبد الله بن عمرو ابن حنظله =

الجزيرة وكانت الكاتد رائية هدفهم بصفة خاصة ، فاستطاعوا الاستيلاء عليها وعلى ما فيها من ذخائر من آنية الذهب والفضة ، وما كان يحتفظ به رجالها من اموال . وتذكر رواية هذه الغزوة ان المسلمين حينما رأوا هذه الكنوز اغواهم بريق الذهب ، فأخذوا يتفننون في اخفاء هذه المغام عن قائدهم فمرة يضعونها في اجفان السيوف ومرة اخرى في جوف القطط . ولكن الاقدار لم تشأ أن يتمتع الجند المسلمون بما أخذوه ، فلقيت سفنهم المصاعب في رحلة عودتهم الى تونس اذا أصابتهم رياح عاصفة أدت الى غرق كثير منهم قرب الساحل الاфриقى فعثر على اكثر الغرقى وحول اوساطهم تلتف الدنانير التى استولوا عليها . (١)

لكن محمود شيت خطاب يذكر سببا اخر لغرقهم نقلا عن ابن قتيبة في كتابه الامامة والسياسة ، فيقول انه عندما أرسى عطاء في سوسة أخرج اليه موسى بن نصير ما يحتاجه وكتب اليه " ان ركوب البحر قد فات في هذا الوقت وفي هذا العام ، فأقم لا تغرر بنفسك ، فانك في تشرين الاخر ، فأقم بمكانك حتى يطيب ركوب البحر " . فلم يكثر عطاء بنصيحه موسى ، وشحن مراكبه ثم رفع متوجهاً الى هدفه . (٢)

ولذلك كان نصيهم الفرق بسبب عدم اختيار الموعد المناسب لهذه الغزوة وعدم انصياعهم لكتاب موسى الذى يعتبر اكثر خبره وحنكة

بن فهد . . . وهو الصنعانى ، يكنى ابا رشدين من التابعين .
غزا المغرب مع رويفع بن ثابت ، وغزا الاندلس مع موسى بن نصير .
ولمزيد من المعلومات انظر ايضا : الحميدى : جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس ، ص ٢٠١-٢٠٢-٢٠٣ .

- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٤-١٢٥ - سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٦-٢٤٧ السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٥-٣٦ محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠

منه في هذا المجال .

وكان من الطبيعي الايسكت موسى بن نصير على مثل هذا الامر فأرسل اعوانا من رجاله منهم عمر بن أوس، ويزيد بن مسروق ، يفتشون الناجين من رجال الحملة ، وقد اكتشفوا وسائل غريبة تفنن فيها الرجال لاخفاء الذهب ، والفضة منها وضع الدنانير في القصب وجعله كعصى للالتكأ عليها ، او دفتها في الزيت ، او اخفأوها في اماكن اخرى في اجسامهم ، فحمل الأعوان ما عثروا عليه الى دار الصناعة في تونس . (١)

وقد تابع ولاية المغرب بعد موسى بن نصير سياسة الجهاد في البحر ضد البيزنطيين . ففي ولاية اسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر على افريقية قام هو أبو عقيل زهرة بن معبد بن عبد الله التميمي وابو عبد الرحمن الحبلي بغزو بحر افريقية سنة ١٠٠-١٠١ هـ / ٧١٨ - ٧١٩ م . (٢)

أما في ولاية يزيد بن أبي مسلم فقد سير غزوة الى صقلية بقيادة محمد بن اوس الانصاري (٣) ، وعادت الحملة سالمة غانمة ، وكانت سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م (٤) . وفي نفس السنة اشترك محمد بن يزيد القرشي في غزوة اخرى لصقلية . (٥)

-
- (١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٧
- (٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع السابق ص ٣٨
- (٣) محمد بن اوس الانصاري ، وهو من التابعين يروي عن ابي هريرة . . . معروفا بالفقه ، ولي بحر افريقية سنة ثلاث وسبعين ، وغزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير . وكان على بحر تونس في سنة اثنتين ومائة . . .
- (٤) (الضبي : المصدر السابق ، ص ٦٢ - الحميدي : المصدر السابق ص ٤٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٩ - سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٧ - صابر دياب : المرجع السابق ، ص ٣٩ محمد كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ، ج ١ ، ص ٢٧٣ ، حامد زيان غانم : تاريخ الحضارة الاسلامية في صقلية واثارها على أوروبا : ص ١٦
- (٥) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

ثم كانت فترة ولاية بشر بن صفوان على المغرب مليئة بالغزوات البحرية الى جزر سردانية وكورسيكا وصقلية . وربما يرجع ذلك لوصول قائد الاسطول محمد بن أوس الانصارى الى منصب ولاية افريقية باختیار أهل الحل والعقد عقب اغتيال يزيد بن ابي مسلم في سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م - قبل تولى بشر بن صفوان - لأن تولى هذا القائد يعتبر علامة مميزة في تاريخ البحرية العربية الناشئة في تونس ، فقد وصلت تحت قيادته لها مع مطلع القرن الثانى الهجرى الى مرحلة الفتوة والقوة وذلك بعد استيلاء المسلمين على سواحل البحر الغربية في اسبانيا .

وقد كانت هذه الغزوات البحرية سنوية تقريبا مما يعنى ان بشراً ابن صفوان كان يلح بالحرب الدورية على قواعد الروم القرية في البحر بهدف ارباب العدو ، وكذلك حماية لسواحل المغرب . (١)

وكانت اولى هذه الغزوات لسردانية وكورسيكا :-

ففي سنوات ١٠٣هـ / ٧٢١م ، ١٠٤هـ / ٧٢٢م ، ١٠٦هـ / ٧٢٤م ، ١٠٨هـ / ٧٢٦م ، ١٠٩هـ / ٧٢٧م - أى مدة حكم بشر بن صفوان - تتابعت غزوات الاسطول الاسلامي للمغرب لجزيرة سردانية . وكان قائد الحملة الاولى هو يزيد بن مسروق اليحصبي . (٢)

أما الغزوة الثانية فكانت بقيادة عمرو بن فاتك الكلبى . وكانت

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، ص ٣٢٨ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٢ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

القيادة في الحملتين الاخيرتين لحسان بن محمد بن ابي بكر مولى
بنى جمح . وقد كان هدف غزوة سنة ١٠٦هـ / ٧٢٤م جزيرة كورسيكا .
الا ان الغزوتين اللتين غزاها المسلمون في سنة ١٠٤هـ / ٧٢٢م ، ١٠٨هـ /
٧٢٦م لا نعلم وجهتها على وجه التحديد ، وكانتا بقيادة عمرو بن فاتك
الكلبي ، وقثم بن عوانة الكلبي اللذين عادا سالمين بالمغانم . وربما
يكون الاسطول الاسلامي قد غزا فيهما سردانية وكورسيكا هذا اذا لم
يكن قد عرج كذلك في طريقه على صقلية التي يذكر ان بشر بن صفوان
خرج لغزوها سنة ١٠٧هـ / ٧٢٥م . (١)

غزوة صقلية :

وكانت غزوة بشر بن صفوان لصقلية في الحقيقة من أهم اعماله ،
وجميع الروايات التي تتحدث عن هذه الغزوة لا تذكر متى توجه بشر
الى صقلية ، وانما تذكر انه توفي في القيروان بعد الرجوع منها سنة ١٠٩هـ / ٧٢٧م . والظاهر
انه خرج سنة ١٠٧هـ / ٧٢٥م الى صقلية ، وذلك بعد أن وصلت
أخباره عن استشهاد واليه في الاندلس عنبسه بن سحيم الكلبي (٢) في
حملة على بلاد غالة ، فسار بنفسه في البحر متوجها الى صقلية بعد

-
- (١) خليفه بن خياط : المصدر السابق ص ٣٣٦ - ٣٣٨ - ٣٣٩ -
سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٢ - السيد
عبد العزيز سالم واحد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ٣٨
- (٢) عنبسه بن سحيم الكلبي . يذكر الضبي والحميدي انه كان امير
الاندلس في سنة ست ومائة من قبل بشر بن صفوان أمير افريقيه
في ايام هشام بن عبد الملك ومات سنة سبع ومائة ، وقيل سنة
تسع والله اعلم . الضبي : المصدر السابق ، ص ٤٣٢ -
٤٣٣ - الحميدي : المصدر السابق ، ص ٣١٩

بعد أن استخلف على القيروان العباس بن باضعه الكلبى . ويقال ان هذه الحملة انتهت نهاية تعسه نتيجة للظروف الجوية الصعبة حتى انه هلك كثير من أفراد جيشه . ورغم ذلك رجع بشر للقيروان محملاً بسبى كثير ، ولكنه توفى بالقيروان متأثراً بمرض يقال له الدبيلة (وهو خراج أو دمل كبير يظهر فى الجوف فيقتل صاحبه) وذلك فى شوال سنة ١٠٩ هـ / ديسمبر سنة ٧٢٧ م - يناير ٧٢٨ م . يعد أن طالت ولايته لمدة سبع سنوات . (١)

وفى فترة ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمى لافريقه كانت

هناك ست غزوات بحرية كانت وجهتها صقلية على وجه الخصوص ، وربما غزوة واحدة كانت على سردانيه ١ وقد تمت هذه الغزوات على النحو التالى :-

اولى هذه الغزوات كانت فى سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م ، وقد عقد لواءها عبيدة بن عبد الرحمن لعثمان بن ابي عبيدة الفهرى وكان قوامها حوالى ٧٠٠ (سبعمائيه) مقاتل ، وكانت وجهتها سرقوسه عاصمة صقلية . ورغم علم الروم بخروج المسلمين لهم فقد نجحت هذه الحملة ودليل ذلك وقوع قائد عسكر الروم (بطريقهم) اسيرا بين يدي قائد المسلمين عثمان بن ابي عبيدة الفهرى .

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٩ - ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠١ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٨٨ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٩ - الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١٠٢ - السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .

أما الغزوة الثانية فكانت في سنة ١١١هـ / ٧٢٩م وايضا كانت وجهتها صقلية وقد عقد لواؤها للمستنير بن الحبحاب الحرشي . (١)

وكان قوامها ١٨٠ (مائة وثمانين) مركبا فأتى المستنير إلى مدينة سرقوسة وحاصرها ، وبقي فصل الشتاء مجاهدا في صقليته ، وعندما عاد بالغنائم ، ثار البحر واشتدت الرياح مما أدى إلى غرق معظم المراكب ولم يستطع النجاة منها الا ١٧ (سبعة عشر) مركبا ، وقد جرف الموج سفينه القيادة التي بها المستنير إلى طرابلس ، وعندما بلغت هذه المصيبة عبيده بن عبد الرحمن أرسل إلى واليه على طرابلس ، وكان يزيد بن مسلم الكندي ، يأمره بشد وثاق المستنير وأن يبعثه له . فعندما وصل المستنير إلى القيروان قام عبيدة بن عبد الرحمن بجلده وأمر أن يطاف به على أتان كما أمر بحبسائه . ونعتقد أن سبب غضب عبيدة بن عبد الرحمن وعقابه للمستنير ربما يرجع لخطأ في تقدير زمن الغزوة أو لانشغاله بالمغانم التي استهوتته إلى أن هجم عليه الشتاء الذي تكثر فيه العواصف والآنواء مما يعرض حياة المسلمين للخطر إذا ابحروا فيه . فظل في حبسه هذا حتى أفرج عنه إلى الجديد عبيد الله بن الحبحاب . (٢)

(١) يذكر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١١٤ (بأن اسم المستنير هو المستنير بن الحرث الحرشي) .

(٢) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، ص ٣٤١ - ابن الأثير : المصدر السابق ج ٤ ، ص ٢١٤ - السيد عبد العزيز سالم : الجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ - السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ٣٨ - ٣٩ - صابر دياب : المرجع السابق ، ص ٣٩ - ٤٠ - عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

واستمرت سياسة المسلمين البحرية هذه مستمرة ، واستمر الحاج
الغزو الاسلامي البحري على صقلية . ففي سنوات ١١٢هـ / ٧٣٠م ، ١١٤هـ / ٧٣٢م ،
١١٥هـ / ٧٣٣م . أرسلت حملات بقيادة كل من ثابت بن خيثم
(الاردني) وعبد الملك بن قطن ، وبكر بن سويد . وكانت الحملتان
الأولى والثانية موفقتين وعادت كل منهما محملة بالغنائم والسبي .

أما حملة بكر بن سويد (سنة ١١٥هـ / ٧٣٣م) فقد
لقيه الروم وقاموا بقذفه بالنار اليونانية ، ولاندرى الى أى حد أثرت
هذه النار على الاسطول الاسلامي . ثم كانت قبل حملة بكر بن
سويد حملة اخرى في سنة ١١٤هـ / ٧٣٢م . وكانت بقيادة عبد الله
بن زياد الانصاري الى سردانية . (١)

ونأتى الآن للنشاط البحري في عهد عبيد الله بن الحبحاب
الذي كان أيضا على شكل صوائف دورية كل سنة . فقد كانت
هناك حملات من سنة ١١٦هـ / ٧٣٤م حتى سنة ١١٩هـ / ٧٣٧م أى
على مدى أربع سنوات متوالية . أما في سنة ١٢٠هـ / ٧٣٧م فلم
يذكر أن غزا فيها المسلمون ، وربما يرجع ذلك الى احوال
بلاد المغرب الداخلية في هذه السنة . (٢)

وقبل ان يبدأ عبيد الله بن الحبحاب هذا النشاط البحري
قم ببعض التغيرات في اعمال سلفه فأخرج أولا المستنير بن الحبحاب
الحرشى من سجنه وولاه مدينة تونس (٣) ، ولا بد ان هذا التصرف

(١) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، ص ٣٤٣ - ٣٤٥ - ٣٤٦ -
سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٢٧٧

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٧٩

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

يعنى توليته قياده الاسطول ايضا او الاشراف عليه . كذلك اولى عبيد الله عنايته بمدينة تونس وذلك باعتبارها قاعدة لاسطول الاسلامى الذى يقع عليه عبء هذا الكم الهائل من الغزوات البحرية الاسلامية التى ما وراء البحار ، فجدد في هذه المدينة وزاد عليها وعمرها . وينسب اليه انه هو الذى بنى مسجد ها الجامع (١) الذى عرف فيما بعد بمسجد الزيتونه ، ولكن الاصح ان الذى بناه وخطط له هو حسان بن النعمان ولم يكن على عبيد الله سوى تكملته . (٢)

أما فيما يتعلق بالغزو البحرى فقد سير عبيد الله أولى صوائفه البحرية الى صقلية سنة ١١٦هـ / ٧٣٤م بقيادة عثمان ابن ابى عبيدة الفهرى وقد نجحت هذه الحملة فى النزول على بعض نواحي الجزيرة وعادوا بماغنموه من غنائم وأسلاب ، ولكن فى طريق عودتهم اعترض طريقهم وحدات من الاسطول البيزنطى . ورغم ما قيل من أن القتال انتهى بهزيمة الروم الا انه يقال ان البيزنطيين اصابوا المسلمين واسروا منهم عددا من كبار رجالهم مثل ابنى قائد الحملة وهما عمر وأبو الربيع سليمان ، وكذلك عبد الرحمن ابن زياد بن انعم (قضى افريقية بعد ذلك فى عهد المنصور) وأخاه المغيرة بن زياد . (٣) ويذكر ابن الاثير ان عبد الرحمن بن زياد بقى أسيرا الى سنة ١٢١هـ / ٧٣٨م (٤)

-
- (١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ١٨٩ .
 (٢) الناصرى السلاوى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٠٥ - سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق ، ح ١ ، ص ٢٨٠ .
 (٣) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، ص ٢٤٧ - ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢١٩ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٩٨ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ١ ، ص ٢٨٠ - حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٦٥ .
 (٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢١٩

ثم كانت حملة سنة ١١٧هـ / ٧٣٥م . وقد تولى قيادتها
أخو عثمان وهو حبيب ابن ابي عبيده الفهرى ، وتوجهت الى سردانية
وقد كانت حملة موفقة استطاع حبيب ان يفاجئ أهل بعض قرى
الجزيرة وأن يهزمهم هزيمة منكرة ، وعاد محملاً بالغنائم والسبي الكثير (١)

وفي سنة ١١٨هـ / ٧٣٦م سير عبيد الله بن الحبحاب حملة
بحرية اخرى نحو صقلية ، وكانت بقيادة قثم بن عوانه الكلبي ، الذى
نزل على مدينة " أوليه " ولكن هذه الحملة لم يكن حليفها النجاح
ولم تحقق اغراضها بسبب محاصرة الروم لقثم والاحاطة به الا أن حصارهم
له لم يستمر طويلا ، فما لبثوا أن فكوا حصارهم عنه . (٢) هذا ويروى
ان عبيد الله بن الحبحاب اغزى حبيبا ابن ابي عبيده الفهرى فـ
هذه السنة نفسها ١١٨هـ / ٧٣٦م الى جزيرة قوصرة لكنه لم يستولى
عليها (٣) .

وخرج قثم بن عوانه للغزو مرة أخرى في السنة التالية ١١٩هـ /
٧٣٧م ولكن مازال الحظ السيء يلازمه فبعد وصوله سردانية
وهجومه على بعض قلاعها غرق وهو في طريق العودة في ظروف
غير معروفة ، وقد نجا بعض مراكب المسلمين . أما عن سبب غرقهم
فلا نعرف أكان بسبب هجوم اسطول بيزنطى عليهم فاغرقهم أم بسبب
الاحوال الجوية . (٤)

-
- (١) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٤٨ - - سعد زغلول
عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ١ ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ - السيد
عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٩
(٢) خليفه بن خياط : المصادر السابق ، ص ٢٤٩ - سعد زغلول عبد الحميد
المرجع السابق ، ح ١ ، ص ٢٨١ -
(٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ،
ص ٣٩ - ابراهيم احمد العدوى : الاساطيل العربية ، ص ٧٣ - ٧٤ .
(٤) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، ص ٢٤٩ - سعد زغلول
عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ١ ، ص ٢٨١ .

و في سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م كانت هناك حملة كان الهـدف منها محاولة الاستقرار في جزيرة صقلية وقد تولى قيادتها حبيب بن ابي عبيده بن عقبه بن نافع الفهري ، وكان بصحبته ابنه عبد الرحمن بن حبيب (وهو ميتولى افريقيه في سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م) . وما إن وصلت جيوش المسلمين أرض الجزيرة حتى حقق ابنه عبد الرحمن انتصارا ساحقا على الروم وهزمهم ، فكلما قابله جمع من جموع الروم كانت الهزيمة من نصيبهم ، حتى وصل مدينة سرقوسة فقاتل من بها من الروم وانتصر عليهم ، وقام بحصارهم حتى ازعنوا وصالحوا على الجزية ثم رجع عبد الرحمن الى القاعدة التي استقر بها جيش والده حبيب بن ابي عبيده ووجد والده قد قرر المقام بجزيرة صقلية حتى يفتحها كلها . الا انه حدثت ثورة البربر الخارجيه في طنجه فأرسل عبيد الله بن الحبحاب يستدعيه الى افريقيه بسرعة لمواجهة هذه الثورة التي قام بها عامله على طنجه عمر بن عبد الله المرادي . وربما كانت الاضطرابات الداخليه بافريقية هي السبب في عدم خروج صائغه سنة ١٢٠ هـ / ١٢١ هـ / ٧٣٧ - ٧٣٨ م . (١)

كما قام عبد الرحمن بن حبيب بن ابي عبيده الفهري بحملة ثانية على جزيرة قوصرة يريد ضمها لحيازة المسلمين لتكون قاعدة لهم ،

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٢٢ ، الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ - السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ٣٩ - ٤٠ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، السابق ، ح ٢ ، ص ١٩٤ - ١٩٥ - حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٦٥ - حامد زيان غانم - المرجع السابق ، ص ١٧ .

وكذلك خوفاً من الروم الذين بها على قاعدة المسلمين في تونس لقربها من سواحل افريقية ، وكانت هذه الحملة في سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م فاستطاع السيطرة التامة على الجزيرة ، وجعلها قاعدة دائمة للأسطول الاسلامي في غرب البحر الأبيض المتوسط. (١)

وسرعان ما ظهر نشاط الاسطول الاسلامي من قاعدته الجديدة في جزيرة قوصرة ، اذ خرجت سفينة تباعا من تلك الجزيرة واغارت على صقلية وانزلت التخريب والتدمير باسطول الروم الراسى في موانئها . وقد ساعدت تلك الحملات البحرية على دراسة شواطئ صقلية دراسة تامة . وجعلت المسلمين على خبرة كبرى بقواعدها ، وخير الطرق للاستيلاء عليها . وظهرت نتائج حملات المسلمين البحرية التي خرجت من جزيرة قوصرة حين قامت اسرة الاغالية في تونس اتخذت من تلك الجزيرة قاعدة لتحقيق سياستها في الاستيلاء على جزيرة صقلية ، وبعث نشاط بحري اسلامي حافل في وسط وغرب البحر الابيض المتوسط. (٢)

وفي سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م قام عبد الرحمن بن حبيب بالحملة البحرية الثانية بعد توليه أمور افريقيه . فالأولى كانت استيلاءه على جزيرة قوصرة . أما الثانية فقد كانت وجهتها جزيرة صقلية ، فغزاها عبد الرحمن وعاد منها بالسبي والغنيمة . وفي طريق عودته غزا جزيرة سردينيا . وصالح أهلها على أن يدفعوا له جزية سنوية. (٣)

(١) ابراهيم العدوي : الاساطيل العربية ، ص ٧٣-٧٤ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ،

ص ٤٠ .

(٢) ابراهيم العدوي : الاساطيل العربية ، ص ٧٤ .

(٣) الناصري السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٧-١١٨ -

سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٥

ونتيجة لغزوة سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م على صقلية شعر الروم بخطر المسلمين عليهم لأنها كانت درسا قاسيا بالنسبة لهم ولأهل هذه الجزيرة فعملوا على حماية بلادهم وذلك باعمارها من جميع جهاتها ، وتجديد ماكان فيها من الحصون والمعازل . وقد وصل بهم الامر اكثر من ذلك ، فقد كان الروم في عهد قسطنطين الخامس (١٢٤ - ١٥٩هـ/٧٤١ - ٧٧٥م) يأخذون احتياطاتهم العسكرية البحرية خوفا من أن يفاجأهم المسلمون فكانوا يخرجون في الصيف عند ما تتحسن الاحوال الجوية يطوفون في سفنهم حول الجزيرة فيما يسمى الآن بإسم دوريات الحراسة .

ووصل بهم الامر كذلك أنهم عند ما كانوا يصادفون مراكب تجار المسلمين كانوا يستولون عليها . وبهذه الطريقة جمع اسطولهم بين العمل على الدفاع عن الجزيرة وقطع طرق الملاحة الإسلامية . (١)

وكانت هذه الاحتياطات الرومية السابقة الذكر سبباً من أسباب توقف نشاط البحرية الإسلامية الذي قارب النصف قرن . وأما السبب الأساسي لذلك فهو ثورات البربر الخوارج من الصفرية والأباضية التي نشبت في افريقية والتي جعلت آخر ولاية الأمويين والولاة العباسيين ينشغلون عن غزو تلك الجزيرة فتجرات سفن الروم على مهاجمة السواحل الإفريقية ، وتحول المسلمون الى مركز الدفاع بعد ان كانوا من قبل يأخذون موقف المبادأة ونقل العمليات الحربية سواء منها البرية أو البحرية الى أرض العدو . (٢)

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٢٠ ، ص ١٩٥ -

صابر دياب : المرجع السابق ، ص ٤١

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٢٠ ، ص ١٩١ -

السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٢٠ ، ص ٣٨٥ -

صابر دياب : المرجع السابق ، ص ٤١ - حسن محمود واحمد

الشريف : المرجع السابق ، ص ٤١٦ - ٤١٧ - حامد

زياد غانم : المرجع السابق ، ص ١٨٠

ومن خلال فترة الخمول البحري هذه التي امتدت من ١٣٥ هـ حتى ١٨٥ هـ تقريبا / ٧٥٢ - ٨٠١ م قنع المسلمون بنظام الرباطات أو المناور المقامة على السواحل الافريقية (التونسية) كالشأن في رباطات فلسطين التي وصفها كل من البلاذري والمقدسي . وقد اقترنت نشأة الرباطات في المغرب بعصر الفتوح ذلك لأن المغرب الاسلامي كان أرض جهاد ، وكان ساحله كله معرضاً للغارات البحرية المفاجئة التي يوجهها البيزنطيون من قواعدهم في صقلية وسردانية وجنوبي ايطاليا على السواحل الافريقية ، ولذلك اعتبره المسلمون ثغرا يعد الرباط فيه جهادا في سبيل الله وتقربا له . وكانت السواحل الافريقية اكثر سواحل المغرب تعرضا لخطر الغزو البحري البيزنطي ، وعلى هذا النحو نشأت الاربطة والمحارس أو المناور على طول ساحل افريقيه حتى برقه منذ عصر مبكر ، فاصبحت في طرابلس الغرب وما يليها غربا وفي صفاقس وسوسة والمنستير . ومن المعروف ان هرثمة بن أعين والى افريقية من قبل الرشيد زود المنستير بالقصر الكبير (الرباط) في سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م ، واعاد بناء سور مدينة طرابلس من جهة البحر لتحسينها وحمايتها . (١) ثم كان الخوف من غارات الروم على السواحل الافريقية والاستعداد الدائم للجهاد ضد الروم في صقلية حافزا على زيادة اهتمام الاغالبية بتحسين هذه السواحل بالرباطات والمحارس . وقد لعبت الرباطات دورا هاما في الحياة الدينية والحربية ببلاد افريقية ، وكان الرباط يزود عادة بمنارتوقد فيه النار ليلاً للنذير باقتراب سفن العدو ، وعن طريق هذه الإشارة

(١) البكري : المصدر السابق ، ص ٣٦ - ابن الاثير : المصدر

السابق ، ح ٥ ، ص ٩٦ - ابن خلدون : المصدر السابق ،

ح ٤ ، ص ١٩٥ .

تستعد الحاميات المراقبة وتتأهب لملاقاة العدو براً وبحراً . وقد ساعدت^٤ الاربطة على تكوين طبقة من الصالحين الذين كرسوا حياتهم للجهاد ضد الروم ، وكان الخروج لمدافعة الروم في صقلية وجزر البحر الابيض المتوسط الاخرى غاية ما يشتهيها العابدون المربطون . (١)

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع السابق ص ٤٠-٤١-٤٢ ، (ولمزيد من المعلومات عن الاربطة انظر الفصل الثاني فقره التحصيات الدفاعية للساحل الافريقي) . ص ٨٠

الفصل الثاني

بسم الله

اهتمام الأغلبية بالبحرية

- ١- توفّر المواد اللازمة لصناعة السفن .
- ٢- تعدد دور الصناعة .
- ٣- التّحصينات البحريّة الدفاعيّة للساحل الإفريقي .
- ٤- القواعد البحريّة والمراسي .
- ٥- البحرية الأغلبية .

بنهاية القرن الثاني الهجرى الثامن الميلادى أخذت الدولة البيزنطية تهمل الناحية البحرية في قوتها العسكرية . وهى في ذلك تحذو حذو الدولة العباسية التى انصرفت لدرجة ما عن البحر الأبيض المتوسط منذ قيامها متخذة لنفسها سياسة شرقية .

الا أن المغرب الاسلامي وخاصة امارة الاغالبة ، بعد استقلالها الذاتى عن الخلافة العباسية ، اتخذت لنفسها سياسة تركزت في الاهتمام بالبحر الأبيض المتوسط والاهتمام بالبحرية مستفيدة من الحالة المضطربة التى كانت تسود الامبراطورية البيزنطية في الداخل بسبب حرب أهلية اساسها ثورة توماس الصقلبي بين عامي ٢٠٦-٢٠٨ هـ / ٨٢١ - ٨٢٣ م . وقد أصابت هذه الحرب قوة القسطنطينيه في البحار بالضعف البين . (١)

وقد مد الخليفة العباسي المأمون الثوار بالعون وبعث في الوقت ذاته جيوشه وأساطيله الشامية للإغارة على جزر وشواطئ آسيا الصغرى تأييدا للجهود التى يقوم بها الثائر توماس . وإدعى توماس هذا . وكان ايقونيا - (أى يناصر عبادة الصور والايقونات) أن هدفه الأول عزل الامبراطور اللا ايقونى (يقصد الامبراطور ميخائيل الثانى) واعادة تقديس الصور بعد أن حظرها القانون منذ عهد ايرين . وأيدت توماس في ثورته هذه اساطيل ولايات بحرايجه فأبحرت هى الاخرى صوب القسطنطينيه . وتركزت هذه القوة في آسيا الصغرى وتحولت الى ثورة شعبية يسندها الفلاحون . الا أن الأسطول الامبراطورى الرابض في القسطنطينيه ظل على ولائه لبيزنطه فكان حجر عثره في طريق هذه الثورة واستطاع تشتيت شمل الأساطيل الاقليمية بالنار الاغريقية

(١) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

وطردها من بحر مرمرة . أما توماس فانه صادف الفشل في البحر والبحر، اذ هاجم البلغار قواته على الشاطئ الاوربي وأوقعوا بها هزيمة ساحقة واضاعوا عليها فرصة الظفر بهجوم برى على العاصمة . وفي عام ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م حلت به هزيمة اخرى وقتل أثناء المعركة فانتهت بذلك ثورته . (١)

ومن أحداث هذه الثورة الداخلية يتضح لنا الخطر الخارجى الذى كان يهدد الامبراطورية البيزنطية والذى كان يستحوذ على اهتمامها وجهدها ألا وهو غارات الخلافة العباسية على القسطنطينية من جهة وعلى جزر وشواطئ اسيا الصغرى من جهة ثانية . هذا الى جانب خطر البلغار ومشكلاتهم ببلاد البلقان منذ عهد الامبراطور ليو الخامس ١٩٨ - ٢٠٥ هـ / ٨١٣ - ٨٢٠ م . (٢)

وأستمرت هذه الاضطرابات طيلة اول ثلاث سنوات من عهد الامبراطور البيزنطى ميخائيل الثانى (٢٠٥ - ٢١٤ هـ / ٨٢٠ - ٨٢٩ م) ، والتي كانت لها خطورتها الواضحة من النواحي الاجتماعية والدينية والسياسية . (٣)

- (١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٦٨ - ١٦٩
- (٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٧١ - السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٤٧ .
- (٣) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

ويمكن القول من وجهة النظر البحرية ، أن بيزنطة خرجت مرهقة من هذه الاضطرابات وخاصة ثورة توماس التي أدت إلى تشتيت شمل اساطيل الولايات واطعفتها حين اشتدت الحاجة إليها لموازرة اسطول القسطنطينية في الوقت الذي كان فيه أسطول الأغالية يجمع قواته . (١)

وهكذا تغير الموقف في حوض البحر المتوسط الاوسط والغربي وانتقلت السيادة البحرية من أيدي البيزنطيين إلى أيدي الأغالية وهذا يرجع الفضل في وصول بحرية الأغالية لهذه المكانة إلى اهتمام أمراء الأغالية بها ، وإلى ما حققه الأغالية بفضلها من فتوحات كبرى في جزر الحوض الاوسط والغربي للبحر الأبيض المتوسط وفي جنوب إيطاليا . وقد استنفدت هذه الفتوحات من الأغالية جهودا متتابعة ومتتالية حتى السنوات الأخيرة من دولتهم ، أي مدة قرن من الزمان تقريباً . ولم يكن بالامر اليسير على الأغالية اعداد هذه القوة البحرية الضخمة التي حققوا بها الدور الكبير من الفتوحات الاسلامية في جزر الحوض الاوسط والغربي من البحر الأبيض المتوسط وفي جنوب إيطاليا لو أن الطبيعة لم تهب بلادهم والبلاد التي فتحوها المواد اللازمة لصناعة السفن الأمر الذي يمكنهم من بناء عدد من دور الصناعة ، ولولا ما قاموا به من تحصينات بحرية دفاعية على امتداد سواحل بلادهم التي تميزت بوجود عدد كبير بها من القواعد والمراسي التي أنطلقت منها سفنهم في غزواتها البحرية لهذه المنطقة الهامة من العالم .

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

وعلى الرغم من وفرة المعلومات التي تمدنا بها المصادر التاريخية عن هذه النقاط السالفة الذكر ، وعن الدور الكبير الذي قامت به بحريتهم في غزو صقلية وماجاورها من الجزر وجنوب ايطاليا . وهو ما سيتضح في الفصل الثالث من هذه الرسالة - الا أن هذه المصادر شحيحة ، فيما تندنا به من معلومات عن بحرية الأغلبة ذاتها ، سواء من حيث حجمها وقوتها أو نوع وحداتها ، وتنظيماتها البحرية .

وفي هذا الفصل سأحدث أولا عن توفر المواد اللازمة لصناعة السفن ، وعن تعدد دور الصناعة في دولتهم ، ثم عما قاموا به من تحصينات بحرية دفاعية للساحل الافريقي ، وعن العدد الضخم من القواعد البحرية والمراسي على امتداد هذا الساحل وبالجزر التي فتحوها ، وأخيرا حاول استخلاص صورة تقريبية عن مدى حجم وقوة البحرية الاغلبية ، وأنواع السفن التي كانت تتكون منها .

وأرجو أن يساعد حديثي عن هذه النقاط القارىء في تصور هذه الصورة التي أحاول جمع اطرافها المتعددة في اطار واحد لكي يأخذ فكرة واضحة عن بحرية الاغلبة تساعد في تفهم ضخامة الدور الذي قامت به في فتوحات صقلية وماجاورها من جزر الحوض الأوسط والغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وفي جنوب ايطاليا .

١- توفر المواد اللازمة لصناعة السفن :

يتعين علينا بادىء ذى بدء ان نلقى نظرة سريعة عن المواد اللازمة لصناعة السفن ومدى توفرها في إفريقيا وفي البلاد التي فتحها الاغالبية ، إذ بدون هذه المواد اللازمة لصناعة السفن يتعذر عليهم بناء هذه القوه البحرية الاسلامية الضخمة التي سيطرت على الحوض الأوسط والغربي للبحر الابيض المتوسط .

فعندما ننظر الى المعلومات التي أوردتها الكتب الجغرافية عن مدن بلاد المغرب وجزيرتي صقلية وقوصرة ، يتضح لنا أنها تستطيع بما وهبها الله من نعم متمثلة في غابات الاشجار والمعادن في بطون الأرض ان تمتد دور الصناعة التابعة لدولة الاغالبية بما تحتاج اليه من مواد لازمة لصناعة السفن التي يتكون بها الاسطول الاغلبى ليصبح من أعظم الاساطيل الاسلامية في حوض البحر المتوسط الاوسط والغربي في ذلك الوقت .

فيوجد بها الخشب الصنوبرى القوى الذى تصنع منه ألواح السفن والصواري والقري والمجاديف ، وخشب الطخش لصناعة القس والسلاليم وبعض الرماح (١) والتروس . وكذلك توفر بها معدن الحديد

(١) عن الرماح يذكر السيد عبدالعزيز سالم في مقاله عن البحرية المصرية في العصر الفاطمي ، ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية ، كتبه نخبة من الاساتذة المتخصصين بجامعة الاسكندرية ، ص ٥٠١ .

عن قوله (الرماح أنواع كثيرة ، منها الرماح القنا ، ومنها القنطاريات المدهونه المذهبه ، وهى الرماح القصيره ، ومنها المزاريق والفريجيات والضواري والصبريرات وهى الرماح الطويله المخصصه للطعن) .

الذى كان لابد منه لعمل المسامير والمراسى والروابط والخطاطيف أو الكلايب (١) والعراصات والفؤوس (٢) واللتوت (٣) والدبابيس (٤) والجواش وغيرها من الآلات والأسلحة . وكان معدن النحاس متوفرا كذلك لتصنع منه السلاسل . وأما الألياف فقد جلبت لعمل حبال المراسى كما توفر بها القطران والزفت لقلطه السفن حتى لا توتثر المياه في الواحها المغمورة في البحر ، فضلا عن ذلك كان القطران

-
- (١) عن الخطاطيف أو الكلايب يذكر نفس المرجع السابق : ص ٥٠٢ قول (الكلايب نوع من الخطاطيف الحديدية كان يستخدمها البحريون للرمى على مركب العدو لجذبها وشدّها ، والعبور إليها عن طريق الواح خشبية أو سلايل من الحبال لمقاتلة ملاحيتها) .
- (٢) عن الفؤوس يذكر نفس المرجع السابق : ص ٥٠١ - ٥٠٢ قوله (أما الفؤوس فسلّاح له رأس نصف مستدير مبسط حاد النصل ، ومقبضه خشبي مستدير وأحيانا يتخذ من الحديد ، وتسمى الفأس أحيانا ملطه أو طبر) .
- (٣) عن اللتوت : يذكر نفس المرجع : ص ٥٠١ قوله (هي عمود من الحديد ، لها رؤوس مستطيلة الشكل مخرّسة ، مصنوعة من الحديد ، وقد تكون مقابض هذه اللتوت من الخشب المحكم التدوير ، ولكن خرزتها تكون في هذه الحالة من الحديد ، وتلبس في المقبض ، وقد تخرس تدويره الخرز أو تسنن)
- (٤) عن الدبابيس يذكر نفس المرجع السابق : ص ٥٠٢ قوله (لا تختلف عن اللتوت إلا في رؤوسها فهي مدورة مخرّسة . وتستخدم اللتوت والدبابيس كسلّاح لتهشيم الخوذات المعدنية) .

والكبريت لا زمين لصناعة النفط البحري وهو نوع لا ينطفيء اذا سقط في الماء (١) . كما كان القطران والكتان لا زمين لصناعة النار الحارقة التي كانت تعتبر سلاحا من أسلحة البحرية الاسلامية . (٢)

هذا ويجدر بنا ان نشير الى الاماكن والمدن التي كانت تجلب منها هذه المواد لبلاد افريقية (المغرب الادنى) وصقلية وقوصرة .

الأخشاب :

كانت تجلب الاخشاب الى افريقيه من جبل درن ، فهو كثير الأشجار ويعرف بسنجنفوا ، وهذا ما يذكره البكري في قوله " وهو كثير الصنوبر والارز والبلوط " (٣) . وفي مدينة نكور يوجد خشب الارز والعرعر ، وفي هذا يقول البكري : " ومدينه نكور بين رواب منها جبل يقابل المدينة يعرف بالمصلى وبها جامع على اعمده من خشب العرعر ، وهو الارز اكثر خشبها " . (٤)

وفي جبال بنى بيزغه (بالقرب من فاس) خشب جيد - ويذكر السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي عن الجزنائي في كتابه (زهرة الأس في بناء مدينة فاس) ان لهذا الخشب ميزة انه اذا وضع العود منه في مكان لا يصل له الماء فهو يعمر ألف عام وربما اكثر دون أن يتغير . (٥)

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع السابق

ص ٥٧ .

(٢) الحميري : المصدر السابق ، ص ١٦٦

(٣) البكري : المصدر السابق ، ص ١٤٧ - ١٦٠

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٩٠

(٥) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع

السابق ، ص ٥٨

أما في جزيرة صقلية فكان يجلب الخشب لدور صناعتها من مدينة جفلوز (١) التي يوجد بها أجود أنواع العود ، ويذكر ياقوت في وصفه بهذه المدينة قوله " وفيها عنصر أجناس العود الذي تنشأ منه المراكب " . (٢)

ويجلب أيضا من مدينة إلياج (٣) ، وفي هذا يقول الحميري :
" يحمل منها والخشب " . (٤)

وفي جزيرة قوصرة يوجد مقطع للخشب الجيد الكثير الانتاج وكانت تصدر كميات منه الى صقلية . (٥)

أما جزيرة مالطه فقد كان بها مرسى ودار لصناعة السفن ، وذلك لتوفر الخشب اللازم لدار الصناعة بها وهو خشب اشجار الصنوبر . (٦)

-
- (١) قلعه جفلوز الكبيره وهى مدينه حصينه بصقلية فوق جبل عال على شاطئ البحر (ياقوت : المصدر السابق ، م ٢ ، ص ١٤٧)
(٢) ياقوت : المصدر السابق ، م ٢ ، ص ١٤٧ .
(٣) الياج هى بلده في جزيرة صقلية على البحر (الحميري : المصدر السابق ، ص ٤٥)
(٤) الحميري : المصدر السابق ، ص ٥١٤
(٥) نفس المصدر السابق ، ص ٤٨٥ .
(٦) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ٥٨ .

معادن الحديد والنحاس والرصاص :

كانت ببلاد المغرب عدة مدن تمدها بهذه المعادن ومنها
مدينة بونه (١) ، وقد ذكر ذلك ياقوت في وصفه لها قوله " وبها
معدن الحديد " . (٢)

و مدينة مجانه (٣) يقول ياقوت عنها " ومعدن المرتك
والحديد والرصاص في جبل من جنوبها " . (٤)

ثم مدينة الأريس (٥) وقد وجد بها معدن الحديد ايضا . (٦)

وكذلك بلاد كتامة قد توفر بها معدن الحديد والنحاس معا ،
وهذا ما ذكره البكري في قوله " وبلاد كتامة حجر اللازورد الجيد
ومعادن النحاس والحديد " (٧)

- (١) مدينه بونه : هى مدينة بافريقية بين مرسى الخرز وجزيرة
بنى مزغناى ، وهى مدينة حصينة مقطرة ليست بالكبيرة ولا
بالصغيرة . وهى على نحر البحر ، كثيرة الرخص والفواكه
والبساتين القريبة ، واكثر فاكهتها من باديتها .
(ياقوت ، المصدر السابق ، م ، ١ ، ص ٥١٢ - ابن حوقل ،
المصدر السابق ، ص ٧٧) .
- (٢) ياقوت : المصدر السابق ، م ، ١ ، ص ٥١٢ - المقدسى :
المصدر السابق ، ص ٢٢٦ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٧٧
- (٣) مدينه مجانه : بلد بافريقية فتحة بسر بن أرطاة وهى
تسمى قلعة بسر (ياقوت : المصدر السابق ، م ، ٥ ، ص ٥٦)
- (٤) ياقوت : المصدر السابق ، م ، ٥ ، ص ٥٦
- (٥) مدينة الاريس هى مدينة وكورة بافريقية وبينها وبين القيروان
ثلاثة ايام من جهة المغرب (ياقوت : المصدر السابق ،
م ، ١ ، ص ١٣٦) .
- (٦) نفس المصدر السابق ، ص ١٣٦ .
- (٧) البكري : المصدر السابق ، ص ٣٣

أما في جزيرة صقلية : كان يجلب الحديد لدور صناعتها
من مدينة مسينا (١) ، فقال الحميري في وصفها " وفي جبلها معدن
الحديد الذي يتجهزه الى جميع البلاد المجاورة لها " . (٢)

ويوجد كذلك الحديد في مدينة بلرم (٣) وقد ذكر ذلك ابن حوقل
في وصفه لها اذ يقول " وشرب الناحية المعروفة بالغربية ، فممن
العين المعروفة بعين الحديد وهناك معدن للسلطان من الحديد
يصرف ما يستثار منه لحاجته في مراكبه وقرسطياته ، وكان هذا المعدن
لبنى الأغلب يُجدي عليهم الكثير " . (٤)

الزفت والقطران :

بالنسبة لجزيرة صقلية كان يجلب لها الزفت والقطران من
مدينة إلباج ، وهذا ما جاء في وصف الحميري لها اذ يقول " يحمل
منها الزفت والقطران " . (٥)

- (١) مدينة مسينا : يذكر عنها ياقوت : المصدر السابق ، م ٥ ، ص ١٣ . قوله (مسيني : بليدة على ساحل جزيرة صقلية مما يلي الروم مقابل ريو) اما الحميري ، المصدر السابق ، ص ٥٥٩ فيذكر عنها (مدينة في ركن جزيرة صقلية في شرقها والجبال من الناحية الغربية محيط بها) .
- (٢) الحميري : المصدر السابق ، ص ٥٥٩
- (٣) مدينة بلرم : هي اعظم مدينة في جزيرة صقلية في بحر المغرب على شاطئ البحر ، وهي مدينة كبيرة عليها سور عظيم من حجارة شامخ منيع ، لمزيد من المعلومات عنها انظر ياقوت : المصدر السابق ، م ١٣ ، ص ٤٨٣ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١١٢-١١٦
- (٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١١٢
- (٥) الحميري : المصدر السابق ، ص ٥١٤

أما جزيرة قوصرة فقد كان يوجد بها قطران وخشب المصطكي
وكان يجلب منه الى بلاد افريقيه . (١)

الألياف التي تصنع منها الحبال :

لقد كانت حبال السفن تصنع من نبات يسمى البربير وهو يشبه
نبات البردى الموجود بأرض مصر . وكان ينبت ذلك النبات بكثرة
في مدينة بلرم ، وقد ذكر ذلك لنا الجغرافي ابن حوقل اذ يقول
" وفي خلال أراضيها بقاع قد غلب عليها البربير وهو البردى
المعمول منه الطوامير ، ولا أعلم
لما بمصر من هذا البربير نظيرا على وجه الارض ، الا ما بصقلية منه واكثره
يفتل حبالا لمراسي المراكب . . . "

(١) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع

السابق ، ص ٥٩

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١١٧

٢ - تعدد دور الصناعة :

دار صناعة تونس:

لقد أنشئت دار الصناعة في تونس عندما أدرك ولاية العرب في افريقية أهمية أن يكون لا فريقية دار صناعة تقام في احدى مـمدن ساحلها لكي تزود الجيش البرى بأسطول مستقل عن اسطول مصر — ينفرد بحماية سواحلها والدفاع عنها من غارات البيزنطيين ، وليقوم بالجهاد في البحر لغزو صقلية وغيرها من القواعد البيزنطية البحرية التي كان وجودها يشكل خطراً جاثماً امام الساحل الافريقى . وبالفعل تم انشاء دار الصناعة بتونس على نحو ما ذكرت سابقا في الفصل الأول على يد حسان بن النعمان بعد تخريبه مدينة قرطاجنة ، وكان انشاؤها في سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م . (١)

وكانت دار صناعة تونس موضع اهتمام وعناية ولاية افريقية — من قبل الخلافة الاموية ، فقد قام موسى بن نصير بتكملة انشاء هذه الدار وأشرف على انشاء عدد من السفن اشتركت في غزوة الاشراف السابقة الذكر في الفصل الأول . (٢)

وكذلك في عهد عبيد الله بن الحبحاب ١١٤ - ١٢٣ هـ / ٧٣٢ - ٧٤٠ م أصبحت تونس من أهم ثغور افريقية التي قامت بالجهاد البحرى والغزو في البحر المتوسط وذلك بفضل تجديد عبيد الله لدار

(١) انظر قبل ، الفصل الأول ، ص ١٩

(٢) انظر قبل ، الفصل الأول ، ص ٢٨

صناعتها ، واهتمامه الشديد ببحرية افريقية . (١)

وبطبيعة الحال عندما قام الحكم الأغلبى في افريقية زاد الاهتمام بدار الصناعة في تونس بسبب اهتمامهم الزائد بالبحرية لحماية سواحل افريقية من خطر البحرية البيزنطية من جهة ، ومن جهة أخرى لقيامهم بالجهد ونشر الاسلام في جزر الحوض الاوسط للبحر الأبيض المتوسط وفي جنوب ايطاليا .

دار صناعة سوسة :

أما دار الصناعة الثانية في دولة الأغلبية فهي تلك التي أقاموها في مدينة سوسة . فالبكرى في وصفه لمدينة سوسة يذكر مانصه " وبها ثمانية ابواب احدها باب كبير جدا في شرقي دار تعرف بدار الصناعة منها تدخل المراكب وتخرج " . (٢)

ويذكر ياقوت في وصفها " أن سوسة مدينة صغيرة بنواحي افريقية بينها وبين سفاقس يومان . . . وقيل : من القيروان إلى سوسة ستة وثلاثون ميلا ، وهي مدينة قد احاط بها البحر من ثلاث نواح : من الشمال والجنوب والشرق وسورها صخر حصين منيع يضرب فيه البحر ، وبها منار يعرف بمنار خلف الفتى . . . " (٣)

(١) انظر قبل ، الفصل الأول ، ص ٥٣ - ٥٤

(٢) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٣) ياقوت : المصدر السابق ، ص ٣٨ ، ص ٢٨٢

ويذكر ابن حوقل في وصفها مانصه " وأما سوسة فمدينة ...
على نحر البحر ، ولها سور حصين ... وهي إحدى فرض البحر ... " (١)

ونرجع للبكري مرة أخرى فيقول مانصه : " وكان زيادة الله
٢٠١ - ٢٢٣ هـ / ٨١٦ - ٨٣٧ م - بنى سورها (٢) وكان يقول ماأبالي
ماقدت عليه يوم القيامة وفي صحيفتي أربع حسنات بنياني مسجد الجامع
بالقيروان ، وبنياني قنطرة الربيع ، وبنياني حصن مدينة سوسة ، وتوليتني
أحمد بن أبي محرز قضاء إفريقية . وخارج مدينة سوسة محارس وروابط
ومجامع للصالحين وداخلها محرس عظيم كالمدينة سور بسور متقن
يعرف بمحرس الرباط هو مأوى للاخيار والصالحين داخله حصن ثان يسمى
القصبة وهو بجوفى المدينة (أى بداخلها) متصل بدار الصناعة
بسفح الجبل " . (٣)

وأما الحميري فيقول " وبالقرب منها محرس المنستير الذى
جاء فيه الأثر الوارد ، وهو حصن عالى البناء متقن العمل ، وفيه
جماعة من الصالحين حبسوا أنفسهم فيه للعبادة ، وأهل تلك البلاد
يخرجون اليهم بالصدقات ، ويقربه نحو خمسة محارس متقنه البناء معمورة
بالصالحين " . (٤)

وهكذا نلاحظ من أقوال المؤرخين مدى أهمية مدينة سوسة
وأهميتها دار صناعتها ، ومدى اهتمام الأغلبية

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٧٤

(٢) في اعتقادي أن البكري يقصد رباط سوسة وليس سورها لأن من
بنى سور سوسة هو الأمير الأغلبى أبو إبراهيم ، أحمد بن محمد بن
الأغلب وذلك كما سيأتي فيما بعد في فقرة التحصينات الأغلبية
الدفاعية للساحل الإفريقي .

(٣) البكري : المصدر السابق ، ص ٣٥

(٤) الحميري : المصدر السابق ، ص ٣٣١

بتحصينها والاهتمام بدار الصناعة بها لتكون عوناً لاختها دار الصناعة بتونس لا مداد الاسطول الاغلبى بالسفن اللازمة لغاراته على صقلية وجنوب ايطاليا .

ويذكر لنا الحميرى أنه كانت تخرج من سوسة بعض الحملات الاسلامية ولعل أشهرها حملة اسد بن الفرات على صقلية سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م فيقول " ومنها ركب اسد بن الفرات البحرغازيا الى صقلية في الزمان الأول " (١)

ويذكر سعد زغلول عبد الحميد عن المالكى انه عندما امر زيادة الله بانشاء المراكب لحملة اسد بن الفرات لغزو صقلية كان فتيانـــــــــــــــــه من السودان يشاركون في اعمال دار الصناعة التى ضاق بها المكان فأضطروا العاملون في بناء السفن ، الى استخدام مقبرة سوسة ، وهدموا ما فيها من قبور حيث رقدوا المراكب التى كان يجرى انشاؤها . (٢)

أما من جهة حجم حملة أسد بن الفرات على صقلية وهى التى تعبر بدورها عن حجم دار الصناعة بسوسة وعدد السفن التى بنتها فـــــــــي هذه الفترة فقد اشترك في هذه الحملة حوالى ٧٠٠ (سبعمائة) فارس بخيلهم ، بالإضافة لـ ١٠ (عشرة) الاف راجل . وعنـــــــــــــــــد انتظامهم في مراكبهم للابحار بها بلغت ١٠٠ (مائة) مركب ، أى أن حمولة

(١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٣١ - اشار الى ذلك

ايضا ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٢ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٦

المركب الواحد كانت أكثر من ١٠٠ (مائة) رجل غير النواتية (البحارة) الذين يعملون على ظهر السفينة. (١) وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ضخامة انتاج هذه الدار وعلى مدى أهمية دار الصناعة بسوسة واهتمام الأغلبية بها.

دار صناعة طرابلس الغرب :

أما دار الصناعة الثالثة في دولة الاغالية ، فهي تلك التي أقاموها في مدينة طرابلس الغرب . ويذكر البكري وياقوت عن طرابلس قولهما " وعلى مدينة طرابلس سور صخر جليل البنيان وهي على شاطئ البحر ... وفيها رباطات كثيرة يأوي اليها الصالحون اعمرها واشهرها مسجد الشعب ، ومرساها مأمون من اكثر الرياح " . (٢)

ويزيد عليه البكري قوله " ثم الى مرسى مدينة طرابلس ومرساها مأمون جيد ولها دار صناعة للاساطيل " . (٣)

ويذكر ابن حوقل في وصفها مانصه : " هي مدينة بيضاء من الصخر الابيض على ساحل البحر خصبة حصينة كبيرة ذات ربض ... الى مراكب تحط ليلا ونهارا ، وتردد بالتجارة على مر الاوقات والساعات صباحا ومساء من بلد الروم وأرض المغرب واذا وردت المراكب ميناءهم عرضت لهم لهم دائما الريح البحرية فيشتد

- (١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٠٢ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، ح ٣ ، هامش ١١٢ - الحميري : المصدر السابق ، ص ٣٦٦ (الا انه يذكر عدد السفن ٧٠ مركبا فقط) - احسان عباس : العرب في صقلية (دراسة في التاريخ والادب) ص ٣٣-٣٤ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢١٧
- (٢) البكري : المصدر السابق ، ص ٧ - ياقوت : المصدر السابق م ٤ ، ص ٢٥
- (٣) البكري : المصدر السابق ، ص ٨٥

الموج لا نكشا فيه ويصعب الارساء ، فيبادر أهل البلد بقواربهم ومراسيهم وحبالهم متطوعين ، فيقيد المركب ويرسى في اسرع وقت بغير كلفه لاحد ولا غرامة حبه ولا جزاء بمثقال " . (١)

ويذكر الاصطخرى قوله " هى مدينة مبنية من الصخر على ساحل بحر الروم ، خصبة واسعة الكورة حصينة جدا " (٢) .

ويتضح لنا من أقوال هؤلاء الجغرافيين أهمية طرابلس الغرب فهى تعتبر من أهم قواعد الاساطيل المغربية في العصر الإسلامى الى جانب انها دار لصناعة السفن ، فمنها كانت تخرج غارات المسلمين الموجهة للروم ، فقد كانت نقطة انطلاق الاسطول الاغلبى الى جزيرة مالطه والتي فتحت في عهد الأغالبة سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٨م (٣)

دار صناعة مدينة مسينا بصقلية :

ثم تأتى لمدينة مسينا ، وهى احدى مدن الساحل الصقلى ولها اهميتها البحرية سواء كانت حربية او تجارية وهى من القواعد الهامة لبحرية الاغالبة في صقلية وبها دار صناعة للسفن تمد بحرية المسلمين بصقلية بالسفن اللازمة للاسطول الإسلامى . وقد ذكر الحميرى دار صناعتها عند وصفه لها

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٧١-٧٢

(٢) الاصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٣

(٣) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع

السابق ، ص ٥٠

فقال : " وهى احدى قواعدها (أى صقلية) ، والسفر منها واليهما قصدا ، وهى دار انشاء (أى بها دار صناعة لانشاء السفن) وبها حط واقلاع . . " (١)

دار صناعة بجزيرة مالطه :

أما دار الصناعة الخامسة في دولة الأغالبة فهى تلك التى أقاموها في جزيرة مالطة ، ويذكر ذلك الحميرى في قوله : " هى جزيرة من الجزائر التى تلى جزيرة صقلية ، وهى فى القبله من مسينا بينهما وبين صقلية مجرى واحد ، وكانت قبل هذا للمسلمين ، وفيها مرسى منشأة للسفن (أى بها دار صناعة لانشاء السفن) . (٢)

كذلك يذكر السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ان بجزيرة مالطه مرسى ودار لصناعة السفن . (٣)

- (١) الحميرى : المصدر السابق ، ٥٥٩
- (٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٢٠
- (٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

٣- التحصينات البحرية الدفاعية للساحل الافريقي :

حرص الامراء الاغالبية على حماية بلاد المسلمين التي تدخل تحت حكمهم ، فعملوا على صيانة البلاد وذلك بأن أدخلوا بعض التحسينات على الحصون البيزنطية ، وخاصة في بلزمة وباغاية (باغايه العتيقه) (١)

هذا الى جانب الاضافات والتحسينات التي اضافوها على ما كان قد بناه هرثمه بن اعين سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م ، فقد أعاد هرثمه بناء سور مدينة طرابلس من جهة البحر (٢) ، كما بنى في المنستير رباطا (٣) .

فقد استوحوا من هذه التحصينات بطرابلس ومن رباط المنستير نماذج لبناء الرباطات على طول الساحل التونسي أو لاقامة أسوار منيعه تحمي مدن الساحل من غارات الروم كرباط سوسة وسور صفاقس وسوسة . (٤) وكذلك رباط تونس ورباط بونه التي تسمى اليوم عنابه . (٥)

وقبل ان ندخل في الكلام عن هذه المنشآت الحربية لا بد لنا من تعريف لفظ الرباط والمرابطين ماهو ؟ وماهى فائدته ؟ .

-
- (١) شارل اندرى جوليان : تاريخ افريقيا الشماليه ، ج ٢ ، ص ٦٦
 - (٢) البكرى : المصدر السابق ، ص ٩ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٩٥
 - (٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٠ - ابن خلدون : نفس المصدر السابق ، والجزء والصفحه .
 - (٤) شارل اندرى جوليان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦
 - (٥) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٨١ .

الرباط هو بناء كبير يقام على ساحل البحر وربما على حدود
الصحراء لكي يقيم فيه أولئك الزهاد الرباط على حدود دار الاسلام
وثغوره لمحاربة اى عدو يهاجم بلاد الاسلام . (١)

اما المرابطون فهم العباد والزهاد من اهل هذه الأريطة ، وفى
نفس الوقت هم مقاتلون تجهزوا للدفاع عن الشفور الى جانب من تطوعوا من
المجاهدين التقاة الذين وهبوا أنفسهم للدفاع عن بلادهم والجهاد فى
سبيل الله ضد اعداء الاسلام . (٢)

وكان هؤلاء المرابطين يعيشون في قصورهم ورباطاتهم حياة
مشتركة : يأكلون معا ويصلون معا ، وكان لكل منهم خلوة صغيرة يتعبد
فيها وحده ويقرأ القرآن في ساعات معينه من الليل والنهار ، وكان القصر
(الرباط) يضم مسجدا للصلاة . (٣)

ولقد أبدع اهل المغرب خاصة في انشاء هذا الطراز من الأريطة ،
وعنى الكثير من ولاية افريقية مثل يزيد بن حاتم ، وهرثمه بن أعين وأمراء
الأغالبة بالرباطات ، فأنفقوا على إنشائها من جهه وعلى تجديد القديم
منها من جهه أخرى بسخاء . (٤)

-
- (١) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٨٠
(٢) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : المرجع السابق ،
ص ٤١ - حسن محمود وأحمد الشريف : المرجع السابق ، ٤١٧ -
حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٨٠ - محمد عبد العزيز مرزوق
المرجع السابق ، ص ٢٥ .
(٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٨١ .
(٤) نفس المرجع السابق والصفحة .

وكان الدافع لولاة وامراء افريقية الى انشاء هذه الاربطة والعناية بها هو رغبتهم في التحصين ضد هجوم الاعداء من جهة البحر ، وضد أى فتن واضطرابات في الداخل . (١)

وكانت ثقة الناس فيهم عظيمة ، ومن ثم فقد كانوا عاملا ايجابيا من عوامل الاستقرار واستتباب الأمور في افريقيه . (٢)

وقد انشئت الاربطة كلها تقريبا في افريقيه (المغرب الأدنى) فى القرنين الثاني والثالث الهجرى / الثامن والتاسع الميلادى . (٣)

اما من حيث بناء الرباط نفسه فهو في العادة يبنى على هيئة حصن عالى الاسوار ، ويكون من طابقين : الطابق الأول عام فيه المسجد وقاعات الدروس وقراءة القرآن والطعام ، والطابق الثاني يخصص للخلوات ، فقد كان العابد منهم بعد صلاة العشاء الآخرة يذهب الى خلوته ليتعبد ويصلى قدر ما يشاء من الليل ، ثم ينام ليصحو مع الفجر ، وكانوا يتناوبون الحراسة ، فيقوم نفر منهم في أبراج الحراسة بالتناوب بالليل والنهار . وللرباط شيخ منهم هو رئيسه ومنظمه والمسئول عنه ، ويكون في العادة من اجلاء الشيوخ العباد الزهاد . وكان يحيط بالقصر (الرباط) في العادة ارض تعتبر ملكه ، ويقوم المرباطون بزراعتها للتقوت بمحصولها ، لأن المفروض أنهم يعيشون من عمل أيديهم ولا يأكلون الا مالا حلالا . (٤)

-
- (١) ارنست كونل : الفن الاسلامى ، ص ٢٤ .
(٢) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٨١ .
(٣) ارنست كونل : المرجع السابق ، ص ٢٤ .
(٤) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٨١ .

وكان يوجد في الرباط اشارات أو علامات نارية تتناقلها الأربطة أولاً بأول في الليالي التي تشعر فيها بخطر العدو وعلى الساحل الأفريقي وبه أيضاً جداول الحمام البطائق الذي يقوم في النهار بمهمة الخط البريدي في الجو فتعلق به الأخبار المستعجلة فيقوم بتوصيلها وتبليغها من أدنى رباط بسبته في أقصى المغرب إلى الإسكندرية . (١)

ومن وظائف الرباط أيضاً أنه يعتبر مستشفى للمرضى يعالج بداخله المرابطون والمرابطات . ويعتبر كذلك داراً للمسافرين مرحلة بعد مرحلة، ولكنه لحراسة الثغور وحمايتها من الروم يوم كان الأسطول العربي لا يقوى على مدافعهم . (٢)

كذلك كان الرباط ذا أهمية كبيرة متثلة في كونه مدرسة يبيت فيه المرابطون العلم في صدور الرجال والنساء احتساباً لوجه الله .

وكان الرباط معهد صناعة للحبر والورق والكاغذ لتوزع على الطلبة رغبة في الثواب من الله ، وكان يوجد به أيضاً دار استنساخ للمصاحف ومجاميع الحديث وكتب الفقه . فالمؤلفون يحبسون تصانيفهم بخطوط أيديهم على الأربطة لتكون منها النسخة الأم التي يرجع إلى نصها الصحيح ، وتقابل عليها النصوص المنتسخة ، ويتولى المرابطون النساخون استنساخها لمكثرة عددها وتوزيعها على طلبة العلم احتساباً . ففي كل رباط مكتبة جدارية مفرغة في طاقات من الحائط بها النسخ الأمهات والمولدة منها . ونجد مثلاً للمكتبة الرباطية برباط المنستير ، وهي غرفة كبيرة حولها مصاطب مبنية يجلس عليها المطالعون ،

(١) عثمان الكعاك : محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب، ص ١٦ - ١٧ .

(٢) عثمان الكعاك : المرجع السابق، ص ١٧ .

وفي جوانبها طاقات مفرغة بالحائط على غرار مكتبة لمبيز الرومانية بالجزائر،
توضح بها الدرج أى لفائف المخطوطات ، حتى اذا صار الكتاب منبسطة
مجلداً بالخشب والجلد في القرن الثالث الهجرى صارت بها الكتب المنبسطة
عوض الدرج .

ولما كان عدد الأريطة الفبا بالمغرب^(١)، فقد كانت هنالك ألف مكتبة، أى أنه
كانت توجد على الأقل ألف نسخة مولدة من النسخة الأم من كل كتاب . وهذا
ما يفسر لنا كثرة المخطوطات الأصلية في اللغة العربية على خلاف كتب
الاقدمين من يونان ورومان . وهذا ما يفسر لنا ايضا توافر المؤلفات المصنفة
في القرن الثانى والثالث الهجريين ووجودها بالمغرب العربي أكثر من وجودها
بالمشرق العربي . (٢)

ومن وظائف الرباط المهمة ايضا في بلاد المغرب نشر الدعوة الاسلامية
بين الافارقة والجاليات النصرانية بالمغرب، بحيث ما ان وصل القرن الرابع
الهجرى الا ولم يبق نصرانى واحد من عجم الساحل أى من الرومان المتصلين
بالبلاد قبل الفتح الاسلامى ولا من الافارقة أى من البربر الذين كانوا على
النصرانية استرسالا في عهد الاسلام من عهد ما قبل الفتح . (٣)

(١) لم يوضح لنا عثمان الكعاك الذى ننقل عنه هذا النص عن الأريطة، العصر
الذى بلغت فيه الأريطة في بلاد المغرب هذا العدد الضخم . وليس
شك ان هذا العصر ليس هو عصر الاغالبه لأن سيادة الاغالبية كانت
على المغرب الأدنى فقط، ومن الجائز أن يكون ذلك قد تم في عهد
الفاطميين او في عهد الموحديين الذين كانت سيادتهم تشمل كل بلاد
المغرب .

(٢) عثمان الكعاك : المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٣) عثمان الكعاك : المرجع السابق ، ص ١٧ - ١٨ .

ويذكر لنا شارل أندري جوليان أنه في العهد الأغلبى الأول تعاضم
وتفاقم عدد المسلمين الذين شعروا بالحاجة الى الخلوة ، واحيانا الى اعتزال
الدنيا تماما أو الاعتكاف في اكثر الأحيان بالرباطات . (١)

وهكذا تعددت الأربطة على طول الساحل الافريقي فكان بين والرباط
٦ كيلومتر . ولما كانت المسافة بين سبته والاسكندرية ٦٠٠ كم فقد كان هناك
الف رباط . أي خط دفاع مغربي طوله ستة آلاف كيلومتر . (٢) هذا من
الناحية الاستراتيجية . وعلى هذا الاساس فقد كان يوجد حوالي الف رباط
بها الف مستشفى والف دار بريد ، والف مدرسة ، والف مكتبة ، والف
دار نشر . (٣)

ومن المعلوم ايضا أن كل رباط للرجال مردف برباط للنساء يكون فى
القبالة منه . (٤)

ومن هنا كلما زادت الفتوحات الاسلامية اتساعاً اتسعت على نسبتها
الاربطة واسس منها خط دفاع امامى . فالخط الأول بسواحل المغرب ، والخط
الثانى بجزر البحر المتوسط كصقلية ومالطة وقوصرة ، والخط الثالث بسواحل
ايطاليا . (٥) وقد ذكر لنا حسن حسنى عبد الوهاب وهو يتحدث عن احداث
غزو مسلمى افريقيه لروما انه عندما لم يستطع المجاهدون المسلمون اقتحام
المدينة ظلوا يترددون بين المدينه ولاحوازاها ما يقارب الشهرين ، وفي اثناء
هذه المدة بنوا رباطا صغيرا على مصب نهر التيبر لى يراقبوا الصادر من
العاصمة والوارد اليها ، وما زالت اطلال هذا الرباط موجودة تدل على مكان

-
- (١) شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢ .
(٢) انظر فيما بعد ، ص ٥٤ - ٥٦ نتائج دراسة الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة
عن الرباطات الساحلية الليبية الاسلامية .
(٣) عثمان الكعاك : المرجع السابق ، ص ١٨ (انظر تعليقنا السابق عن هذا
النص عن الأربطة .)
(٤) نفس المرجع السابق ، ص ١٩ .
(٥) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة

انشائه . (١)

وقد مزج علماء افريقيه باقامتهم في الأربطه بين العلم والتدريس
والجهاد ، بطريقه لم تعرف في غير إفريقيا من بلاد الاسلام . (٢)

ومع مرور الزمن على العالم الاسلامي وتغيير الأحوال فيه تغير المفهوم
من الرباط . فعندما ضعفت الروح الحربية في النفوس أصبح المقصود بالرباط
هو البناء الذي يقيم فيه أولئك الذين تفرغوا لعبادة الله . (٣)

هذا ما كان من أمر الرباط ما هو ؟ وما هي وظائفه التي كانت تخدم
المسلمين في بلاد المغرب ؟ .

ونأتي الآن الى ما قام به الاغالبه من نشاط معماري عسكري لبناء الرباطات
والمحارس لتحصين السواحل التونسية من غارات الروم ، فمن هذه المنشآت
الحربية :-

رباط سوسة :

(٤) هو الرباط المعروف بقصر الرباط أو بمحرس الرباط كما يذكره البكري .
وهو يعتبر من أهم وأكبر الحصون التي أقيمت في عصر دولة الأغالبه للعباد
والمجاهدين في سوسه . وقد أصبح لهذا الرباط بعد سنوات قليلة شأن
كبير كقاعدة لأكبر عملية غزو بحرية قام بها المسلمون في صقلية . (٥)

-
- (١) حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٨٢ .
(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧١ .
(٣) محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ٢٥ .
(٤) البكري : المصدر السابق ، ص ٣٥ .
(٥) الحميري : المصدر السابق ، ص ٣٣١ .

وقد وصلت إلينا عمارة رباط سوسة في حاله جيدة ، وهو من بناء الأمير
زيادة الله بن الأغلب أقامه في سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م وتاريخ الانشاء مسجل
على لوحة من الرخام بأعلى مدخل المنار ، نقرأ عليها النص التالي : (ما أمر
به الأمير زيادة الله بن ابراهيم اطلال الله بقاءه على يدى مسرور الخادم مولا هـ
في سنة ست ومائتين اللهم انزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) . (١)

ويقع رباط سوسة على خليج قابس ، بداخل أسوار مدينة سوسة في القسم
الأدنى من المدينة . (٢) وفي هذا يذكر البكرى قوله " وداخلها (أى داخل
مدينة سوسة) محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط هو
ماوى للأخيار والصالحين داخله حصن ثان يسمى القصبة " . (٣)

وقد بنى هذا الرباط قبل انشاء اسوار سوسة بنحو ٣٩ سنة . (٤) أما
من ناحية تصميم هذا البناء وما يشتمل عليه فوصفه كالآتى :

هو أشبه بحصن مربع الشكل ، طول ضلعه حوالي أربعين متراً . تدعم
جدرانه الأربعة ثمانية أبراج : ٤ (أربعة) منها في زوايا البناء ، و٤ (أربعة)
في وسط كل من حوائطه الأربعة . والأبراج مستديرة الشكل عدا اثنين منها :
فلها شكل مربع ، وأحدهما يقع في الركن الجنوبي الشرقي حيث توجد في أعلاه
منارة مربعة الشكل ، يُظن أنها أقيمت من أجل إرسال الإشارات الضوئية التى
كان يتبادلها جند المحارس ، والثاني في وسط الجدار الجنوبي حيث الباب
الوحيد للرباط ، وكانت تعلو برج هذا الباب قبة ذات شرفات (جوسق) ربما

-
- (١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٤٩ - ٤٥٠
(٢) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٠
(٣) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٥
(٤) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع السابق والجزء والصفحة .

كانت تستخدمه كمئذنه للجامع الذي يقع في الدور العلوى من هذا الجانب من الرباط. (١)

وتزدان الأسوار والأبراج في أعلاها بطراز ممتد من العقود الصغيرة المتصلة، وتنتهي الأسوار من أعلى بشرفات مستديرة الرؤوس. (٢)

أما مدخل الرباط فبارز يتوسط الوجه القبلى. ويصل المرء الى داخل الرباط عن طريق درج هابط، يؤدى الى باب معتب (أى له عتبة) مفتوح فى هذا السور القبلى. فإذا ما اجتاز المرء هذا الباب وجد نفسه في ممر ينقسم الى ثلاثة أقسام : الأول أسطوان تعلوه قبوة متعارضة، ويكتنفه على كل من الجانبين أسطوان قبوته نصف أسطوانية. أما القسم الآخران فتعلوهم قبتان نصف أسطوانيتين، ويؤدى هذا الممر شمالا الى صحن الرباط. (٣)

والصحن مربع الشكل تقريباً، طوله من الشرق الى الغرب ٢٠.٤٠ متراً، وعرضه من الشمال الى الجنوب ١٩.٢٠ متراً. ويحيط بالصحن من جهاته الشمالية والشرقية والغربية أوراق تطل عليه ببوائك، عقودها قائمة على دعائم ووراء هذه البوائك غرف لا نوافذ لها، سقفتها قبوات نصف أسطوانية ويتراوح اتساع الغرفة الواحدة ما بين ٣.٥٠ متراً، ٣.٦٠ متراً، باستثناء غرف الجانب الشرقي التي لا يزيد اتساع الواحدة منها على ثلاثة أمتار. (٤)

ويعلو هذا الطابق من الغرف طابق ثان مشابه للطابق الأرضي ولا يختلف عنه الا في ان مجنبات الصحن حل محلها سطح إرتفاعه من مستوى سطح أرض

-
- (١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، ج ٢، ص ٧١ - ٧٢ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥٠ - أرست كونل : المرجع السابق، ص ٢٥ .
- (٢) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع السابق والجزء والصفحة .
- (٣) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع السابق والجزء والصفحة .
- (٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥١ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٢ .

الصحن نحو ٣٠ متره ويشغل الجانب الجنوبي من هذا الطابق مسجد صغير طوله من الداخل ٣٩ مترا وعرضه ٧ أمتار. ويتألف هذا المسجد من ١١ بلاطة عمودية على جدار القبلة تمتد على أسكوبين، ونلاحظ أن البلاطتين المتطرفتين أكثر اتساعا من بقية البلاطات. ويتوسط المحراب جدار السور الجنوبي للرباط (١) وترتفع أمام المحراب قبة تبدو من الخارج بارزة. وللمسجد خمسة أبواب مفتوحة في الجدار المواجه لجدار القبلة: اثنان عن يمين الشخص المواجه للمحراب، وثلاثة عن يساره، ولم يفتح في هذا الجدار باب يواجهه المحراب. أما المنار فأسطواني الشكل، قطره نحو ٧٢٢ متر، وارتفاعه فوق مستوى سطح مشى السور ٣٨٥١ متر. (٢)

رباط المنستير:-

والمنستير هو موضع بين المهدية وسوسة بإفريقية، (٣) كان في الأصل رباطاً أو قصرًا يربط فيه المسلمون لحماية ثغور إفريقية من الغارات البحرية التي كان يقوم بها الروم. وقد قام ببناء هذا الرباط هرثمه بن أعين والسي إفريقية من قبل الخليفة العباسي الرشيد في سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م - (٤) ومنذ تأسيسه أقبل الناس عليه وبنوا بيوتهم حوله فأصبح بذلك مدينة عامره بالسكان.

وقد ذكر لنا البكري وصفا لهذا الرباط فقال: "ومن محارس سوسه المذكورة محرس المنستير وبالمنستير البيوت والحجر والطواحين الفارسية وموآجل الماء، وهو حصن عالي البناء، متقن العمل، وفي الطبقة الثانية

-
- (١) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥١ - سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٢ .
- (٢) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥١ .
- (٣) ياقوت: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٠٩ .
- (٤) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ٩٦ - ابن عذاري: المصدر السابق، ج ١، ص ١١ - ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٩٥ - ابن الخطيب: المصدر السابق، ج ٣، ص ١١ .

منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه ، وفيه جماعة من الصالحين من المرابطين ، وقد حبسوا أنفسهم فيه منفردين دون الأهل والعشائر . وهو قصر كبير عال داخله ريف واسع ، وفي وسط الريف حصن ثان كبير كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية ، طبقات بعضها فوق بعض وفي القبلة منه صحن فسيح فيه قباب عالية متقنة ينزل حولها النساء المربطات تعرف بقباب جامع . وبها جامع متقن البناء وهو ازاج معقودة كلها وأقباء لا خشب فيها ولا حمامات كثيرة . وكان أهل القيروان يخرجون اليهم بالأموال والصدقات الجزلة ، وله في يوم عاشوراء موسم عظيم ومجمع كثير وبقره محارس خمسة متقنة البناء ، معمورة بالصالحين * . (١)

ومن وصف البكرى هذا يتضح لنا أن هذا الرباط أضيف إليه في العصور التالية لبنائه إضافات كثيرة أدت إلى تغيير ملامحه ، وربما تم ذلك على يد أحد أمراء الأغالبة ، وبالرغم من هذا نستطيع أن ننتبين عناصره الأساسية ، فقد كان له سور محاط بأبراج مستديرة أو كثيرة الاضلاع ، وله صحن فسيح يحيط به من جهاته الثلاثة الشمالية والغربية والشرقية طابقان أو ثلاثة من الغرف التي لا تتقدمها بوائك تطل على الصحن ، يشبه النظام المتبع في رباط سوسة . ويرتفع في الركن الجنوبي الشرقي برج اسطوانى الشكل ، مثل نظيره فى رباط سوسة . ويشغل الجانب القبلى بالطابقين الأدنى والأعلى مسجداً ، الأدنى منها بسيط في تخطيطه ، إذ يتكون من ثلاث بلاطات وأسكوبين أما العلوى فيشتمل على تسع بلاطات وأسكوبين ، وتقوم العقود التي تتكىء عليها القبوات نصف الاسطوانية ، والعقود الأخرى المنخفضة التي تفصل بين البلاطات على دعائم مطولة . (٢)

(١) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(١) وكان يحتوى ايضا على مدفن بين السور وجدار المحراب .

سور سوسة :-

يذكر ابن خلدون أن الامير ابراهيم بن احمد (٢٦١ - ٢٨٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٠١ م) هو الذى بنى سور سوسة (٢) ، كما يذكر ذلك ايضا ابن الاثير (٣)

ويذكر البكرى أن الامير زيادة الله (٢٠١ - ٢٢٣ هـ / ٨١٦ - ٨٣٧ م) هو من بنى سور سوسة وكان يقول ما أبالي ما قدمت عليه يوم القيامة وفي صحيفتى اربع حسنات : بنى المسجد الجامع بالقيروان ، وبنى قنطرة الربيع ، وبنى حصار مدينه سوسة ، وتولية أحمد بن ابي محرز قضاة افريقيه " (٤)

الا ان ابن الخطيب يقول أن من بنى سور سوسة هو الامير ابو ابراهيم احمد بن محمد بن الاغلب (٢٤٢ - ٢٤٩ هـ / ٨٥٦ - ٨٦٣ م) سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م . (٥)

ويتضح لنا من كل هذه الأقوال أن قول ابن الخطيب هو الأصوب ويؤيد ذلك النقش المسجل على السور القبلى من اسوار سوسة (٦) .

أما صفة سور سوسة : فهو سور مبنى من الحجر المصقول ، ويعلموه جدار مشرف الذروة لحماية ممشي السور . ويدعم السور من الخارج أبراج ضخمة تتجاوز في ارتفاعها مستوى ممشي السور بنحو أربعة أمتار . وفي الزاوية الجنوبية الغربية من أسوار سوسة وهى أكثر مناطق سوسة ارتفاعاً ينتصب

-
- (١) أرنست كونل : المرجع السابق ، ص ٢٥ .
 - (٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٣ .
 - (٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٥ .
 - (٤) البكرى : المصدر السابق ، ص ٣٥ .
 - (٥) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣ .
 - (٦) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ .

برج مرتفع، ويذكر البكرى هذا البرج ويسميه منار فيقول " منار عال يعبرف بمنار خلف الفتى " (١) وهو برج مربع الشكل كالصومعة يعلوه برج أقل حجماً، ويشغله من الداخل أربع غرف تعلو الواحدة منها الأخرى، السفلى منها مسقوفة بقبة نصف أسطوانية، والغرفة الثانية التي تعلوها تسقفها قبوة متعارضة، أما الثالثة فسقفها قبة نصف أسطوانية، والغرفة الرابعة تتكون من أربع قبوات متعارضة تقوم على عقود مصلبة، ويبلغ ارتفاع هذا البرج ما يزيد على ثلاثين متراً. (٢)

سور سفاقس:

يذكر السيد عبد العزيز سالم عن اليعقوبي أن سفاقس مدينه على ساحل البحر، ويضرب البحر سورها. (٣) أما البكرى فيصفها بقوله " هي مدينه على البحر مسورة ". (٤)

وهذا السور الذي اشار اليه اليعقوبي والبكرى أقيم في عهد الأمير ابراهيم بن احمد (٢٦١ - ٢٨٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٠١ م) من التراب واللبن، ثم رُم بعد ذلك بالاحجار. ويتألف من ستارة مبنية من الحجر المصقول، وقطع من الحجارة غير المهذبة، ويدعم السور ابراج مستطيلة الشكل، مستديرة الرووس. وبعضها مضع. (٥)

ويذكر لنا بن حوقل رباطاً آخر فيقول ما نصه " بينه (أي بين المنستير) وبين المهديّة ايضاً قصر رباط يعرف بشقائنص وانه عندهم في المنزله (أي دون رباط المنستير) وهو حصن منيع، وهما (أي رباط المنستير ورباط شقائنص)

-
- (١) البكرى: المصدر السابق، ص ٣٤.
 - (٢) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥٣ - ٤٥٤.
 - (٣) نفس المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥٤.
 - (٤) البكرى: المصدر السابق، ص ١٩.
 - (٥) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥٤.

قصران عظيمان على حافة البحر للرباط والعبادة عليهما أوقاف كثيرة بأفريقيه
والصدقات تأتيها من كل أرض * . (١)

وكان يلي سفاقس على ساحل البحر التونسي سلسلة من الأربطه
والمحارس، نخص بالذكر منها، محرس بطويه وهو أشرفها، ويوجد به منار
مفرط الارتفاع يرقى اليه في ١٦٦ (مائة وست وستين) درجة. ومنها ايضا
محرس حبله، ومحرس أبي الغصن، ومحرس مقدمان، ومحرس اللوزة، ومحرس
الريحانه . (٢)

ويذكر لنا حسين مؤنس بعض الأربطه التي اشتهرت في عهد الأغالبه،
وهي رباط قصر الطوب في سوسة، ورباط تونس، ورباط بونه التي تسمى اليوم
عنايه . (٣)

وهكذا نرى مدى اهتمام الأغالبه بتحسين الساحل التونسي ويدل على
ذلك ما يذكره ابن خلدون من أن الأمير أبا الفرائيق كان مولعا بالبنائ
والتشييد، فبنى الحصون والمحارس على الساحل الافريقي على مسيرة ١٥ يوما
من برقه الى جهة الغرب . (٤)

ويذكر ابن الاثير أن الأمير إبراهيم بن أحمد (٢٦١ - ٢٨٩ هـ / ٨٧٤ -
٩٠١ م) في بداية تولية الامارة على إفريقيه بنى الحصون والمحارس، وفي
هذا الصدد يقول * وبنى الحصون والمحارس على سواحل البحر حتى كان
يوقد النار من سبته فيصل الخبر الاسكندرية في الليلة الواحدة * . (٥)

وقد اثبتت الدراسة التي قام بها الدكتور محمد عبد الهادي شعيره عن
(الرباطات الساحليه الليبيه الاسلاميه) صحة قول ابن الاثير وقد توصَّل

(١) ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٧٥ .

(٢) البكري: المصدر السابق، ص ٢٠ .

(٣) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ٨١ .

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠١ .

(٥) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٦، ص ٥ .

الدكتور محمد عبد الهادي شعيره في هذه الدراسة الى عدة نتائج اجملها بقوله
(ومجمل القول ان القصور بين قابس وطرابلس عدد ها ٢٥ قصرا ، وان القصور
من طرابلس الى سلوقه عدد ها ٣٨ قصرا وان السواحل البرقاوية
كانت ذات قصور عديدة متقاربة كالسواحل الطرابلسية والحقيقة الأهم هي
أن السواحل من سبتة الى الاسكندرية كانت عبارة عن جبهه بحريه تتتالي فيها
القصور على مسافات متقاربة ، بحيث تتراعى فيها النيران من فوق الأبراج ،
بحيث كانت القصور تؤلف سورا دفاعيا متينا ونتيجة لوجود هذه
الحصون المتقاربة فلقد أمكن للتجارة أن تسير في طريق آمن ، وأن تحافظ
البلاد على نفسها من هجمات العدو في البحر إذ أنه أمكن عن طريقها نقل
الأخبار بحيث اذا ظهر العدو في البحر أو حدث هجوم ما ، نور كل حصن
للذي يليه عن طريق اشعال النار فوق قممها لكي يأخذ الناس حذرهم من
العدو ، وعن طريقها امكن نقل الاخبار من الاسكندرية الى طرابلس في
ثلاث ساعات والى مدينة سبتة في ليلة واحدة . (١)

(١) محمد عبد الهادي شعيره : الرباطات الساحلية الليبية الاسلامية ، المؤتمر
التاريخي ١٦ - ٢٣ مارس ١٩١٨ م (ليبيا في التاريخ) ص ٢٤٧ *

٤ - القواعد البحرية والمراسي :-

كانت توجد بأفريقيه قواعد بحريه ومراسي زادت من أهمية الاسطول الاغلبى في مياه الحوض الاوسط للبحر الابيض المتوسط . وسبب وجود هذه المراسي والقواعد هو طول الشريط الساحلي الافريقي (المغرب الأدنى) التابع لامراء الأغالبه والذي يتصل بسواحل طرابلس (١) شرقا ويشمل افريقيه التى تتكون من البلاد التى تقابل بلاد تونس الحالية تقريبا ثم اقليم الزاب وتصل الى نهر شلف غربا الى الحدود المغرب الاوسط. (٢)

وبالاضافه لهذا السبب كثرة خلجانها وجزرها البحريه الحاميه لسواحلها . وكذلك المواقع المركزية في حوض البحر المتوسط الغربي الذى كانت تتمتع به والذي رسم لها دورا معيناً لابد لها من القيام به لتقرير مصيرها البحرى في شقه تامة . (٣)

وقد بين لنا ابن خلدون أهمية امتداد الساحل البحرى لأفريقيه وتأثيره الكبير في مهارة سكان هذه المنطقة - سواء كانوا روما أو فرنجة أو قوطا أو من ورثهم من المسلمين - في حوض البحر الابيض المتوسط وفي قدرتهم على ركوب مياهه ، فقال " والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوتيه يعانسون من احواله مالا تعانيه أمة من أمم البحار فقد كانت الروم والافرنجة والقسوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومى وكانت اكثر حروبهم ومتاجرهم فسي السفن فكانوا مهرة في ركوبه ، والحرب في أساطيله . . . فكانت هذه عادة لأهل البحر الساكنين حفاية (يقصد على حافته أى ساحله) ، معروفة فى القديم والحديث " . (٤)

-
- (١) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ٥٢ (يذكر ان حدود اقليم طرابلس تبدأ عند قرية صغيره الى الغرب من صرت تسمى تاروغا وتنتهى عند قابس)
- (٢) نفس المرجع السابق ، ص ٥٢ - ٥٣ .
- (٣) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٤٨ .
- (٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

وقد ادرك الفينيقيون هذه الخصائص والمزايا التي تتمتع بها البلاد التونسية لانهم كانوا شعبا من الملاحين والتجار بطبيعتهم ، كذلك اهتم الوندال اهتماما خاصا بسيادتهم البحرية على هذه المنطقة ، فأنشأوا أسطولا بحريا قويا ، يصدون به خصومهم في البحر الابيض المتوسط . (١)

والهمم أنه عندما استقر المسلمون في هذه المنطقة انتقل اليهم بطبيعة الحال الاحساس بأهميتها وأهمية البحر والبحرية لحمايتهم من جهة ، وللتجارة فيه من جهة أخرى .

القواعد البحرية والمراسي في افريقيه :-

بالاضافة لمرسى رادس بتونس ، ومرسى سوسة وكذلك مرسى طرابلس السابق الذكر في دور الصناعة نجد مرسى سفاقس (صفاقس) ، ويذكر البكري^(٢) والحميري عنها قولهما : " وهى محط السفن فإذا حزر الماء بقيت السفن فسى الحماء وإذا مد رجعت السفن ، يقصدها التجار من الآفاق بالأموال الجزيلة لا بتياع المتاع والزيت " ^(٣) .

ويتابع البكري قوله " . . . ويقابل سفاقس في البحر جزيرة تسمى قرقنة وهذه الجزيرة في وسط القصير بينها وبين مدينة سفاقس في ذلك البحر الميت القصير القصر نحو عشرة اميال وليس للبحر هناك حركة في وقت وبهذا هذالموضع في البحر على اسس القصير بيت مشرفمبنى بينه وبين البر الكبير نحو اربعين ميلا فإذا رأى قلب البيت (يقصد وسطه) اصحاب السفن الواردة من الاسكندرية والشام وبرقه أداروها الى مواضع معلومة . (٤)

-
- (١) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : المرجع السابق ص ٤٨
 - (٢) انظر قبل ، الفصل الثاني ، الفقرة الثانية ، ص ٧٢ .
 - (٣) البكري : المصدر السابق ، ص ٢٠ - الحميري : المصدر السابق ، ص ٣٦٦ ، وانظر قبل ، الفصل الثاني ، الفقرة الثالثة ، ص ٩٤ من سور سفاقس .
 - (٤) البكري : المصدر السابق ، ص ٢٠ .

وعن مرسى قابس يقول البكرى ما نصه : " وقابس مدينة جليله مسورة بالصخر الجليل من بنيان الأول ذات حصن حصين . . . وساحل مدينة قابس مرفأ للسفن من كل مكان . . . وقابس منار منيف " . (١)

ويقول عنه أبو الفداء " بينها وبين البحر ثلاثة أميال والمراكب المتوسطة تدخل في نهرها . (٢)

أما مدينة يونه فيقول عنها ياقوت " وهى مدينة حصينه . . . وهى على البحر . " (٣) ويذكر البكرى عنها " مرسى بونه مرسى مأمون " (٤) . فقد كان مرسى بونه مرسى جيداً كانت تخرج منه الشوانى غازيه الى بلاد الروم وسردانيه وقرشقه وما والاها . (٥)

ويقول الحميرى ما نصه " ومرسى بونه من المراسي المشهوره ، وبونه فى جون من البحر يسمى جون الازقاق وهو صغير ربما عطبت فيه المراكب . (٦)

أما جيغل فلها مرسيان أولهما في جنوبها وهو مرسى صعب والثانى في الشمال ومياهه ساكنة الحركة حسنة الارساء ، ويسمى مرسى الشعراء . وعلى مقربة من جيغل يقع مرسى القل . (٧)

-
- (١) نفس المصدر السابق ص ١٧ .
(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ .
(٣) ياقوت : المصدر السابق ، م ١ ، ص ٥١٢ .
(٤) البكرى : المصدر السابق ، ص ٨٢ .
(٥) نفس المصدر السابق ، ص ٨٣ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٥٢ .
(٦) الحميرى : المصدر السابق ، ص ١١٥ .
(٧) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

ويذكر ابن جوقل في معرض كلامه عن مدينة بونة قوله " وبينها وبين
جزائر بني مزغناى مراسي فمنها جيجل مرسى . . . (١)

القواعد البحرية والمراسي في صقلية :

مدينة بلرم، ويصفها الحميرى بقوله " وهى دار الملك بصقلية في مدة
الاسلام ومدة الروم، ومنها كانت تخرج الاساطيل للغزو وهى على ساحل البحر
والجبال محدقه بها ولها ساحل حسن " . (٢)

(٣)
أما المقدسى فيقول عنها " هى قصبة صقلية على البحر في الجزيرة " .

(٤)
أما مدينة أطرانيش فقد وصفها المقدسى بقوله " بحريه غريبه مسورة "
أما ياقوت فيقول عنها " ومنها يُقلع الى افريقيه " (٥) والحميرى يذكر في وصفها
ما نصه " والسفن منها واليه لا تتعطل شتاءً ولا صيفاً . والبحر يحدق
بها من جميع الجهات، وانما يسلك اليها على قنطرة ومرساها في الجانب
الجنوبى منها وهو مرسى ساكن غير متحرك تشقى فيه اكثر السفن آمنة من جميع
الانواء، موجه هادى ممتد هيجان الرياح " . (٦)

وأما مدينة مسينا فقد سبق الحديث عنها في الفقرة الثانية من هذا
الفصل عن تعدد دور الصناعة في دولة الأغالية. (٧) أما بالنسبة لمرساها فيذكر
ذلك الحميرى في قوله " وبها حظ واقلاع، وبها ارساء من جميع بلاد الروم
الساحلية، وبها تجتمع السفن الكبار والسافرون والتجار من بلاد الروم

-
- (١) ابن جوقل : المصدر السابق، ص ٧٧ .
(٢) الحميرى : المصدر السابق، ص ١٠١ .
(٣) المقدسى : المصدر السابق، ص ٢٣١ .
(٤) المقدسى : المصدر السابق، ص ٢٣٢ .
(٥) ياقوت : المصدر السابق، م ١، ص ٢١٨ .
(٦) الحميرى : المصدر السابق، ص ٣٩٠ .
(٧) انظر قبل : الفصل الثاني، الفقرة الثانية، ص ٧٨

والاسلام . (١)

ويصف مرساها ابن جبير فيقول : " ومقصد جوارى البحر من جميع
الاقطار . . . والبحر يعترض أمامها في الجهة الجنوبية منها ، ومرساها
اعجب مراسى البلاد البحرية ، لأن المراكب الكار تدنو فيه من البر حتى تكاد
تمسه وتنصب منها الى البر خشبة يتصرف عليها ، فالحمال يصعد بحمله اليها
ولا يحتاج لزوارق في وسقها ولا في تفريغها الا ما كان مرسياً على البعد
منها يسيراً ، فتراها مصطفة مع البر كاصطفاف الجياد في مرابطها واصطبلاتها ،
وذلك لا فراط عمق البحر فيها " (٢)

أما طبرمين فيصفها المقدسى بقوله " بحريه شرقيه ، تطل على بلد
الروم شرقيه لها قلعه من حجارة ، فرضة من البحر " . (٣)
ويذكر ياقوت عنها ما نصه " قلعه بصقلية حصينه " . (٤) أما الحميرى
فيقول عنها " وهى على جبل مطل على البحر ، وبه مرسى حسن ، والسفر اليه
من كل الجهات " . (٥)

(٦)
ومرسى مدينة قطنية التى يصفها المقدسى بقوله " بحريه قبلية مسورة "
أما ياقوت فيذكر اسمها قطناليه ويقول عنها : " مدينه على سواحل جزيرة صقلية ،
ويقال قطنانيه ، وهى مدينه كبيرة على البحر من سفح جبل النار . " (٧)

-
- | | |
|-----|-------------------------------------|
| (١) | الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٥٩ |
| (٢) | ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٢٩٦ |
| (٣) | المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ |
| (٤) | ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ، ص ١٧٠ |
| (٥) | الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٨٥ |
| (٦) | المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ |
| (٧) | ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ، ص ٣٧٠ |

ومرسى سرقوسة يصفه الحميرى بقوله " هى مدينة بينها وبين جزيرة صقلية مجاز لطيف وهي كبيرة عليها ثلاثة أسوار . . . والبحر محدد بها من جميع جهاتها ، والدخول اليها والخروج منها على باب واحد شمالها ولها مرسيان وليس مثلهما في جميع البلدان ، احدهما اكبر من الآخر " . ويذكر في موضع آخر من وصفه لسرقوسة " لها مرسى يعرف بالمينا الصغيرة وبينه وبين مرسى المينا الكبيرة حفير ، وعلى الحفير قنطرة الى المدينة ، والميناء الكبيرة مرسى مشتى للسفن " . (١) أما المقدسى فيصفها بقوله " وسرقوسة مدينتان ملتزمتان لها مينا عجيب ولها خندق يدور فيه ماء البحر " . (٢)

أما مدينة جرجنت فيصفها المقدسى بقوله " بحريه مسورة " (٣) ومدينه إلياج (لياج) يصفها الحميرى بقوله " بلدة في جزيرة صقلية على البحر يحمل منها الزيت والقطران والخشب " . (٤)

(٥) أما المقدسى فيقول عنها " مسورة بحرية قبله شربهم من ماء جار " . ومدينة طارنت التي يصفها الحميرى بقوله " توسق منها السفن وتقصد ها وبها مرسى فيه بحر حى " . (٦) ويوجد مراسى أخرى في صقلية مثل مرسى البوالص ونوطس ورغوص ولنبلاية والساقه والحمه وبرطنيق . (٧) وهكذا نرى أن جزيرة صقلية تحتوى على الكثير من القواعد البحرية والمراسى . والى جانب هذه الميزة يوجد الموقع الممتاز الذى كانت تتمتع به

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣١٧ - ٣١٨ |
| (٢) | المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ . |
| (٣) | نفس المصدر السابق ونفس الصفحة . |
| (٤) | الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥١٤ . |
| (٥) | المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ . |
| (٦) | الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٨٢ . |
| (٧) | السيد عبد العزيز سالم : البحرية المصرية في العصر الفاطمى ، ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية ، لنخبه من الاساتذة المتخصصين بجامعة الاسكندرية ، ص ٤٦٧ . |

صقليه بين الساحلين التونسي والايطالي ، فهذا أعطاها اهمية عظمى ففى الصراع البحرى بين القوى البحرية فى حوض البحر المتوسط الغربى وذلك لأنها تعتبر مفتاح البحر المتوسط الأوسط والغربى وقد كان فتح الاغالبية لها ففى عام (٢١٢ هـ / ٨٢٧ م) أى فى بداية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى حدثا بارزا فى تاريخ البحرية الإسلامية أدى الى انتقال السيادة على هذا القسم من يد البيزنطيين الى يد المسلمين . كما تمكن الاغالبية بواسطتها من تهديد الامارات الايطالية كامارة قلورية وابوليا وامالفي ونابلى وجنوه وبيشه مما أدى الى سيطرتهم على البحرين التيرانى والادرياتى (١) .

القواعد البحرية والمراسى فى مالطه وفى قوصره :-

بجانب هذه المراسى العديده فى صقليه كانت توجد مراسى فى جزيرة مالطه من اشهرها مرساها الذى وصفه لنا الحميرى . (٢)
(٣)
ثم جزيرة قوصرة وهى جزيرة فى بحر الروم بين المهديه وجزيرة صقلية، وتقع الى الشرق من جزيرة مليطه (٤) لها من جهة الجنوب مرسى مأمون يكن من رباح كثيره . (٥)

هذا الى جانب بعض الجزر الصغيره الاخرى المنتشرة فى مياه البحر الابيض المتوسط بالقرب من الساحل التونسي .

-
- (١) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٥٥
(٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٢٠ .
(٣) ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ، ص ٤١٣ .
(٤) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٥٥ .
(٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٨٦ .

٥ - البحرية الأغلبية :-

أما من حيث حجم وقوة البحرية الأغلبية ، فكلما سبق أن قلت في مقدمة هذا الفصل فإن المعلومات التي تمدنا بها المصادر عن ذلك شحيحة ، وهي تتركز فيما نستطيع أن نستخلصه مما ترويه لنا المصادر عن عدد ونوع السفن التي اشتركت في بعض الغزوات البحرية وهي قليلة - التي قام بها الاغلبية لفتح صقلية وما جاورها من جزر الحوض الأوسط والغربي للبحر الأبيض المتوسط وجنوب ايطاليا .

بالنسبة لعدد السفن فالحملة الأولى لفتح صقلية التي قادها أسد بن الفرات سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧ م كان قوامها ٧٠٠ (سبعمائة) فارس بخيلهم ، و ١٠٠ (عشرة) آلاف راجل وحين انتظموا في مراكزهم ، كان عدد المراكب حوالي ١٠٠ (مائة) مركب ، غير مراكب فيمى ، وقيل سبعمائة سفينة فقط (١) . أى ان حمولة المركب الواحد كانت أكثر من ١٠٠ (مائة) رجل غير النواتيه (البحاره) الذين يعملون على ظهر السفينه . (٢)

ثم بعث أسد بن الفرات يطلب امدادات اخرى ، فبعث له الامير الأغلبى زيادة الله الأول (٢٠١ - ٢٢٣هـ / ٨١٦ - ٨٣٧م) عشرين ألف مقاتل وثلثمائة سفينة . (٣) ويذكر لنا حسن حسنى عبد الوهاب عند كلامه عن الحملة الثابريه التي جهزها الامير ابو العباس محمد بن الأغلب ردا على القارة التي قام بها سكان أواسط البلاد الايطالية ضد الساحل التونسي أنها كانت تشمل ٧٣ سفينة وقد كان خروجها من موسى سوسة الحربي سنة (٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م) . (٤)

-
- (١) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٦٦
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، م ١ ، ص ١٠٢ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج ٣ ، هامش ١١٢ - الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٣ محمد كرد على : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .
(٣) على حسنى الخربوطلى : الاسلام في حوض البحر المتوسط ، ص ٨٥ .
(٤) حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٨٢ .

ويذكر لنا ابن الاثير أن والى صقلية أبا العباس بن إبراهيم بن أحمد
الذى ولاه أبوه ولاية صقلية ، وصل إليها في غرة شعبان سنة ٢٨٧هـ / أغسطس
٩٠٠ م في مائة وعشرين مركباً وأربعين حربية (أى سفينه حربية) . (١)

ويذكر لنا ابن الاثير أيضاً تكملة للنص السابق فيقول بأن الأمير
إبراهيم بن أحمد أرسل ولده أبا العباس والياً على صقلية ليقضى على الفتنه
التي قامت بين العرب والبربر بها ، فما كان من أهل بلرم إلا أن تجهزوا
لقتال أبي العباس ، فإلى جانب جيشهم البرى ، سيروا لقتاله اسطولاً فى
البحر مكوناً من نحو ثلاثين قطعه . (٢)

وكما استطعنا ان نستخلص - على هذا النحو السابق - صوره تقريبيه
عن حجم وقوة البحرية الأغلبية ، فاننا نستطيع كذلك ومن خلال روايات المصادر
التاريخيه عن أحداث الفزوان نتعرف على أنواع السفن التي يتكون منها
الاسطول الأغلبى . فمن خلال هذه الروايات التاريخيه عن أحداث الفزوان
يمكن القول أن الوحدات التي كان يتكون منها الاسطول الأغلبى هى الشوانى ،
الحراقات ، والشلنديات ، والسفن الحربية ، والنواشى ، والفتاشى .

وفيما يلى عرض للنصوص التي استطعت استخراجها من المصادر عن
كل نوع من هذه السفن والتي تدل على وجودها ضمن الاسطول الأغلبى
ثم بعد ذلك وصف لكل نوع من السفن والمهام القتاليه التي كانت تقوم بها
لكى تتضح لنا الصورة عن البحرية الأغلبية :-

الشوانى :-

يذكر ابن الاثير رواية تثبت وجود الشوانى ضمن الاسطول الأغلبى
فيقول " فاتاه (يقصد به ابو العباس بن ابراهيم) كتاب أبيه ابراهيم (أى ابراهيم

(١) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٧ - ابن خلدون: المصدر السابق

ج ٤، ص ٢٠٣ (يذكر وصوله في ١٦٠ مركباً) .

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٧ .

بن أحمد بن الأغلب) يأمره بالعود إلى أفريقيه فرجع إليها جريدة في خمس قطع شوانى وترك العسكر مع ولديه ابى مضر. وأبى معد * (١)

والشوانى / هى جمع شينى أو شينيه أو شونه . وهى السفينة الحربية الكبيرة، وتعتبر من أهم القطع الكبيرة التى يتكون منها الأسطول فى الدول الإسلامية. (٢) ويستدل من النصوص التاريخية العديدة أن الشينى هو الأصل الذى يتفرع منه أسماء السفن الحربية الأخرى ولواحقها، فكل سفينة حربية شينى تحمل اسماً معيناً يدل على وظيفتها، فمنها: الغراب والطريدة والجفنه والحراقة... الخ. (٣)

والشينى مركب طويل وكبير، يمتاز بأنه يجدف له بمائه وأربعين مجدافاً، ويوجد به المقاتلة والجداقون، أما عدد المقاتلة به فيبلغ ١٥٠ رجلاً. وكانت الشينى مزودة بقلاع وأبراج للدفاع والهجوم. (٤) ولضخامة هذه الشوانى وعظمتها كانت تحتوى على أهراء لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء الحلو. وكان يستفاد أيضاً من هذه القلاع والأبراج لرمى النار والنفط منها على العدو. أما التجهيزات الأخرى التى كانت تحتوى عليها الشوانى فهى الفأس الذى يقال له اللجام، وهو حديدة طويلة محددة الرأس جداً وأسفلها مجوف كسنان رمح، يدخل عند الحرب على أسطام المركب - وهو الخشب الذى فى مقدمة الشينى وإذا أمكنتهم الفرصة تأخروا به قليلاً، ثم قذفوا قذفه واحده قوه، فينطرح المركب فيخرقه ويدخل الماء فيه فيطلبون الأمان. وإذا تقرب الشينى من الشينى طرحت فيه كلاليب كبار من الحديد، فيها سلاسل معقودة إلى المركب، فتوقفه.

-
- (١) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٨
(٢) درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص ٨٣ - سعد ماهر: البحرية فى مصر الإسلامية، ص ٣٥٢.
(٣) درويش النخيلي: المرجع السابق، ص ٨٣.
(٤) نفس المرجع السابق، ص ٨٤ - سعد ماهر: المرجع السابق، ص ٣٥٢ - السيد عبد العزيز سالم: البحرية المصرية فى العصر الفاطمي مقالته ضمن كتاب (تاريخ البحرية المصرية) لنخبه من الأساتذة المتخصصين بجامعة الإسكندرية ص ٤٩٨.

ثم يطرح الألواح بينهما كالجسر، ويدخلون اليه ويقاتلون . (١)

الحرائق أو الحراقات :

ذكرت لنا المصادر بعض النصوص التي تدل على وجود هذا النوع من السفن في الاسطول الأغلبى وهذه النصوص هي :

يذكر ابن عذارى أنه في اثناء عودة محمد بن عبد الله التميمي إلى ولايته في صقلية في رمضان من سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥ م اعترضه الروم في البحر وأصابوا له حرقه من مراكبه رغم بلاء قائد الاسطول محمد بن السندس الذي خرج في عدد من الحراقات، وأخذ يطاردهم حتى حال الليل بين الفريقين . (٢)

ويذكر ابن الاثير رواية اخرى فيقول " وفي سنة أربع وخمسين ومائتين سار خفاجه (خفاجة بن سفيان والى صقلية) في العشرين من ربيع الأول وسير ابنه محمدا على الحراقات وسير سريه الى سرقوسه فغنموا . . . الخ " . (٣)

والحراقات جمع حرقه ، وقد يقال حراق والجمع حراق ، وهي مراكب حربية يعبر اسمها عن وظيفتها في احراق سفن العدو وبالنفط ، وتلى الشوانى في الاهمية فقد كانت نوعا من السفن الحربية التي تستخدم لحمل الأسلحة النارية كالنار الاغريقية ، وبها مرام تلقى منها النيران على العدو . استعملها المسلمون في العصور الوسطى وكان يجذف فيها بما يقرب من مائة مجداف . (٤)

-
- (١) درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص ٨٤ .
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٠٦ .
(٤) درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص ٣٢ - السيد عبد العزيز سالم : البحرية المصرية في العصر الفاطمي ، ضمن كتاب (تاريخ البحرية المصرية) لنبذة من الاساتذة المتخصصين بجامعة الاسكندرية ، ص ٤٩٨ . سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

وقد استخدمها الأغالبه في حروبهم لغزو قلوبيه وفي حروبهم البحريه
ضد البزنطيين ، وورثها عنهم الفاطميون . (١)

الشلندى :-

يذكر ابن الاثير عددًا من غزوات الاغالبه التى تكللت بالنصر وغنم منها
المسلمون عددًا من الشلنديات من الروم ، فيقول " ثم كانت وقعة أخرى بين
الروم والمسلمين فانهزم الروم وغنم المسلمون منهم تسعة مراكب كبار برجالها
وشلندى " (٢)

وكانت هذه الوقعة السابقة الذكر في سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م . ويذكر
ابن الاثير روايه أخرى ، فيقول " وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وصل عشرين
شلنديات من الروم فارسوا بمرسى الطين وخرجوا ليغيروا فضلوا الطريق
فرجعوا خائبين وركبوا البحر راجعين ففرق منها سبع قطع " . (٣)

ونذكر ايضا ابن الاثير عند فتح قصر يانه بصقليه قوله " فى سنة أربع
واربعين ومائتين فتح المسلمون مدينه قصر يانه . . . وسير (يقصد العباس
بن الفضل) جيشا في البحر (بقيادة أخيه على بن الفضل) فلقبهم أربعون
شلندى للروم فاقتتلوا أشد قتال فانهزم الروم وأخذ منهم المسلمون عشرين
شلنديات برجالها " . (٤)

-
- (١) السيد عبدالعزيز سالم : نفس المقال السابق ونفس الصفحة .
(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٨ - وقد ذكر نفس الغزوة
ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٠ .
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٦٨ .
(٤) نفس المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٩٠ - ابن خلدون : المصدر
السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٢ (يذكر ايضا رواية ابن الاثير) .

وعاد العباس بن الفضل قائد الاسطول البرى واخوه على بن الفضل
قائد الاسطول الى بلرم محملين بما غنموه من مغانم وسبي .

ويذكر ابن الاثير فى موضع آخر فى احداث السنة التالية سنة ٢٤٥هـ /
٨٥٩ م ما نصه * ولما سمع الروم بذلك ارسل ملكهم بطريقاً من القسطنطينية
فى ثلثمائة شلندى وعسكر كثير فوصلوا الى سرقوسة فخرج اليهم العباس (العباس
بن الفضل) من المدينة ولقي الروم وقاتلهم فهزموهم فركبوا فى مراكبهم هاربين
وغنم المسلمون منهم مائة شلندى * (١)

وفى رواية اخرى لابن الاثير من حوادث سنة ٢٦٨هـ / ٨٨١ م يقول :
* وعزل الحسن بن العباس عن صقلية ووليها محمد بن الفضل . . . ثم رحل
الى اصحاب الشلندية فقاتلهم فأصاب فيهم * (٢)

والشلنديات جمع شلندية وهى نوع من السفن كبيرة الحجم ، عظيمة
الجرم ، شديدة الاتساع ، وتعادل فى اهميتها الشوانى والحراقة (٣) ، وأصلها
فى اللغة اللاتينية Chelamdium (٤) وهى من المراكب التى
استخدمت فى البحر الابيض المتوسط ، وكانت معروفة عند البيزنطيين لأنهم
أول من استخدموها . (٥)

ثم أخذها عنهم المسلمون بعد الانتصارات الكثيرة التى حققوها ضدهم
وكان البيزنطيون يستخدمونها كسفن لنقل البضائع من مؤن وسلع . (٦) وحينما

-
- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٩٠
(٢) نفس المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٩ .
(٣) درويش النخيلى : المرجع السابق ، ص ٧٩ .
(٤) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة - سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٣٥٢
(٥) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .
(٦) درويش النخيلى : نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

استعملها المسلمون أطلقوا عليها اسم صندل ، واستخدموه كنوع من المراكب الحربية ، وكان مخصصاً لنقل الاسلحة والمقاتله ، ويتميز هذا النوع من السفن بأنه مسقف تقاثل الغزاة على ظهره (١) ، ويجدف الجدا فون تحتهم . (٢)

والشنديات بهذا السقف (السطح) تشبه المسطحات وكانت تسمى في الاندلس بالاجفان الغزوية او الغزوانية . (٣)

السفن الحربية :

يذكر لنا ابن الاثير رواية يبين فيها ان أبا العباس بن إبراهيم بن أحمد بعد تولية أمور صقلية من قبل أبيه وصل الى صقلية ومعه بعض السفن الحربية ، فيقول " كان إبراهيم بن الأمير أحمد أمير إفريقية قد استعمل على صقلية أبا مالك أحمد بن عمر بن عبد الله فاستضعفه فولى بعده أبا العباس ابن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، فوصل اليها غرة شعبان من هذه السنة (يقصد سنة ٢٨٢ هـ / ٩٠٠ م) في مائة وعشرين مركباً وأربعين حربية . (٤)

وفي رواية أخرى عن غزو مدينة ريو بجنوب ايطاليا في سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م يذكر أن أبا العباس بن إبراهيم بن أحمد تجهز للغزو فتوجه الى مدينة

-
- (١) سعاد ماهر: المرجع السابق، ص ٣٥٢ - درويش النخيلي : نفس للمرجع السابق ونفس الصفحة - ابراهيم العدوي : الاساطيل العربية، ص ١٥٤ .
- (٢) درويش النخيلي : المرجع السابق، ص ٨١ - سعاد ماهر: نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .
- (٣) السيد عبد العزيز سالم : البحرية المصرية في العصر الفاطمي: مقالة ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية لنخبة من الاساتذة المتخصصين بجامعة الاسكندرية ، ص ٤٩٩ .
- (٤) ابن الاثير: المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٧ .

د منش فحاصرها وضربها بالمجانيق ولم يفتحها ثم انصرف منها الى مسينا ،
حيث عبر المجاز في الحربية (ويقصد بها المراكب الحربية أو الحرايى)
الى مدينة ريو . (١)

وبالنسبة لاهتمام المغاربة بالمراكب الحربية يذكر لنا البكرى وهو يتحدث
عن الطريق المؤدى من القيروان الى مدينة بونه * . . . وبشرقي مدينة
بونه مدينة مرسى الخرز . . . وفي هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب الحربية
التي تغزى بها الى بلاد الروم . . . * (٢)

ويذكر درويش النخيلي عن الشريف الادريسي وهو يتكلم عن مرسى تونس
أنه اليه تصل المراكب الحمالة والنواشى والحرايى وترسو هناك . . . (٣)

والحربيات أو الحرايى ، هى نوع من الشوانى ولكنها اصغر منها حجماً
وتمتاز هذه المراكب عن الشوانى بسرعتها وخفة حركتها . (٤)

والحربية هى التى تنشأ لغزو العدو ، وتشحن بالسلاح وآلات الحرب
والمقاتله . وكانت هذه المراكب يقال لها الاسطول وهو لفظ رومى يطلق
على المراكب الحربية المجتمعه . (٥)

-
- (١) ابن الاثير: المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٧ - ٩٨ - ابن عذارى :
المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣١ - ابن خلدون : المصدر السابق ،
ج ٤ ، ص ٢٠٤ .
- (٢) البكرى : المصدر السابق ، ص ٥٥
- (٣) درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص ٣٩ (نقلا عن الادريسي) .
- (٤) السيد عبدالعزيز سالم : نفس المقال السابق ونفس الصفحة .
- (٥) درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص ٢ ، ٣٧ .

ووجدت سفن أخرى ضمن أسطول الأغلبية ، فقد ذكر الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق المراكب المسماة النواشي ضمن مراكب الأسطول الأغلبى . وذكر لنا العذرى المراكب الفتاشى ضمن الأسطول الاغلبى ايضا . (١)

النواشي :

هذا ولا يوجد لدينا نص يدل على وجود هذا النوع من السفن في الأسطول الأغلبى الا ما ذكره الإدريسي .

أما بالنسبة لوصفها فمفردا نيش . وهى من السفن الحربية الصغيرة . وقد ذكر الإدريسي هذا النوع من المراكب وهو يتكلم عن مرسى تونس كما سبق القول .

الفتاشى :

أما الفتاشى فإنى لم أجد نصا آخر غير ما ذكره العذرى يشير إلى وجودها في الأسطول الأغلبى ، كما لم أجد تعريفاً لهذا النوع من السفن .

(١) السيد عبدالعزيز سالم : البحرية المصرية في العصر الفاطمى ، مقال ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية ، لنخبة من الاساتذة المتخصصين بجامعة الاسكندرية ، ص ٥٠٠

الفصل الثالث

دور البحرية الإسلامية في عهد الأغالبة

- ١- فتح جزيرة قوصرة .
- ٢- فتح جزيرة صقلية .
- ٣- فتوح الأغالبة بجنوب إيطاليا .
- ٤- فتح جزيرة مالطة ، وجزيرة لبندوشة
ونموشة ومحاولات فتح جزيرة سردانية .

توجد في الجهة الغربية من البحر الابيض المتوسط مجموعة من الجزائر المتعددة الاحجام، فمنها الكبيرة التي تزيد مساحتها عن البلاد الافريقية (التونسية). ومنها الصغيرة التي لا تبلغ مساحتها إحدى المدن التونسية. والجدير بالذكر أن ما من هذه الجزائر الصغيرة أو الكبيرة إلا وعرفها العرب وقاموا بفتحها بأساطيلهم طوال مدة انتشار سلطانهم، وامتلكوها وفرضوا سيادتهم على أرضها، ونقلوا إليها وسائل حضارتهم وأسباب تمدنهم ودينهم الإسلامي الحنيف، فكان انصهار ومصاهرة بينهم وبين أهالي البلاد الأصليين ومن هذه الجزائر سردانية وكورسيكا (قورسقة) والجزائر الشرقية للأندلس (ميورقة ومنورقة ويابسة) (١) التي وقع فتحها كلها على يد مسلمي المغرب والأندلس.

-
- (١) كورسيكا (قورسقة) : هي قبالة جنوه وامتدادها من الشمال الى الجنوب مجرى ونصف ووسطها متسع ورأسها من جهة جنوه ضيق بينها وبين جزيرة سردانية مجاز نحو عشرة اميال (أبو الفداء) : تقويم البلدان، ص ١٨٩ - فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١، ص ٢١٢
- (٢) ميورقة : آخر جزيرة ثبتت في يد الاسلام، مسافتها من الشمال الى الجنوب أربعون ميلا. وهى في الغرب عن منورقة. (أبو الفداء) : تقويم البلدان، ص ١٩١.
- (٣) منورقة : وتسمى منرقه أو مانورقه وهى جزيرة في بحر الزقاق وهى خصبة وبها مدينه طولها وعرضها. وطول مسافتها من الشمال الى الجنوب بانحراف خمسون ميلا وقيل سبعون ميلا وهى شرقي جزيرة ميورقه. وبينهما خمسون ميلا. وفي وسطها حصن (أبو الفداء) : تقويم البلدان ص ١٩١.
- (٤) يابسة : جزيره تقع غربى ميورقه ومنورقه، بينها وبين بلنسية من الأندلس مجرى واحد ويذكر الادريس عنها ان من دانيه الى جزيرة يابسة تسعون ميلا شرقا ومن جزيرة يابسة الى جزيرة ميورقه المدينه مائة ميل شرقا (أبو الفداء) : تقويم البلدان، نفس الصفحة السابقه) ويذكر الدمشقى : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ١٤١ انها تقع حيال جزيرة الأندلس وطولها وعرضها يومان في يوم وبها مدينه صغيرة مسوره.

وكذلك جزيرة صقلية تلك الجزيرة الكبيرة العظيمة الإِتساع اذ تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف البلاد الإفريقيه ، وقد كان فتحها على يد أمراء الأغالبه فامتلكوها بعد جروب بينهم وبين البيزنطيين استمرت قرنا بأكمله ، وهو القرن الثالث الهجرى وبعد فتحها دخلت في ملكهم المتسع. (١)

(٢) ولا ننسى كذلك جزيرة مالطة وتوابعها التي فتحها العرب المسلمون وترسخت قدمهم بها ونشرت حضارتهم وثقافتهم بأرضها وبين أهلها حتى تشربت الأرض بالروح الشرقيه ، فلم تستطع تركها الى اليوم. (٣)

واخيرا نأتى الى جزيرة صغيرة تجاور البلاد التونسيه وتسامتها من الشمال الشرقي . وهى قريه منها كثيراً حتى لكانها تنظر إليها . وقد حافظت هذه الجزيرة على ما بها من آثار توارثها الاحفاد عن الأجداد . وتعنى بها هذه الجزيرة الصغيره المشهوره اليوم باسم بنظلاويه والتي كانت تعرف قديما باسم قوصره (Cassyra) (٤)

الفقرة الأولى : فتح جزيرة قوصرة :

وقوصرة هو الاسم اليونانى الذى عرفت به هذه الجزيرة قديماً ومعناه السله أو السقط أو الزنبيل ، وكان هذا الاسم أطلق عليها للمشابهة الموجودة بين صورة الجزيرة وتلك الأداة . ومن غريب الإتفاق أن كلمة

- (١) انظر فيما بعد ، الفقرة الثانية من هذا الفصل (فتح جزيرة صقلية) ص ١٠٠
(٢) جزيرة مالطة : طولها سبعون ميلا وعرضها ثلاثون ميلا ، وبها مدينة مسماة بأسمها (الدمشقي : المصدر السابق ، ص ١٤١) .
(٣) انظر فيما بعد ، الفقرة الرابعة من هذا الفصل (فتح جزيرة مالطة - فتح جزيرة لنبدوشه وجزيرة نموشه ، ومحاولة فتح جزيرة سردانية) ص ١٠٠
(٤) حسن حسنى عبد الوهاب : قصة جزيرة قوصره العربيه ، المجلد التاريخيه المصريه ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، مايو ١٩٤٩ م ، ص ٥٥ .

قوصرة في اللغة العربية لها هذا المعنى بعينه ، قال الليث : القوصره بالفتح ثم السكون والصاد المهلمه - وعاء التمر ، وهي القفه والزنبيل وما جاء على شكلها ، وأثبتها ابن القطاع الصقلي فقال بالألف قوصرا (١) .

وتقع هذه الجزيرة في منتصف الطريق بين صقلية وافريقية (تونس) وتبلغ جملة مساحتها نحو خمسة وثمانين ميلاً مربعاً ، وعدد سكانها لا يتجاوز العشرة آلاف نسمة . (٢)

وقبل أن نتحدث عن فتح المسلمين لجزيرة قوصره يحسن بنا أن نشير الى ما عرفها به الجغرافيون العرب ، وما قال عنها أصحاب تقاويم البلدان . فقد كتب الادريسي - صاحب كتاب نزهة المشتاق في القرن السادس للهجرة - يقول عنها . " انها جزيرة قوصره توازي حصن اقلييه من أرض - افريقية ، وتوازي بين مدينة الشاقه (Sciacca) ومازره (Mazzara) من صقلية ، وبينها مجرى ، وهي جزيرة خصيبة فيها أبار وسواحل وأشجار زيتون ، وفيها ما عكثير برية متوحشه ، ولها من جهة الجنوب مرسى مأمون من الرياح (٣)

أما ياقوت الحموي فيقول : " هي جزيرة في بحر الروم بين المهدية وصقلية فتحها المسلمون في ايام معاويه ، وبقيت بأيديهم ثم خرجت (٤) وأورد ذكرها ابو الفداء - صاحب حمة المتوفى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م فقال : " وجزيرة قوصره قبالة افريقية بالقرب من تونس وبينها وبين صقلية مجرى وهي في أواخر الأقليم الرابع ويوجد بها شجر المصطكى ويجلب منها (إلى افريقية التونسية) التين والقطن الكثير " . (٥)

-
- (١) ياقوت : المصدر السابق ، م ٧ ص ١٨٣ .
 - (٢) حسن حسنى عبد الوهاب : مقاله السابقة ص ٥٦ (جزيرة قوصره فى الوقت الحاضر من الممتلكات الإيطالية) .
 - (٣) حسن حسنى عبد الوهاب : مقاله السابقة ، ص ٥٦ .
 - (٤) ياقوت : المصدر السابق م ٧ ، ص ١٨٣ .
 - (٥) ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٨٨ .

ويصفها ابن سعيد الغرناطى - المتوفى بتونس سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م بقوله : " جزيرة قوصره التى يجلب منها شريحة التين والقطران ، وهو يلتقط من شجر الصرو . وبها المصطكى وهى للمسلمين تحت عهد فرنج صقلية ، وهى شرقي (الحمامات) على ساحل مدينة سوسة ، ومنها فتح المسلمون جزيرة صقلية .^(١)

وبعد فتح المسلمين إفريقيا وامتلاكهم قرطاجنه وهى تعتبر أم البلاد الإفريقية وعاصمتها الكبرى . خرجت هذه البلاد من البيزنطيين في الربع الأخير من القرن الأول الهجرى / آخر السابع الميلادى . هذا الأمر دعى بحكم الضرورة المسلمين إلى غزو الجزائر المتوسطة في البحر بين العدوتين الإفريقية والأوربية . وقد دفعهم لهذا الفتح أمران الأول أن يحموا أنفسهم من هجمات الروم ، وأن يردوا غائلتهم عن الأرض التى ينتلكها المسلمون . ثم بعد ذلك يتخذون الوسائل التى تساعدهم على بسط نفوذهم على ما وراء البحر المتوسط من البلاد .

أما الأمر الثانى فهو التفكير في مد سلطانهم على المراكز الحائلة بين سلطنتهم والبر الكبير (إيطاليا) . وبطبيعة الحال كانت هناك نقاط مقاومة لعدوهم . من أجل ذلك كان أول ما فكر فيه الولاة الأمويون لتنفيذ فتوحاتهم هو إنشاء دار الصناعة البحرية التى كانت الأولى من نوعها فى إفريقيا .^(٢)

ثم كان بناء هذه الدار كما ذكرنا سابقاً في الفصل الأول ، ومن ذلك الوقت شرعت الأساطيل الإفريقية فى خوض عباب البحر الأبيض المتوسط ، والتصرف بساحاته والاحتكاك بساكنتى سواحله من إفريقيا ، بغزوات متوالية

- (١) حسن حسنى عبد الوهاب : المقالة السابقة ، ص ٥٧ .
(٢) حسن حسنى عبد الوهاب : المقالة السابقة ، ص ٥٧ - ٥٨ .

وغارات متتابعة أدت إلى امتداد سلطان الإسلام على كثير من المراكز (١).

فكانت أولى غزوات المسلمين بقوصره على يد القائد المسلم عبد الملك بن قطن الفهرى في ولاية موسى بن نصير الأفريقية سنة ٨٨ هـ / ٧٠٧ م. ثم كان غزو آخر لها لحبيب بن أبى عبيده الفهرى، في ولاية ابن الحبحاب فى سنة ١١٨ هـ / ٧٣٦ م. وقد كان غرضهم من ضمها لسلطان المسلمين أن تكون قاعدة بحرية لهم وكذلك خوفاً من القوات الرومية التى بها أن تهاجم المسلمين في تونس لقربها من الشواطىء الإفريقية. ورغم هذا لم تستطع القوة الإسلامية الإستيلاء عليها نهائياً إلا في سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م (٢)، وكان ذلك على يد الأمير عبد الرحمن بن حبيب الفهرى - والى إفريقية في آواخر عهد الدولة الأموية - فكان له فتح قوصره قبل فتح الأغالبه صقلية بحوالى ثلاثة أرباع القرن.

والى هنا ولم يأت ذكر لفتوحات أخرى لجزيرة قوصرة في معظم المصادر التاريخية اللهم إلا ابن خلدون الذى يذكر فتحاً آخر للجزيرة فى عهد الأغالبه فيقول "ومنها (أى من دار صناعة تونس) كان فتح صقلية أيام زيادة الله الأول ابن إبراهيم بن الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيا، وفتح قوصره أيضاً في أيامه (٣) . . . وقد أيدته في ذلك أرشيبالد لويس الذى يقول إن قوة القاعدة البحرية التونسية قد اشتدت وأصبحت أقوى من ذى قبل بفضل ضم جزيرة قوصره عام ٢٢١ هـ / ٨٣٥ م (٤).

- (١) نفس مقاله السابقه ، ص ٥٨ .
- (٢) انظر قبل ، الفصل الاول ، ص ٤٠ .
- (٣) انظر قبل ، الفصل الاول ، ص ٥٥ .
- (٤) انظر قبل ، الفصل الاول ، ص ٥٦ .
- (٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٣ .
- (٦) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

ولتوضيح ذلك أعتقد أن جزيرة قوصره رجعت مرة أخرى لـ
البيزنطيين مما دفع أمراء الأغلبة أن يقوموا بفتحها من جديد ويدخلوها مرة
أخرى في حظيرة المسلمين، وذلك ليتخذوا منها اثناء غاراتهم على صقلية
محطاً وسطاً لأساطيلهم في الغدو والرواح .

ويذكر لنا حسن حسنى عبد الوهاب أنه لم يقف بالمصادر التاريخية
التي لدينا على أى نص يفيد ما كانت عليه هيئة الحكم والنظام الإدارى -
بالجزيرة . في مدة الحكم الإسلامى لها . أكان فيها حاكم بانفراده من لدن
الدولة الإفريقية . أم كانت راجعة بالنظر الى والى مالطة أو صقلية ؟ هذا
ما لم تحطنا بخبره الانباء الواصلة الينا .

ولا خفاء أن الامراء من بنى الاغلب كانت لهم عناية تامة بممتلكاتهم
واهتمام خاص بسيرها وعمرانها وتقدها . فقد كانوا لا يتخلون عن تفقدها
بأنفسهم من حين إلى آخر، ومهما مست الحاجة الى ذلك . وتذكر لنا
المصادر أن الأمير محمد الثانى - الملقب بأبى الغرانيق - ركب البحر مرة
من مرقأ سوسة إلى جزيرة قوصرة . وأقام بها بضعة أيام للكشف عن أحوالها،
ثم عاد الى القيروان عاصمة ملكه . ولا شك أن غيره من أمراء تلك الأسرة
كانوا يقصدونها . كما كانوا يزورون مالطة وصقلية للوقوف على حالة البلاد
والاستماع الى الرعايا. ويكمل حسن حسنى عبد الوهاب كلامه فيقول : " والرأى
الذى نعتقد أنه كان لقوصره عامل مستقل بذاته . ينظر في شؤونه -
الإدارية ومصالحها الحربية والاجتماعية . كما كان لها قاض شرعى مستقل
يقضى بين سكانها المسلمين في أمور دينهم وأحوالهم الشخصية معين من
قبل حكومة القيروان . وكذلك كان الشأن في بقية الممتلكات العربية المنقطعة
عن العدو " (١) ونظراً لحصانة موقعها الحربى وأهميته اعتنى بنو الاغلب

(١) حسن حسنى عبد الوهاب : المقالة السابقة ، ص ٦٥ - ٦٦

بشأنها عناية خاصة وفكروا في تعميرها وذلك لقلّة ساكنيها في ذلك الوقت الذي فتحت فيه ، لأنها لم تكن آهلة . فكانوا ينقلون إليها نصارى صقلية الداخلين تحت ذمتهم المجموعة بعد المجموعة ، بواسطة سفنهم الشراعية و يقيمونهم بها بعد أن وزعوا سهول قوصرة الخصبه عليهم حسب ما يكفى حاجتهم الزراعية . وفيما بعد انتقل إلى السكن فيها فلاحون من الساحل التونسي سواء كانوا عرباً أو أفارقة فكانوا يجاورون النصارى الإيطاليين أهالى البلاد الاصليين الذين بقوصرة . فلم يمض وقت طويل حتى أصبحت تضم بين جوانبها عدداً كبيراً من نصارى الذمة والأفارقة المسلمين ، ولكن كان الزمن قد غيرهم فمزجهم وأدمجهم فى البوتقة الإسلامية فأصبحوا كتلة واحدة تتسم بالأخلاق الإسلامية والعربية . ولا يعرفون غير العربية لغة . (١)

ومن هذا يتضح لنا بعد مرمى الأراء الأغلبية ، ومهارتهم فى أساليب السياسة وحنكتها ، وخبرتهم التامة بأسس العمران وقواعد الاجتماع .

ولا جدال فى أن جزيرة قوصرة أصبحت فى عهد الدولة الأغلبية من أملاكهم ذات الصبغة العربية الزاهرة ، ومركزاً حربياً معتبراً يحتوى على محطة لحمام الرسائل الذى تستعمله الدولة فى المخابرات السريعة بتحميله البريد المستعجل تحت أجنحته ، يغدو ويروح بين البرالافريقى والأساطيل الإسلامية . كذلك استفاد منها المسلمون من حيث موقعها الوسط ومرفئها المنيع وقلعتها الحصينة فى فتوحاتهم لجزيرة صقلية وجنوب إيطاليا وغيرها من جزر الحوض الغربى للبحر الأبيض المتوسط . (٢)

١(١) حسن حسنى عبد الوهاب : المقالة السابقة، ص ٥٩ - ٦٠

(٢) حسن حسنى عبد الوهاب : المقالة السابقة، ص ٦٠ .

٢- فتح جزيرة صقلية :

قامت الدولة الأغلبية في عزة وكرامة وعمل أمراءها على توطيد ملكهم هذا، فدان لها الناس بالطاعة. وكانت نتيجة ذلك ما قامت به هذه الدولة الصغيرة من مآثر خالدة في مجال الفتوحات البحرية لجزر البحر المتوسط ولجنوب إيطاليا.

هذا ولم يترتب على سقوط الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية أى تحول في سياسة مسلمي إفريقيا البحرية تجاه الشطر الغربي من البحر الأبيض المتوسط، وإنما زاد النشاط البحري الإسلامي في هذا المجال قوه وعلى وجه التخصيص في عهد الأغلبة.

ومن ثم كان ذلك الفتح العظيم لأكبر جزيرة في هذا البحر وهى جزيرة صقلية، وكان الجهاد الإسلامي الذى أعلى كلمة الله ورفع راية الإسلام فوقها ترفرف تحت سمائها.

ففي عهد الأمير إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ - ١٩٦ هـ / ٨٠٠ - ٨١١ م) مؤسس إمارة الأغلبة كانت مراكب البيزنطيين توالى الإغارة على الثغور الإفريقية فيخربون وينهبون السكان الأمنين الى جانب ممارستهم القرصنة التجارية منتهزين فرصة الضعف الذى أسمى فيه حكام المغرب نتيجة الفتن الداخلية. ويشير بعض المؤرخين الى أن السفن التجارية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كثيراً ما تعرضت في تلك الفترة للأخطار من جانب الأسطول البيزنطي. (١) وفي نفس الوقت كان على إبراهيم بن الأغلب أن يتفرغ لمشكلاته الداخلية سواء تلك التى تمثلت في ثورة حمديس في تونس الذى أرسل له إبراهيم بن الأغلب عمران بن مخلد والذى استطاع هزيمته ودخول تونس، أو تلك التى تمثلت في توسعات الأدارسة العلويين الذين

(١) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ١٨ .

أقاموا دولة لهم بالمغرب الأقصى منذ عام ١٧٢هـ/٧٨٨م. (١) وكذلك تلك التي تمثلت في ثورة عمران بن مخلد وعصيانه لإبراهيم بن الأغلب، فقد جمع جمعاً كثيراً وثار عليه، ونزل بين القيروان والعباسية وصارت القيروان وأكثر بلاد إفريقيا معه. لكن إبراهيم بن الأغلب استطاع القضاء على هذه الثورة. وبالنسبة لعمران فقد سار حتى لحق بالزاب وأقام به حتى مات إبراهيم. (٢) كذلك ثورة أهل طرابلس في عامي ١٨٩هـ/٩٦١هـ ولذلك لم يكن امام إبراهيم بن الأغلب سوى مسالمة حكام صقلية، فعقد هدنة لمدة عشر سنوات مع حاكمها (أو بطريقها) عام ١٨٩هـ/٨٠٤م. - ٨٠٥م في سبيل تأمين الثغور الإفريقية والملاحاة العربية في البحر المتوسط. (٤)

وكانت بنود هذه الهدنة أن يتم تبادل كل الأسرى المسلمين والروم بين الجانبين، وكذلك عدم شن أحد الطرفين الحرب على الطرف الآخر طوال مدة الهدنة، إلا إذا ظهر من الطرف الثاني ما يبرر نقضها. ولكن بعد وفاة إبراهيم بن الأغلب وتولى ابنه أبو العباس عبد الله الأول الإمارة من بعده (١٩٦ - ٢٠١هـ/٨١١ - ٨١٦م) اتجهت سياسة الأغلب نحو تقوية الإمارة بحرياً عن طريق الاهتمام الكبير بالأسطول الأمر الذي أثار انتباه البيزنطيين في صقلية. وقد أدى ذلك إلى تجديد الهدنة لمدة عشر سنوات أخرى بين أبي العباس عبد الله وبين جرجورى

- (١) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠٤ - حامد زيان غانم: المرجع السابق، ص ١٨.
- (٢) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠٤ - ١٠٥.
- (٣) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٢١، ١٥٦ - ١٥٧ - السيد عبدالعزيز سالم: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨.
- (٤) صابر دياب: المرجع السابق ص ٧٦ - السيد عبدالعزيز سالم: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ - حامد زيان غانم: المرجع السابق ص ١٨ - ١٩ - سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١١، هامش ٨٢ - ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ١٦٥.
- (٥) صابر دياب: المرجع السابق، ص ٧٩، هامش ١.

القائد البيزنطي في صقلية وذلك سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م، وبذلك تم
الصلح بين الطرفين (١)

ويذكر لنا ابن الخطيب في هذا الصدد ما نصه " أن أبا العباس
عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب عقد هدنة مع أهل صقلية جمع لعقد هـ
شيوخ القيروان ووجوههم : فكتب بين يديه كتاب الهدنة وقرئ على جماعة
الناس وكان فيه : " أن من دخل إليهم من المسلمين وأراد أن يردوه إلى
المسلمين كان ذلك عليهم " (٢)

وتم كذلك تبادل الأسرى ، وتقرر تأمين سلامة التجار من الجانبين .
ومع ذلك فلم تكن لهذه العقود أى تأثير في وقف الغارات المتبادلة
بين المسلمين والروم ، فلم تمنع المسلمين في شمال إفريقيا من القيام
بغارات متعددة ولو فاشله على جزيرة سردانية عامي ١٩٧ - ١٩٨ هـ /
٨١٢ - ٨١٣ م ، ففي الغارة الأخيرة خسر المسلمون مائة سفينة أغرقتها
لهم العواصف قرب الجزيرة . (٣) ورغم أن خسارة المسلمين في هذه
الغارات كانت كبيرة إلا إنها حفزتهم على مهاجمة صقلية سنة ٢٠٥ هـ /
٨٢٠ م وهى الغزوة التى غنموا فيها غنائم عظيمة (٤) ، كما كانت جزيرة

-
- (١) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج ٣ ، هامش ص ١١١ . سعد زغلول
عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١١ - صابر دياب : المرجع
السابق ، ص ٧٦ - حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ١٩ -
ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٦٥
(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج ٣ ، هامش ص ١١١
(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .
(٤) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٦٥ - السيد عبد العزيز
سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ - صابر دياب : المرجع
السابق ، ص ٧٦ .

سردانية فريستهم في العام اللتالي ٢٠٦هـ / ٨٢١ م . (١)

وبعد أن قضى زيادة الله الأول (٢٠١ - ٢٢٣ هـ / ٨١٦ - ٨٣٧ م) على كافة فتن وثورات البربر ، وانتشر الاستقرار والأمن داخل البلاد ، رأى أن يوجه جهوده خارج تونس وعلى الاخص في منطقة البحر الأبيض المتوسط^(٢) لكن الأمر كان يتطلب إعداداً عسكرياً لهذه المرحلة على مستوى كبير وخاصة وأن نظرة اتجه إلى أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط الا وهى صقلية .

ولكن حال بينه وبين تحقيق بغيته عقود الهدنة التي عقدها والده وأخوه ابو العباس من بعده مع حكام صقلية فكان الأمر يتطلب تغطيته قانونية تسمح بنقض هذه العقود . (٣)

وأما الأسباب التي دعت زيادة الله الأول لفتح صقلية فيمكن
إجمالها فيما يلي :-

أولاً : التمهيد لفتح البلاد الأوربية والعمل على مهاجمتها من الوسط وذلك بعد إخفاق المسلمين في الهجوم عليها من ناحية الشرق عند أسوار القسطنطينية ، وكذلك بعد توقف المد الإسلامي في غربى أوروبا بهزيمة المسلمين في موقعة بلاط الشهداء في سهول تور-بوانثيه أمام شارل مارتل .

-
- (١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ١٦٥ .
 - (٢) ابن الاثير: المصدر السابق ج ٥ ، ص ١٨٥ - ١٨٦ - حامد زيان غانم: المرجع السابق ، ص ١٩ .
 - (٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

ثانيا : قطع دابر القرصنة البيزنطية التي كانت تتخذ صقلية قاعدة لغاراتها على سواحل المغرب العربية و مراكب التجار العرب، فكان القراصنة البيزنطيون يقومون بالغارة تلو الغارة فيخربون الثغور العربية وينهبون الأرزاق ويأسرون السكان الآمنين الذين كانوا يباعون عبيداً ان لم تبادر دولة الأغلبة بدفع الفدية عنهم.

ثالثا : رغبة الأمير الأغلبى في قطع دابر الفتنة الداخلية والثورات التي كانت تجتاح البلاد، فأراد اشغال الناس من بربر وعرب بأمر الجهاد في سبيل الله، فربما هذا ينسيهم فتنهم الداخلية ويبعدهم عن محاربة بعضهم بعضاً. ولقد تخلص الأمير الأغلبى زيادة الله بفضل هذا الفتح من العناصر المثيرة للشغب والفتنة في الجند العربى، وبخاصة بعد الجهد الكبير الذى بذله في التصدي للثورة التي قام بها ضده أمير المحمدية منصور بن نصر. (١)

رابعا : هناك العامل الدينى وهو الأهم ألا وهو الجهاد في سبيل الله، فكما هو معروف فأهل إفريقية كان بينهم عدد كبير من العلماء والفقهاء، كما ساعدت الاربطة التي اقيمت على امتداد الساحل الإفريقى على تكوين طبقة من الصالحين الذين كرسوا حياتهم للجهاد ضد الروم. فكان خروجهم لمقاتلة الروم أقصى ما كان يتمناه العابدون والصالحون، وعند ما خرج أسد بن الفرات خرج معه أشرف إفريقية من العرب والجند والبربر والاندلسيون

(١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص ٥٦ - ٥٧ - سعد زغلول

عبد الحميد : المرجع السابق (٢) ص ٢١٠ - السيد عبد العزيز سالم
واحمد مختار العبادى : المرجع السابق، ص ١٠١ .

(٢) انظر قبل : الفصل الثانى : الفقرة الثالثة، ص ٨٠ الى ٩٤ .

وأهل العلم والبصائر.

خامسا : كانت صقلية بالنسبة للمسلمين أرض جديدة يمكن فتحها —————
وبلاداً غنية بالغنائم، في الوقت الذي أقفرت بلاد المغرب من هــذه
الغنائم . (١)

وأخيراً نأني إلى السبب الذي مكن زيادة الله من التحلل من شروط
عقود صلح أبيه وأخيه، وكذلك التحلل من إتفاقه معهم على أن يرجعوا
أسرى المسلمين إلى البلاد الإفريقية وأن لا يبقى منهم أحد بأرض الجزيرة.
وقد ذكر لنا الدباغ نصاً عن هدنة زيادة الله وأهل صقلية يقول فيـه
" ولما جرى الصلح بين زيادة الله وبين أهل صقلية والهدنة كان فيـه
(أن من دخل اليهم والمسلمين وأراد أن يردوه إلى المسلمين كان
ذلك عليهم) " (٢)

وكانت الحالة في صقلية يومئذ سيئة جداً، فقد كان يحكمها حكام
غلاظ شداد حياتهم الرشوة ودينهم حب الذات وسياستهم تعتمد على
الظلم والجور والعسف وكان لا يوجد في باطنهم إلا الحقد والحسد ونية
السوء . وكان شعب صقلية يئن من هذا الظلم منكراً له، إلا أنه لم يكن
يملك أمام هذا الظلم سوى الخضوع لإرادة هؤلاء الظالمين . فقد كان

-
- (١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٨٦ - ٣٨٧ -
السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : المرجع السابق،
ص ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ .
(٢) الدباغ : المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١ - ويذكر هذه الهدنة أيضاً
السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : المرجع السابق،
ص ١٠٣ .

يحكم الجزيرة يومئذ من قبل الأباطورية البيزنطية في القسطنطينية
حاكم يدعى قسطنطين ، وكان من الشخصيات التي توفرت فيها الصفات
السيئة السابقة . وعند وصول هذا الحاكم صقلية سنة ٢١١هـ / ٨٢٦ م
كان أمير البحر البيزنطي في صقلية رجل يدعى أوفيمياس Euphmiass
وهو الذي تسميه الكتب العربية فيمى ، وكان حازماً وشجاعاً قام ببعض
الغزوات لسواحل إفريقيا ونهب سفن التجار المسلمين . (١)

لكن الأباطور ميخائيل الثاني (٢٠٥ - ٢١٤هـ / ٨٢٠ - ٨٢٩ م)
غضب عليه فجأة ، وأمر قسطنطين واليه على صقلية بالقبض عليه وتعذيبه .
وتذكر بعض المصادر وخاصة اللاتينية منها أن سبب غضب الأباطور
ميخائيل الثاني عليه هو إكراه فيمى راهبة يقال لها هومونيزا على الزواج
منه (٣) . أما السبب الحقيقي فيذكره لنا السيد عبد العزيز سالم في قوله
" والحقيقة أنه ثار مغتتما فرصة قيام توماس بالثورة على الأباطور
(٤)

- (١) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٨٦ - ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٩٨ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى المرجع السابق، ص ١٠٢ - حامد زيان غانم: المرجع السابق، ص ١٩ .
- (٢) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٨٦ - ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٩٨ - صابر دياب: المرجع السابق، ص ٧٧ - حسن محمود واحمد الشريف: المرجع السابق، ص ١٦١ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى: المرجع السابق، ص ١٠٢ .
- (٣) حامد زيان غانم: المرجع السابق، ص ٢٠ - حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والدينى والثقافى والاجتماعى، ج ٢، ص ٢١٨ - ٢١٩ .
- (٤) انظر قبل: الفصل الثانى، ص ٦٩ - ٩٢ .

وانتصار المسلمين في اقريطش^(١) . فأحس فيمى عند ما علم بالأمر مدى
الخطر الذى يتهدده فجمع أنصاره وأخذ أسطوله وشق عصا الطاعة على
الإمبراطور، وزحف على مدينة سرقوسة واستطاع الاستيلاء عليها لكن
قسطنطين تصدى له وقام بينهما قتال عنيف انتهى بهزيمة قسطنطين
وفراجه إلى قطانية^(٢)، وهناك تمكن فيمى من أسره ثم قتله، وأعلن نفسه ملكاً
على صقلية، وعين أصحابه وأنصاره على أقاليمها ومدنها . (٣)

-
- (١) إقريطش: هي جزيرة كريت وهى من جزر البحر الأبيض المتوسط،
والانتصار المعنى هنا كان هو في سنة ٢١١هـ / ٨٢٦م . فقد بعث
المسلمون الأندلسيون الذين نزلوا الإسكندرية إلى كريت عشرين
سفن أو عشرين عادت بكثير من الأسرى والغنائم بعد أن عرفت
المكان معرفة دقيقة، وذلك تمهيداً لفتحها في السنة التالية
لمزيد من المعلومات انظر السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار
العبادى : المرجع السابق، ص ٨١، ١٠٣ - إبراهيم على طرخان
المرجع السابق، ص ٥٤ - على محمد فهمى : البحرية الإسلامية في
شرق البحر المتوسط . مقال ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية
لنخبة من الأساتذة المتخصصين بجامعة الإسكندرية، ص ٣١٢ .
- (٢) قطنانية : يذكرها ياقوت تحت اسم قطالية، وهى مدینه على سواحل
جزيرة صقلية، ويقال لها أيضاً قطنانية، وهى مدینه كبيرة على البحر
من سفح جبل النار وتعرف بمدینه الفيل (ياقوت : المصدر السابق،
م ٤ ، ص ٣٧٠) .
- (٣) ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٥، ص ١٨٦ - ١٨٧ - ابن خلدون؛
المصدر السابق ج ٤، ص ١٩٩ - السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار
العبادى : المرجع السابق، ١٠٣ - سعد زغلول عبد الحميد، المرجع
السابق، ج ٢، ص ٢١٣ - أحمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص
٥٧ - غوستاف لوبون : حضارة العرب، ص ٣٠٢ - حامد زيان غانم :
المرجع السابق، ص ٢٠ .

لكن لم يلبث أن خرج على فيمى أحد قواده ويدعى بلاطة وعصاه
واتفق مع ابن عم له اسمه ميخائيل - وإلى مدينة بلرم - واستطاعا جمع
جيش كبير أنزلا به هزيمة ساحقة على فيمى الذى اضطر بعدها الى ترك
سرقوسه - ليستولى عليها بلاطة ويرجعها الى سيطرة الروم - وركب
ومن معه فى مراكبهم متوجهين إلى افريقيه يستنجد بأمرها زيادة الله
الأول ويعدده بملك جزيرة صقلية . (١)

(٢)
وكان زيادة الله - كما سبق القول - مرتبطا مع الروم بهدنه
وكذلك قام بعقد مجلس شورى يضم فقهاء وعلماء تونس لدراسة هذه القضية
ووضع الفتوى المناسبة لها . والقضية هى ما عرضه فيمى عليه من فتح
صقلية وخاصة وأن المسلمين منذ زمن بعيد وهم يعرفون أهمية دخول
جزيرة صقلية تحت سيطرتهم ووضعها تحت سلطانهم ، فأراد زيادة الله
من الفقهاء والعلماء ان يجتمعوا وأن يقرروا مصير صقلية . أتظن هـذه
الجزيرة ضمن أملاك الامبراطورية البيزنطية أم تصبح ملكاً لخليفة بغداد وملكاً
للمسلمين ؟ أتبقى قطعه من القارة الاوربية أم تصبح جزءاً من أفريقية؟
وهنا انقسم الناس إلى قسمين - وكان ضمن الفقهاء المجتمعين أسد بن
الفرات القاضي الجليل والقاضي أبو محرز، وسحنون الفقيه - ففريق منهم
متريث معتدل لا يرى الغزو ولا يشير به ، ومن ضمنهم سحنون الذى قام

-
- (١) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٨٧ - ابن خلدون: المصدر
السابق، ج ٤، ص ١٩٩ - سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق،
ج ٢، ص ٢١٣ - احسان عباس: المرجع السابق، ص ٣٢ - أحمد
توفيق المدني: المرجع السابق، ص ٥٧ - ٥٨ - خوستاف لويون:
المرجع السابق، ص ٣٠٢ .
(٢) انظر قبل: الفصل الثالث، ص ١٤٥ .

بسوءال المجتمعين عن المسافة التي بين صقلية وبلاد الروم، فقالوا له يروح الانسان مرتين وثلاثة في النهار ويرجع، فقال : ومن ناحية أفريقيه؟ قالوا يوم وليله . قال : لو كنت طائراً ما طرت عليها . وقد أظهر سحنون عدم موافقته عندما عرف المسافة على اساس أن امدادات الروم ستكون قريبه جداً من الجزيرة، بينما سيكون العرب بعيدين عن قواعدهم . أما الفريق الثاني فهو متطرف متحمس، ينظرون لهذا الأمر نظرة دينيه فهم يعتبرون هذا الأمر جهاداً في سبيل الله وإعزازاً لدينه، فهم مجندون للغزو راغبون فيه وعلى رأسهم أسد بن الفرات . وقد مال الامير زيادة الله الى رأى هذا الفريق الثاني . (١)

وهكذا انتهى زيادة الله من قضية غزو صقلية ورأى الفقهاء فيها وبقى وأمر آخر لا بد له من حل عاجل وهو مسألة الهدنة التي بينه وبين الروم وكيف يستبجح الفقهاء أن يفتوا بزيادة الله بنقضها، وكان فيمى قد أرسل لزيادة الله يذكر له أن عند الروم أسرى من المسلمين . فذكر زيادة الله هذا الأمر للفقهاء، فقال أبو محرز "يستأنى في هذا الأمر حتى يتبين" وأما أسد بن الفرات فقال "يسأل رسلهم عن هذا" . فقال أبو محرز: "كيف يقبل قول الرسل عليهم، أودفعهم عنهم؟ فقال أسد: "بالرسل هادناهم وبالرسل نجعلهم ناقضين، قال الله عز وجل (ولا تهنأوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) (٢) فذلك لا نتماسك به،

(١) احسان عباس: المرجع السابق، ص ٣٢ - ٣٣ - يسعد زغلول

عبد الحميد : المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آيه ١٣٩ .

ونحن الاعلون^(١).

عندئذ أرسل زيادة الله في طلب رسل فيمى وسألهم فأكدوا أنه لا زال يوجد في الجزيرة عدد كبير من المسلمين في حالة رق وعبودية فقالوا: " نعم حبسوهم لأنهم في دينهم لا يحل لهم ردهم " - وكان في الرسل رجل مسلم^(٢) - وبهذا تأكد لزيادة الله صحة نقض الروم للهدنة التي بينهم وبين المسلمين وأنه أصبح في حل منها وأن الحرب واجبة لرفع هذه المظلمة عن المسلمين. وهنا نادى زيادة الله بالجهاد في سبيل الله. وأبلغ فيمى واصحابه بالتوجه إلى سوسة قاعدة الفتح وأرض المحارس والرباطات، وأن يقيموا فيها حتى يتم الإعداد للحملة، ويستعد الأسطول الإسلامي. (٣)

وأُسند زيادة الله قيادة الحملة لأسد بن الفرات القاضي العلامة وهذا الأمر ليس بغريب. فقد كان أسد بجانب فقهه وعلمه يمد من الشجعان

- (١) القاضي ابو الفضل عياض: تراجم اغلبية، ص ٦٦ - الدباغ: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١ - ٢٢ ابن الخطيب: المصدر السابق، ج ٣، هامش ص ١١١ - ١١٢ - احمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ٥٨ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص ١٠٤ - سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٤ - احسان عباس: المرجع السابق، ص ٣٣.
- (٢) القاضي ابو الفضل عياض: المصدر السابق، ص ٦٦ - الدباغ: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢ - ابن الخطيب المصدر السابق، ج ٣، هامش ص ١١١ - ١١٢ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ١٠٤ - احمد توفيق المدني: المرجع السابق، ج ٥٨.
- (٣) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٥.

وقد سبق له غزو سردانية بأمر من زيادة الله وأشرف على فتحها^(١) ويذكر لنا القاضي أبو الفضل عياض والدباغ أنه عندما اختار زيادة الله أسد بن الفرات لقيادة الأسطول الإسلامي وأصر على ذلك، قال أسد إذ ذاك ليه: "أصلح الله الأمير - من بعد القضاء والنظر في الحلال والحرام تعزلي وتوليئي الإمارة؟" فقال له زيادة الله: - اني لم أعزلك عن القضاء إلا وقد وليتك الإمارة وهي أشرف من القضاء وأبقيت لك اسم القضاء، فأنت قاض أمير". فخرج أسد على ذلك، ولم يجتمع لأحد الولاية والقضاء ببلد أفريقيه الا لأسد. (٢)

ويقال ان أسد بن الفرات هو الذي عرض نفسه على زيادة الله للخروج لغزو صقلية. (٣)

وقد تحمس أسد بن الفرات للخروج للجهاد فكان يتعجل إتمام اعداد الحملة ليتجهوا إلى صقلية، وكان يشعر بتثاقل زيادة الله في ذلك ويشكو منه. فكان الإستعداد للحملة يجرى على قدم وساق، بينما أخذ الناس يتوافدون على أسد ويسألونه الخروج معه وما يجب أن يكون معهم من العتاد والعدة. وفي هذا الوقت أصدر زيادة الله سجلاً بولاية

-
- (١) القاضي أبو الفضل عياض: المصدر السابق، ص ٦٧ - سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٥ .
- (٢) القاضي أبو الفضل عياض: المصدر السابق، ص ٦٦ - الدباغ: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢ - عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ج ١، ص ١٥٩ - ١٦١ . (يذكر نفس الرواية)
- (٣) ابن عذاري: المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٢ - أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ٦ - سيد ناجي: أسد بن الفرات، مجلة الأمه العدد (٢٧)، السنة الثالثة، ص ٥١ .

أسد بن الفرات على صقلية اميراً وقاضياً^(١).

أسد بن الفرات :

وقبل أن نمضى قدما فى سرد أحداث فتح صقلية يجد ربنا أن نذكر نبذة موجزة عن هذا القاضي الفاضل والمجاهد الكبير الذى قاد حملة الفتح . فقد كان أسد بن الفرات من كبار علماء وقضاة افريقية ، ولا يوجد شىء ينقص من هذه المكانة والمنزلة فى نفوس أهالى أفريقية سواء فى ميدان الجهاد والسيف أو فى ميدان العلم والقلم .

ولد أسد بن الفرات بمدينة نيسابور من أرض خراسان سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م ، فهو من أبناء جند خراسان . وقال بعضهم ولد بحران من ديار^(٢) بكر . قدم مع والده وعمره لا يتجاوز أربعة أعوام بصحبة الجند الإسلامى القادم مع الوالى محمد بن الأشعث لتمهيد الأمر بأفريقية .

وأخذ مبادئ علومه فى مدينة القيروان لمدة خمس سنوات ، ثم قام بالارتحال وهو فى سن العاشرة من عمره إلى مدينة تونس . وهناك تلقى العلم وانقطع له نحو من تسعة أعوام درس فيها القرآن وعلومه . وقد كان أسد بن الفرات يقول مفاخرأ أو مداعبأ أقرانه : أنا أسد والأسد خير

-
- (١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .
(٢) حران : هى بلدة قبيل الرها والرقه من حوض الفرات على طريق النازحين من خراسان . ومن المعلوم أن العمران انتشر بعد الطوفان فيما بين النهرين . (الديباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣ ، هامش ٣) .

الوحوش، وأبى الفرات والفرات خير الماء، وجدى سنان والسنان
خير السلاح .

ولم يكتف بأخذ العلم في تونس، بل شذر حاله إلى المشرق الذى
كان مزدهراً بما فيه من مصابيح العلم وأئمة الهدى .

وفي بداية تلقيه العلم بدأ بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
وسمع هناك عن مالك بن أنس، رضى الله عنه، الموطأ وتعمق فيه بعد ما
استوعبه أول مرة عن ابن زياد، ثم غادر المدينة مزوفاً بعلم مالك الغزير
ودعائه الصالح وكانت وصيته له يوم الوداع: " أوصيك بتقوى الله تعالى
والقرآن، والنصيحة لهذه الأمة " .

وكذلك أخذ علم أبى حنيفة وآراءه وفتاويه عندما ذهب إلى العراق
لتلقى العلم على يد جماعه من أصحاب أبى حنيفة النعمان نخص بالذكر
منهم الإمام أبى يوسف ومحمد بن الحسن وفي نفس الوقت أخذ عنه أبى يوسف
موطأ مالك وآراءه .

ثم انتقل إلى مصر وفيها جماعة كبرى من أصحاب مالك والناسجين
على منواله، فصحب منهم الإمام عبد الرحمن بن القاسم صحبة طويلة وامعن
في سوءه . وقد ذكر هذا ابن خلكان إذ قال : ان أسد بن الفرات
الفقيه المالكي جاء من الغرب إلى مصر وقرأ على ابن القاسم وأخذ عنه

" المدونه " وكانت مسودة ، وعاد بها إلى بلاده . (١)

وهكذا بعد أن عرض أسد بن الفرات المسائل المختلفة على ابن القاسم حتى انقطع في السؤال ، اذ لم يبق له شيء يسأل عنه - دون عندئذ ستين كتاباً سماها " الأسدية " (٢)

وبعد عشرة أعوام مضت في تحصيل العلم والنهل منه والجهاد في هذا السبيل رجع إلى وطنه إفريقيه وقد تشبع بالعلم والمعرفة ومعه كتابه الشهير الأسديه ، واخذ يفرغ علمه هذا لتلاميذه ولمریدی علمه وفقهه فاشتهر امره وذاع صيته .

وكان الإمام سحنون قد كتب الأسديه عن أسد بن الفرات ، ومن ثم رحل إلى المشرق وتوجه إلى مصر يأخذ العلم من معين ابن القاسم العذب وكان يرافقه وقد طالت صحبته له ، فأخذ عنه المدونه بعد أن حررها ابن القاسم ، وقد رجع عن بعض ما أجاب به أسد بن الفرات . عندئذ رجع سحنون إلى القيروان وجلس للتدريس وكانت المدونه ليست على وفاق في مسائل مختلفة مع الاسدية وهي المسائل التي رجع عنها ابن القاسم . وهنا طلب الإمام سحنون من أسد ان تقابل (اسدية) اسد ب (مدونه) سحنون فالذى تتفق عليه النسختان يثبت ، والذى يقع فيه الاختلاف فالرجوع إلى نسخة سحنون وتمحي من نسخة ابن الفرات فهذه هي الصحيحة . وقد استشير الإمام ابن القاسم في الأمر فرجح

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ١٨١ - القاضي ابوالفضل عياض : المصدر السابق ، ص ٦٧ - الديباغ المصدر السابق ، ج ٢ ، ص من ٤ الى ١٣ - احمد توفيق العدني ، المرجع السابق ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) الديباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢ - ١٣ .

كفة مدونه سحنون على كفة الأسدية وأمر أسد بأن يصحح كتابه على المدونه فترك أسد رحمه الله أسديته وفقه مالك وأقبل على مذهب أبي حنيفة النعمان يشرحه للناس ويعلمه للخاصة والعامة . (١) وفي رواية أخرى أن أسد رفض إصلاح أسديته ولما بلغ ابن القاسم ذلك قال : اللهم لا تبارك في الأسدية إفتרכת الأسدية ولم يعمل بها للناس . (٢)

وقد تولى اسد ابن الفرات القضاء سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م على القيروان من قبل الأمير زيادة الله وكان يشاركه فيه القاضي ابو محرز الكتاني : وكان بينهما شأن كبير وخلاف عظيم . (٣)

ثم كان ما كان من امر فتح صقلية ومسألة غزوهاورأى الفقهاء في ذلك كما ذكر سابقاً . فقد تولى أسد بن الفرات قيادة الجيش، مع بقاء منصبه كقاضٍ، وتوجه إلى صقلية مرسلًا من قبل زيادة الله الأغلب في جيش لفتحها، ونزلوا على مدينة سرقوسة ولم يزالوا محاصرين لها إلى أن مات

-
- (١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٦٠
(٢) ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٨١ - ١٨٢ - القاضي ابو الفضل عياض : المصدر السابق ، ص ٦٠ - الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧ .
(٣) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩ .

أسد بن الفرات في رجب سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨ م ، وقيل أربع عشرة ،
وقيل سبع عشره ، ودفن بذلك الموضع (أى خارج سرقوسة) رحمه الله .
فكان قبره ومسجده بصقلية . (١)

فتح صقلية :

وأمر زيادة الله أن يخرج الجند الإسلامي في موكب حافل ومهرجان
مشهود، فخرج لوداع المجاهدين كبار الأمة وعيون القوم من العرب والبربر
والأندلسيين . فلما وجد أسد بن الفرات الناس حوله من كل جهه ، وقد
وصلت الخيل ، وضربت الطبول ، وخفقت البتود قال : لا إله إلا الله وحده
لا شريك له والله يا معشر الناس ما ولى لى أب ولا جد ، ولا رأى أحد من
سلفي مثل هذا ، ولا بلغت ما ترون إلا بالأقلام ، فاجهدوا أنفسكم فيها ،
وثابروا على تدوين العلم تنالوا به الدنيا والآخرة . (٢)

-
- (١) أبو العرب تميم القيرواني : طبقات علماء إفريقيه وتونس ، ص ١٦٥ -
ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٨١ - ١٨٢ - القاضي
أبو الفضل عياض : المصدر السابق ، ص ٦٥ - ٦٦ - الدباغ : المصدر
السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣ إلى ٢٦ - أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ،
ص ٥٩ - ٦٠ .
- (٢) القاضي أبو الفضل عياض : المصدر السابق ، ص ٦٧ - الدباغ : المصدر
السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج ٣ ، هامش
ص ١١٢ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٧
أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٦١ - سيد ناجي : أسد
بن الفرات ، مجلة الامه ، العدد ٢٧ السنة الثالثة ، ص ٥١ .

وهكذا أستغل أسد بن الفرات هذه المناسبة وحث الناس على طلب العلم إلى جانب الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله .

خرج الأسطول الأعلى الإسلامى من مدينة سوسة يوم الأحد ١٤ ربيع الأول سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م . وكان الجيش يتكون من ٧٠٠ (سيمائه) فارس بخيلهم ، و ١٠٠ (عشرة) آلاف راجل عبروا البحر إلى صقلية فى مراكب ، وكان عدد المراكب حوالى ١٠٠ (مائة) مركب ، غير مركب فيمى وكان ذلك فى خلافة المأمون . (١)

وكان رجال الحملة يتكونون من أشرف افريقيه من العرب، والجند، والبربر، والأندلسيين ، وأهل العلم والبصائر . (٢) وهذا يدل على أن العرب شاركوا فى هذا الفتح ، وقد كانوا من سلالة القرشيين الذين جاءوا مع الفتوح الأولى لإفريقيه وعرفوا بإسم البلديين ، هذا الى جانب التميميين من أقارب الأغالبة . اما الجند فكان يقصد بهم عسكر الأمير وفتيانه من الصقالبة ومن السودان . والبربرهم جماعة هواره طرابلس

-
- (١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٢ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج ٣ ، هامش ١١٢ - الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣ - إحسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣٣ - ٣٤ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ . محمد كرد على : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٧ - عبد المنعم رسلان : الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب إيطاليا ، ص ١٨ .
- (٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٢ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج ٣ ، هامش ١١٢ - إحسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣٣ - ٣٤ .

ونفراوة ، والزاب . أما الأندلسيون فهم الذين جاءوا واستقروا بإفريقيه
وكانوا من أهل العلم والبصائر. (١)

وإذا كانت الرحلة في البحر في ربح الصيف المواتية تستغرق يوماً
وليلة كما قيل لسحنون وقد ذكرت ذلك سابقاً وهي حسب مسافات أهل
البحر وقتئذ ، أي حوالي ١٢٠ ميلاً ، فإن هذا لا يعني أن أسطولا حربيّاً
مثقلاً بالرجال والعتاد كان يمكنه أن يصل في اليوم التالي إلى ساحل
صقلية . فقد استغرقت الرحلة ٣ أيام ، ووصل الأسطول إلى الساحل
الصقلي عند مدينة مازر صباح يوم الثلاثاء ١٧ ربيع الأول (٢).

وكان اختيار مازر لنزول الحملة يدل على حنكة حربية لأنه كان
يحقق للمسلمين ميزتين ، أولاهما : أنها كانت بعيدة عن مركز الثقل
البيزنطي في الجزيرة ، وذلك على الساحل الشرقي حيث توجد مدد
سرقوسة وقطانيه وطبرمين (٤) ، كما أن مدينة مازر نفسها كانت بعيدة في الداخل

- (١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٧
(٢) مازر : هي مدينة بصقلية (ياقوت : المصدر السابق ، م ٥ ، ص ٤)
(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٢ ، ص ٢١٨ - أحمد
توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٦١ .
(٤) طبرمين : هي قلعه بصقلية حصينه : (ياقوت : المصدر السابق ،
م ٤ ، ص ١٧) .

على بعد أميال من الساحل . وثانيهما : أن ساحلها يعتبر أقرب
السواحل الصقلية الى الأرض الأفريقية . (١)

وبعد نزول المسلمين إلى مازر أمرهم أسد بن الفرات بأن يخرجوا
الخيول من المراكب في هدوء ثم يتبعها الرجال . وأقام بمازر ثلاثة
أيام عمل خلالها على استكشاف المكان حتى يتخذ معسكراً له . وقد
عسكر أصحاب فيمي في معسكر خاص بهم بالقرب منهم .

وحدث خلاف بين أسد بن الفرات وبين أحد قواده وهو ابن قادم ،
سببه أنه لما نزل المسلمون بصقلية أضربهم الجوع حتى آكلوا لحوم الخيل
ففوض الجند إلى ابن قادم أن يحدث أسدا عنهم في إعادتهم إلى أفريقية ،
فرفض أسد ، وأراد حرق المراكب ، ثم أنه عاقب ابن قادم فضربه بالسوط . (٢)

وإثناء مقام جند أسد بن الفرات في مازر لم يشتبك مع المبروم .
ولم يخرج للقاءه إلا سرية واحدة وتمكن من أسرهما ، ولكن اتضح أنها من
أنصار فيمي . من أجل ذلك لم يرتح أسد لاشتراك فيمي ، وأصحابه معه
في القتال ، فأمرهم أن يعتزلوا المسلمين فيذكر الدباغ أن أسد بن الفرات
قال لفيمي " إعتزلنا أفلا حاجة لنا في أن تعينونا " : وقال لهم : اجعلوا
على رؤوسكم سيما تعرفون بها ، لئلا يتوهم أحد منا أنكم من هؤلاء الموافقين

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .
(٢) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤ - السيد عبد العزيز
سالم وأحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

لنا فيصيبكم بمكروه ، ففعلوا ذلك " (١) وجعلوا على رؤوسهم الحشيش فكانت تلك سيماهم . ويبدو أنهم وضعوا غصنا نباتيا حول رؤوسهم تمييزا لهم عن بقية الروم . (٢) ثم سار جيش المسلمين متوجهاً للقاء بلاطه ، فسار أولاً نحو سهل بلاطه ماراً بقلعة بلوط ثم قرى الرفش وقلعة السدب وقلعة الطواويس ، ثم إلى أرض المعركة التي سميت بإسم بلاطه نسبة إلى صاحب صقلية . وأقبل بلاطه في جيش كبير عدته ١٥٠ ألف مقاتل ، وربما يكون هذا العدد الكبير فيه شيء من المبالغة . (٣) وعن القتال الذي نشب بين بلاطه وأسد بن الفرات يقول الدباغ " فرأيت أسداً في يده اللواء وهو يزعم فحملوا علينا فكانت فينا روعة شديدة ، وأقبل أسد على قراءة " يس " فلما فرغ منها قال للناس " هؤلاء عجم الساحل هؤلاء عبيدكم لا تهابوهم " فحمل وحمل الناس معه فهزم الله تعالى بلاطه وأصحابه . فلما انصرف أسد رأيت الدم وقد سال مع قناة اللواء مع ذراعه حتى صار تحت إبطه " (٤) . ويزيد القاضي أبو الفضل عياض على هذه الرواية قوله " ولقد رد يده (أسد بن الفرات) في بعض تلك الأيام فلم يستطع مما اجتمع من الدم تحت إبطه " . (٥)

-
- (١) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣ .
 (٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج ٣ ، هامش ص ١١٢ - السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .
 (٣) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .
 (٤) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣ .
 (٥) القاضي أبو الفضل عياض : المصدر السابق ، ص ٦٧ .

وما ان وصلت اخبار هذا الانتصار لزيادة الله بن الأغلب
حتى بادربالكتابه الى الخليفة العباسي المأمون يعلمه بهذا النصر ويفتح
صقلية على يد أسد بن الفرات . (١)

ولم يجد بلاطه امامه سوى الانسحاب الى قصر يان^(٢) Castrogiovani
ثم غلبه الخوف من لقاء المسلمين ففر من صقلية الى قلورية^(٣) Calabria
بجنوبي إيطاليا فقتل بها . (٤)

وقبل ان يغادر أسد بن الفرات مازر ليقتفى أثر فلول الجيش الرومي
المهزوم عين أبا زكي الكنانى على مازر، وزحف بعد ذلك إلى موضع على
البحر يقال له كنيسة ايفيحيه . وربما تكون هي فينياس القديمة ، ثم سار

- (١) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤ .
(٢) قصر يان : هو اسم لمدينة كبيرة بجزيرة صقلية على سن جبل يشتمل
سورها على زروع وبساتين وعيون ومياه . (ياقوت : المصدر السابق ،
م ٤ ، ص ٣٦٥) .
(٣) قلورية : هي جزيرة في شرقي صقلية وأهلها أفرنج ولها مدن كثيرة
وبلاد واسعة . (ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ، ص ٣٩٢) .
ويصفها ابن جوقل بقوله (قسم من الارض داخل في البحر يقرأ فيه
أرض قلورية وعلى ساحلها من المدن : ميتان ، كستسه ، فتيه ، ريو ،
... الخ) انظر ابن جوقل : المصدر السابق ، ص ١٧٧ .
(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٩٩ - محمد كردى على :
المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٣ - ابراهيم على طرخان : المرجع
السابق ، ص ٦٠ .

الى كنيسة المسلقين . وفى مدة وجيزه وصل اسد بن الفرات بجيشه تحت اسوار سرقوسة قاطعا مسافة مائتى كيلو متر الفاصلة بين مدينة مازر- التى نزلوا ومركزوا بها - ومدينة سرقوسة (Ciracuse) . (١)

وهناك أقبل إليه طائفة من بطارقه سرقوسة ، فسألوه أن يمنحهم الأمان خديعة ومكرًا ، وبذلوا له الجزية ، واشترطوا عليه ان لا يتحرك من موضعه ، فوافق على شرطهم ، وأثناء فترة إنتظاره هذه قام بتنظيم صفوفه قبل المعركة المقبلة ، كذلك كان فى إنتظار قدوم الأسطول الإسلامى من مازر ليستطيع تشديد الحصار على سرقوسة . (٢) وأثناء ذلك تجمعت قوات الروم بقلعة الكراث التى يعتقد أنها قصر اكريدى ، ووضعوا فيها كل اموال جزيرتهم ومكر به أهل سرقوسة لأنهم استغلوا فترة التوقف هذه وأصلحوا حصنهم ، وأدخلوا فيه جميع ما يملكون من ذهب وفضه وميرة .

وهنا انقلب فيمى على المسلمين ومال إلى بنى جنسه ، وراسل أهالى سرقوسة يحثهم على الصبر والثبات حتى يستطيع نجاتهم . وعند ما أصبحت صفوف جيش أسد بن الفرات منتظمة وجاءه الأسطول من مازر قام بمواصله زحفه نحو سرقوسة ، وأراد مقاتلة أهلها لكنهم تحصنوا داخل أسوار مدينتهم عندئذ أرسل السرايا فى كل ناحية ، وغنم غنائم هائلة ، وافتتحوا عمرانًا كثيرة حول سرقوسة ، كذلك قام بحصار سرقوسة براً وبحراً ، وفى نفس الوقت

- (١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٦٢ .
(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٧ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

جاءته الأساطيل من أفريقيه تحمل اليه الإمدادات التي تقدر حسب
تقدير البعض بعشرين الف مقاتل وثلاثمائة سفينه (١) . ويبدو أن هذا
الرقم الأخير فيه شيء من المبالغه .

لكن والى بلرم زحف في جيش كثيف نحو المسلمين ، فما كان
من المسلمين إلا أن حفروا خندقاً حول أنفسهم ، وحفروا خارج الخندق
حفراً كثيرة . فلما هجم الروم على المسلمين ، كبت خيلهم وسقط كثير منهم
في الحفر ، وقتل المسلمون أعداداً كبيرة من الروم وضيق القاضي أسد ورجاله
على سرقوسه ، وقام بإحراق أسطول الروم ، فسألوه الأمان ، لكن الموءمن
لا يلدغ من جحر مرتين ، فرفض أن يجيبهم لطلبهم وذلك بسبب غدرهم
المرّة الأولى . (٢)

وفي هذه الاثناء داهم المسلمين وباء شديد هلك بسببه عدد كبير
منهم ، ومن جملتهم القاضي أسد بن الفرات الذي توفي في شعبان

(١) على حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص ٨٥

(٢) ابن عذارى : المرجع السابق ، ج ١ ص ١٠٢ - ١٠٣ - ابن الاثير :
المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٧ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ،
ص ١٩٩ - محمد كردى على : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٣ - سعد
زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨ م ، وقيل في رجب ^(١) ، وقيل في ربيع الآخر ^(٢) ،
فدفعه المسلمون في الموضع الذي كان يحاصر منه سرقوسة ، وقيل بين
قطانيه (Catania) وقصريانه . وهذا امر مستبعد لأن قصريانه لم تكن
فتحت بعد ، وبعضهم يقول دفن في بالرم ، ولكنه ايضاً رأى مرفوض لأنها
لم تكن فتحت كذلك . ويذكر الدباغ انه توفي نتيجة جر احات شديدة
أصابته وهو محاصر لسرقوسة ^(٣) .

و الواقع ان جيش أسد بن الفرات قابل مقاومة شديدة سواء من
الحاميه البيزنطية أو من أهالي صقلية الذين احتموا بقلاعهم وحصونهم
القوية . ولم تكن الانتصارات التي أحرزها بالانتصارات السهلة الهينه ،
وذلك لتكاتف جميع القوى بصقلية للوقوف في وجهه ، ولكن عندما أحس
أهالي صقلية بضعف مركزهم وأن الجيش الإسلامي في هذه الغزوة لا ينوي
العودة إلى أفريقيه بعد حصوله على الغنائم كما كانت غزواته السابقة ، أسرعوا
بإرسال عدة سفارات لطلب النجدة من الأباطورية البيزنطية صاحبة
السيادة الرسميه على صقلية . وعلى الرغم من إشغال القسطنطينيه
بحروبها في جيها ت مختلفة ، فحربها في آسيا الصغرى ضد الخليفه

-
- (١) ابن عذارى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٤ - ابن خلدون :
المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٩٩ - صابر دياب : المرجع السابق ،
ص ٨٠ - حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٧٩ .
- (٢) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥ .
- (٣) نفس المصدر ونفس الصفحه .

العباس المأمون من جهه ، وإنشغال أساطيلها في محاولة إسترجاع جزيرة كريت من أيدي المسلمين الأندلسيين من جهه أخرى ، إلا أنها كانت تعرف مدى أهمية صقلية بالنسبة لها فبادرت بتلبية نداء أهلها ، وأرسلت لهم نجدة سريعة لإنقاذ مدينة سرقوسة من حصار المسلمين لها^(١) .

ولسوء الحظ كان الجيش الإسلامي يمر آنذاك بظروف صعبة للغاية ، فقد صدم بموت قائده أسد بن الفرات ، بجانب كثرة الموتى منهم نتيجة هذا الوباء الذي كان له الاثر السيئ على نفسيتهم . هذا بالإضافة الى رجاحة كفة البيزنطيين بعد تعاون البندقيه معهم للقضاء على المسلمين كما أن المؤونه والأقوات كادت تكون معدومة في المعسكر الإسلامي . (٢)

ولاية محمد بن أبي الجوارى :- (٢١٣ - ٢١٤ هـ / ٨٢٩ - ٨٣١ م)

ورغم هذه الصعوبات جميعاً فقد عزم المسلمون على مواجهة هذه الاخطار والتغلب عليها ، بدليل أنهم اجتمعوا واختاروا واحداً منهم قائداً عليهم ، فوق اختيارهم على القائد محمد بن أبي الجوارى ، ووضعوا فيه كل آمالهم لتخليصهم من الموقف الحرج الذي وصلوا إليه .

-
- (١) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ٢٣ - ٢٤
(٢) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ - احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣٤ - حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

و فى هذه الاثناء وصلت اليهم انباء وصول الاسطول البيزنطى والحشود الرومية ، فازدادت رغبتهم فى ركوب مراكبهم والعودة الى بلادهم فرفعوا الحصار عن سرقوسة ، وقاموا باصلاح سفنهم وركبوها وشرعوا فى الاقلاع . ولكن مراكب البيزنطيين والبنادقة تصدت لهم على باب المرسى الكبير ومنعتهم من الخروج . عندئذ رأى المسلمون أن اقتحامهم لهذا الحصار البحرى يعتبر ضربا من التهور الذى سوف لن يجنوا من ورائه سوى الهلاك فعدل محمد بن الجوارى عن فكرة العودة ، وصمم على البقاء بصقلية ومعاودة القتال من جديد . (١)

و من المؤكد ان الجند الإسلامى آثر الموت شهيداً فى ساحة القتال على أن يموت غرقاً ، وربما يكون حليفهم النصر . ويبدو أن الروم كانوا قد دخلوا مارز بعد خروج المسلمين منها إذ تطلب الاستعدادتها بقتال مرير استمر ثلاثة أيام (٢) ورغم ما تقوله الرواية من أن المسلمين عند ما أرادوا التراجع بسفنهم الى المرسى أحرقوا مراكبهم (٣) أى أنهم وطنوا انفسهم على القتال حتى الموت معتمدين فى ذلك على سيوفهم فحسب - ، فأغلب الظن أنهم ما كانوا ليضحوا بسفنهم التى تعتبر وسيلة المواصلات الوحيدة بينهم وبين قواعد إمدادهم فى إفريقيا ، وأنهم اذا كانوا قد

-
- (١) ابن الاثير: المصدر السابق ج ٥ ص ١٨٧ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ - سعد زغلول عبده الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ - محمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية شرقية وأندلسية ، ص ١٥٦ - حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ٢٥ .
- (٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- (٣) ابن الاثير: المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٧ - إحسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣٤ - احمد توفيق المدنى : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

احرقوا بعض سفنهم فانما يكونون قد فعلوا ذلك ضمن إجراءات الوقاية التي اتخذوها لمقاومة الوباء . (١)

وتشير رواية أخرى بأن محمد بن الجوارى عند ما قرر البقاء في صقلية والإستمرار في مقاتلة الروم بدأ بإحراق سفن الأسطول البيزنطى المحاصر لصقلية بمساعدة نجدات بحرية جاءت له من القيروان حتى يتسنى له الإتصال بشمال إفريقيا ووصول الإمدادات اليه . (٢)

واتجه الجيش الإسلامى من مازرالى الى حصن ميناو (Mineo) ليعملوا على توطيد اقدامهم في الإقليم الشرقى من صقلية . وهذا الحصن يوجد على بعد ٢٤ ميلا في اتجاه الجنوب الغربى من لنتيسى الواقعة على الساحل شمال سرقوسة . فأستولوا عليه بعد حصار دام ثلاثة أيام بمعاونة أصحاب فيمى حيث استقرت جماعه منهم . كذلك اتجه فريق من المسلمين إلى جرجنيت (Girgenti) وهو حصن يقع على ساحل البحر جنوب غربى صقلية ، ونجحوا في الإستيلاء عليه أيضاً . وكان نتيجة هذين الإنتصارين ان ارتفعت روح الجند الإسلامى وأشرقت نفوسهم بالفرج والخير بعد القنوط واليأس وبدأوا يطمحون في مزيد من الفتوح

-
- (١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .
(٢) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

والإنتصارات (١) .

ومن رواية فتح ميناو نفهم ان التعاون كان وثيقاً بين المسلمين وبين فيمى وأصحابه ، وذلك على عكس ما قيل حول تحريضه أهالى سرقوسة على مقاومة المسلمين . ومن أمثلة هذا التعاون قيام فيمى بقيادة وإرشاد المسلمين الى مدينة قصر يانه الواقعة الى الشمال الغربى من صقلية وذلك لفتحها . وعند ما وصلوا إليها خرج أهلها إليه ، وقاموا بتقيل الأرض بين يديه وبذلوا له الطاعة وهم يضمنون له الكيد والحق في قلوبهم ، وقالوا له : " تكون نحن وأنت والمسلمون على كلمة واحدة ، ونخلع طاعة الملك ، وطلبوا منه مهلة يوم لكى يرتبوا أمر الصلح ويرون ما سوف يصالحون عليه ، فاستجاب لطلبهم ، ثم قدم عليهم في اليوم التالى في عدد قليل من أصحابه ، ولكن كان في الأمر خدعة فما أن اقترب منهم حتى وثبوا عليه وقتلوه . (٢)

ويبدو أن هدف أهل قصر يانه من هذه الخدعة هو اكتساب الوقت حتى يصل مدد الحكومة البيزنطية الذى كان يتجه نحوهم

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٧ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ - احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٧ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٦١ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٠٩ - ١١٠

للقاء المسلمين ، وكانت هذه القوات الرومية تتكون من جنود أرمـن .
ووصلت القوات البيزنطية إلى صقلية وكانت بقيادة البطريق تـود ط
(Theodote) ، ثم تحركت نحو قصر يانه للقاء المسلمين . واشتبك
الجيشان تحت أسوار قصر يانه في قتال عنيف انتهى بهزيمة الروم على أيدي
المسلمين ، ومقتل الكثيرين منهم ، ودخول من سلم منهم إلى قصر يانه ، وبينهم
قائد هم تود ط . وأسر المسلمون منهم حوالي سبعين بطريقاً من قوادهم
وبقى المسلمون في حصارهم للمدينة ، وقد اشتدت عزيمتهم بما أحرزوه من
نصر ، إلا إنه بعد المعركة بقليل توفي القائد محمد بن أبي الجوارى فى
أول سنة ٢١٤ هـ / مارس ٨٢٩ م ، وقيل في آخر سنة ٢١٣ هـ . وبعد
وفاته اختار المسلمون قائداً جديداً ، وهو زهير بن غوث^(١) ، وقيل
بن برغوث . (٢)

-
- (١) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٥ ص ١٨٧ - السيد عبد العزيز
سالم: المرجع السابق، ج ٣٨٨ ص ٣٨٨ - السيد عبد العزيز سالم
واحمد مختار العبادى: المرجع السابق، ص ١١٠ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى: المرجع السابق،
ص ١١٠ (عن النويرى) .

ولاية زهير بن غوث : - (٢١٤ - ٢١٦ هـ / ٨٢٩ - ٨٣١ م) .

ومن الرواية السابقة يتضح لنا ان معركة قصر يانه لم تكن معركة فاصله لأن قائد الروم تودط لم يمت وإنما فر إلى داخل المدينة . لذلك نجده قد نظم فلول جيشه الذي يتكون من الأرمن ، ونزل ميدان الحرب مرة أخرى ، واستطاع أن يثأر لنفسه . وذلك عندما خرجت سريره من المسلمين بحثاً عن مغانم تكون مؤنة لهم ، فخرج عليهم بقواته من الروم وهزمهم ، فرجع الجند الإسلامي إلى قاعدته . ثم كان ان خرجت القوة الإسلامية في جمعها لمحاربة الروم ، لكن الروم حشدوا لهم كل قواتهم فانهزم المسلمون في موقعه داميه قتل فيها ألف قتيل منهم . عندئذ اضطر زهير بن غوث إلى العودة إلى معسكره وأخذ موقفاً دفاعياً وذلك باتخاذ خندقاً حول قاعدته . (١)

واشتد القتال بين الطرفين وأصبح المسلمون محاصرين من قبل الروم . عندئذ أدرك المسلمون تخرج موقفهم ففكروا في مفاجأة الروم صباحاً من غير ان يشعروا بهم ، وهو ما يعرف في المصطلح العسكري العربي ب (البيات) . وعرف الروم بهذا الأمر . فقاموا بإخلاء خيامهم ، وترصدوا للمسلمين بالقرب منها . فعندما أقبل المسلمون لم

(١) ابن الاثير : المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٧ - السيد عبد العزيز سالم
واحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ١١٠ - سعد زغلول
عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ - السيد عبد العزيز
سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ .

يجدوا أحداً ، ولكن ماهي إلا لحظات حتى أنقض الروم على الجند الاسلامي من كل ناحية فأكثروا القتل فيهم وأنهزم الباقون فدخلوا ميناو ودام الحصار عليهم حتى أكلوا الدواب والكلاب .

وعندما علم مسلمو جرجنت بما آل اليه حال اخوانهم في ميناو ، خربوا مدينة جرجنت قبل أن يتركوها حتى لا يسكنها الروم ، وأتجهوا الى مدينة مازر. (١) وربما قاموا بعملهم هذا لخوفهم البقاء وحدهم وهم قلة في جرجنت ، ففضلوا الانضمام لـ اخوانهم في مازر حتى يكونوا اكثر عدداً أو أقدر على مقاومة الروم

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٧ - ١٨٨
السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع السابق ص ١١١ - سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ - السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ج ٢ ، ص ٣٨٩

إذا كان في نيتهم الهجوم عليهم . (١) ومن مازر حاولوا الاتصال بمسلمي ميناو لنصرتهم لكن هذا الأمر تعذر عليهم . (١)

وهكذا أصبح تجمع المسلمين ينحصر في نقطتين :

(١) في ميناو المحاصرة ، قرب الشاطئ الشرقي فيما بين سرقوسة ولنتيبي .

(٢) وفي مازر قرب الركن الجنوبي الغربي .

نجدة الأندلسيين :-

وقد ظل مسلمو ميناو محاصرين صابرين حتى أشرفوا على الهلاك . وفي هذا الوقت الحرج الذي أشرفت فيه هذه الجماعة الإسلامية على الهلاك جاء الفرج الذي انتظروه طويلا . فقد وصل الى مياه صقلية في سنة ٢١٤هـ / ٨٢٩م أسطول اندلسي يتكون من قطع كثيرة العدد ، تحمل اعداداً كبيرة من غزاة البحر

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٧

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٨ - السيد

عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ -

سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص

٢٢٧ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي :

المرجع السابق ، ص ١١١ .

الأندلسيين قدموا بقصد الجهاد البحرى . (١) وفي نفس الوقت وصلت ايضا إلى شواطئ صقلية الإمدادات الأفريقية ، فبلغ عدد السفن الأندلسية والأفريقية ثلاثمائة مركب . (٢) لكن ابن عذارى يذكر ان السفن التى قدمت الى صقلية كانت أندلسية فقط ، فيقول : " (في سنة ٢١٤هـ / ٨٢٩م) وصل من الأندلس الى صقلية نحو ثلاثمائة مركب فيها أصيغ بن وكيل الهـواري المعروف بفرغلوش " . (٣)

-
- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٨ (يذكر ابن الاثير ان وصول الاسطول الاندلسي الى مياه صقليته كان سنة ٢١٤هـ / ٨٢٩م) . بينما يرى سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ ، هامش ١٤٤ . (ان ذلك كان في سنة ٢١٥هـ / ٨٣٠م استنادا على ان وفاة محمد بن ابي الجوارى والى صقلية كانت في مطلع سنة ٢١٤هـ) هذا ويدعم السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى المرجع السابق ، ص ١١١ - ومحمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية شرقية واندلسية ص ١٥٦ ، ما ذكره ابن الاثير سابقا .
- (٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٨ ، السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٣٨٩ .
- (٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٠٤

كما يروى السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى قول
النويرى من ان السفن القادمة كان مصدرها الأندلس وأن قسماً
من هذه السفن الأندلسية التى جاءت للغزو كان يقودها اصيغ بن
وكيل الهوارى ، وأن القسم الآخر كان يقوده سليمان بن عافيه
الطرطوشي . (١) ويتفق معهما في هذا الرأي سعد زغلول عبد الحميد (٢)

كذلك يذكر السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى
أن الحميرى لا يشير الى وصول سفن من إفريقيا ، ولكنه يذكر
أنه وصل من الأندلس ، مراكب كثيرة ، وان أمير الأندلس في ذلك
الوقت هو عبد الرحمن ابن الحكم ، وكانوا قد خرجوا من طرطوشة (٣)
يريدون بلاد الروم ، ولكن الريح غيرت طريقهم وألقت بهم الى
صقلية ، فنزلوا بجزيرة طرابنش من صقلية . (٢)

وهكذا نرى أن اكثر المصادر تنص على ان السفن التى
جاءت الى شواطئ الأراضى الصقلية كانت أندلسية ، وأن المصادقة

- (١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، المرجع
السابق ، ص ١١١ - ١١٢ .
- (٢) سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٣٠ -
٢٣١ .
- (٣) طرطوشه : مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية وهي
شرقي بلنسية وقرطبة قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على
نهر ابره ولها ولاية واسعة وبلاد كثيرة تعد في جملتها تحلها
التجار وتسافر منها الى سائر الأمصار . (ياقوت : المصدر
السابق ، م ٤ ، ص ٣٠) .
- (٤) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق
ص ١١٢ .

لعبت دورها فجاءت سفن افريقية اخرى الى صقلية في نفس الوقت
الذى وصلت فيه السفن الاندلسية القادمة من طرطوشة .

وماكادت أنباء وصول الاندلسيين تصل الى مسامع
مسلمى ميناو المحاصرين ، حتى اسرعوا في ارسال الرسل يطلبون
منهم سرعة نجدتهم ونصرتهم ، ولكن يبدو ان هذه الرسائل
ارسلت من قبل مسلمى مازر يطلبون من المجاهدين الاندلسيين
اغاثة اخوانهم الذين كانوا يكابدون ويعانون من متاعب الحصار
وكذلك من قلة المؤنة في ميناو ، كما عرضوا عليهم ما يلزمهم
من الخيل والدواب . (١)

ولم يتردد المجاهدون الاندلسيون الذين كرسوا حياتهم
للجهاد البحرى في الاستجابة لهذا النداء ، ولم يشترطوا
لذلك الا أن تكون القيادة لرئيسهم فرغلوشى ، وهو أمر لم
يكن امام مسلمى ميناو ومازر وقائدهم زهير بن غوث الا القبول به (٢)
فما كان من فرغلوش ورجاله الا ان قاموا بالهجوم على الجزيرة
من الموضع الذى نزلوا فيه واستولوا في طريقهم لميناو على ما كان

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٠٤

(٢) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع
السابق ، ص ١١٢ ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع
السابق ، ح ٢ ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

يقابلهم من قلاع وحصون حتى وصلوا الى ميناو (١) ، واشتبكوا مع تورط
القائد البيزنطى في جمادى الاخر سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م ، فانهم لم
هزيمة نكراء تراجع بعدها الى قصر يانه . وهكذا فك الحصار
عن المسلمين في ميناو ، ونتيجة لما قاسوه من أهوال وهلاك ففى
ميناو قاموا بتخريب واحراق المدينة . ثم زحف مسلمو الأندلس
الى مدينة بلرم (٢) (Palermo) التى تقع على
الساحل الشمالى بجزيرة صقلية (٣) ، وقاموا بحصارها والتضييق
عليها لمدة عام الى ان طلب قائدها البيزنطى الأمان لنفسه
واهلكه وماله ، ودخلها المسلمون في رجب ٢١٦ هـ / أغسطس ٨٣١ م . (٤)

-
- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ج ٥ ، ص ١٨٨ - ابن عذارى ،
المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٤ - السيد عبدالعزیز
سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١١٢
انظر قبل ، الفصل الثانى ، ص ٥٧١
(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٠ - هامه (١)
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٨ ، سعد
زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ -
السيد عبدالعزیز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٩
حامد زيان غانم ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

وسار المسلمون بعد ذلك الى غلداليه أو غليانسه
(Gagliana) وشددوا الحصار عليها ، وتغلبوا
عليها . (١)

وفي هذه المدينة تفشى فى الجيش الاسلامي وباء أدى الى
وفاة عدد كبير من المسلمين ، من بينهم قائد المجاهدين
الاندلسيين فرغلوش وجماعة من قواده . (٢)

وانتهز البيزنطيون فرصة ضعف المسلمين وكثرة المرضى
والضعفاء في صفوفهم وارغموهم على الرحيل عن المدينة . ولم
يكفهم هذا بل تعقبوهم فقتلوا منهم اعدادا كبيرة وأرغموا البقية
الباقية منهم على الاشتباك معهم في موقعة دارت فيها
الدائرة على البيزنطيين ، وقتل فيها تورط القائد البيزنطى ، وغنم
المسلمون منهم غنائم كبيرة . (٣)

ولكن بعض المراجع تذكر أن تورط قتل قبل ذلك
بعد أن انهزم أمام الأندلسيين بقيادة فرغلوش وهو يحاول
الفرار الى قصر يانه . (٤)

- (١) السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٩
سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ -
السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع
السابق ، ص ١١٣
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٤
(٣) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع
السابق ، ص ١١٣ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق :
ج ٢ ، ص ٣٨٩
(٤) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع
السابق ، ص ١١٣ ، هامش ١

عثمان بن قرهـب :- (تولى في نهاية ٢١٦هـ / ٨٣١م)

وبينما المجاهدون المسلمون في هذا الوضع الحرج حدث نزاع وخلاف بين القائد الأندلسي (ربما يكون سليمان بن عافيه الطرطوشي الذي يقود الفريق الآخر من المجاهدين الأندلسيين) والقائد الأغلبى (ولا بد انه عثمان بن قرهـب) . وكان سبب الخلاف القيادة العامة للجيش الاسلامى التى كان يطمح فيها كل منهما . فقد انقسم المسلمون الى طائفتين ، وهدد الاندلسيون بالرحيل عن صقلية ، وبالفعل بدأوا بإصلاح مراكبهم استعداداً للرحيل . (١)

واخيرا قبلوا الصلح ، على ان يتولى القيادة عثمان ابن قرهـب . وبعد ذلك توجه المسلمون الى بلرم . وأحكموا الحصار عليها حتى استسلم صاحبها على الأمان للمرة الثانية ، ودخلها المسلمون في رجب سنة ٢١٦هـ / ٨٣١م . (٢)

وأما فيما يختص بمصير الاندلسيين في صقلية فابن الاثير يذكر أنهم تصالحو مع الافريقيين (٣) . بينما يؤكد ابن عذارى أنهم قفلوا راجعين الى الاندلس في سنة ٢١٥هـ / ٨٣٠م وذلك بعد وفاة قوادهم في الوباء وعلى رأسهم قائدهم فرغلوش ، وأنهم في أثناء رحلة

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٤

(٢) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع

السابق ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٨

العودة الى قواعدهم لقوا متاعب كثيرة اذ " ركب العدو واثروهم ،
فقتل منهم خلق كثير " ثم بعد ذلك قاموا باصلاح مراكبهم
وعادوا الى الأندلس . (١)

ولاية ابي فهر محمد بن عبد الله بن الأغلب (٢١٦-٢٢٢هـ / ٨٣١-٨٣٧م)

هذا ويسود الاعتقاد بأن فريقا من الاندلسيين آثروا
الرحيل من صقلية بعد افتتاح بلرم سنة ٢١٦هـ / ٨٣١م وأن الفريق
الاخر اثار البقاء ورضى بولاية ابي فهر محمد بن عبد الله بن الأغلب
التميمي الذي ولى صقلية من قبل الأمير الأغلبى زيادة الله ،
لأن عثمان بن قريش لم يحظ بموافقة زيادة الله فقرر في آواخر سنة
٢١٦هـ / ٨٣١م . أن يولى قرية أبا فهر محمد بن عبد الله
التميمي على صقلية ، فوصلها في سنة ٢١٧هـ / ٨٣٢م (٢)

هذا ويجدر الإشارة الى الدور الخطير الذى لعبه
الاندلسيون لإخوانهم الأفريقيين ، فلولا هم لهلك المسلمون ولما
كانت هناك فتوح في صقلية ، ولا نجح المسلمون في تثبيت أقدامهم
في الجزيرة ، ولا اتسعت رقعة أراضيهم واستولوا على كل الاقليم
الغربي منها . (٣)

-
- (١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٤
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٤ - سعد زغلول
عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٤
(٣) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : المرجع
السابق ، ص ١١٤

ويبدو أن ماتعرضت له مدينة تونس من اضطراب في سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م أدى الى عودة والي صقلية أبي فهر الى افريقية وبقائه بها الى سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥م حيث استطاع القضاء على ثورة هذه المدينة . وفي اثناء وجود أبي فهر في افريقية قام المسلمون في صقلية بغزو منطقة قصر يانه مرتين في الربيع والصيف من سنة ٢١٩هـ / ٨٣٤م ، واستطاعوا هزيمة ما بها من روم في المرتين ثم عادوا الى بلرم بالمغانم والأسلاب . (١)

وبعد أن هدأ الوضع في مدينة تونس رحل أبو فهر محمد بن عبد الله بن الاغلب التميمي الى ولايته في صقلية في رمضان سنة ٢٢٠هـ / سبتمبر ٨٣٥م ، لكنه واجهته متاعب شديدة في البحر الذي ثار بمراكبه التي كانت تحمل الامدادات والرجال ، فأدى هذا الى اعطاب بعضها وتحطيم البعض الآخر ، هذا بجانب تعرض الروم له في البحر مما نتج عنه إصابة حارقة من مراكبه بالرغم من بلاء قائد الأسطول محمد ابن السندی الذي خرج في عدد من الحراقات ، وأخذ يطارده سفن الروم حتى حال الليل بين الفريقين . (٢)

ويذكر ارشيبالد لوييس ان بلرم أصبحت من أهم القواعد الحربية ومن أعظم مراكز القوة الاسلامية بصقلية ، وأنه صار لها نسوع من الحكم الذاتي رغم تبعيتها رسمياً لامراء الاغالبة فقد أصبحت بلرم ثغراً اسلامياً كبيراً تنطلق منها الاساطيل الاسلامية للاغارة على

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٨

(٢) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٥ - ١٠٦

الشواطىء الايطالية وعلى مابقى من صقلية في يد الروم ، وازدادت هذه القاعدة قوة ومكانة خاصة بعد أن إستولى اسطول الأغالبة على جزيرة قوصرة عام ٢٢٤هـ / ٨٣٥ م ، وذلك لانه بانضمام قوصرة الى ممتلكات الأغالبة زال الخطر الذى كان يهدد المواصلات بين كل من صقلية وافريقيه عندما كانت قوصرة في يد بيزنطه ، كما ترتب على ذلك ان صار ارسال الامدادات الى صقلية اكثر سهولة عن ذى قبل . (١)

ومما ساعد ايضا على ازدياد قوة بالرم تحالف واليها مع حكام المدن الايطاليه الموجودة على ساحل كمبانيا وعلى الأخص مدينة نابلى . وربما كان السبب وراء هذا التحالف هو قيام السفن الاسلاميه بمدينة بلرم بتقديم المساعدات لأهل نابلى في صراعمهم ضد عدوهم على البر ، أمير بينفانت اللباردى . وقد يكون السبب ايضا ما كان هناك من صلات تجارية قديمة بين هاتين المدينتين وبين المسلمين في شمال افريقية بالرغم من اعتراضات بيزنطه على تلك العلاقات في ذلك الوقت . ومهما تكن اسباب هذا التحالف بين المسلمين في بلرم وأهالى نابلى فقد كان ذا قيمة وفائدة عظمى بالنسبة للمسلمين لأنه ساعد على إضعاف قوة الاسطول البيزنطى في مياه البحر التيرانى في اللحظة الحاسمة التى كانت بيزنطة بحاجة الى نابلى بجانبها . (٢)

ويفسر هذا عجز القوات البحرية البيزنطية عن قطع الطريق على أسطول افريقى آخر كان يحمل حاكما جديداً لمدينة بلرم

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٣

(٢) نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة

عام ٢٢١هـ/٨٣٥م (١) . ومن المعتقد ان الاسطول الذى كان يحمل
الوالى أبا فهر في عودته الى بلرم في نفس هذه السنة .

كذلك يفسر هذا التحالف نجاح الغارة التى قامت بها
الوحدات البحرية الاسلامية على الجزر الايوليه - في منطقة قلورية
القريبة من مسينا - فى تلك السنة ذاتها . ومما يستحق ان يسجل
ان أسطول المسلمين كان يشتمل اثناء الاشتباك الاول مع اسطول
البيزنطيين على حراقات - وهى سفن تقذف بلهب النفط - الأمر
الذى مكن المسلمين من مقاومة النار الاغريقية التى يستخدمها
أعداؤهم اليزنطيون . وقد كان هذا أول ذكر لاستخدام المسلمين
لمثل هذا النوع من السفن ولعله كان سلاحهم السرى الجديد (٢) .

ويؤكد ذلك درويش النخلى في مادة حراقات اذ يذكر
انه لا يوجد اى نص تاريخى يؤكد ذكر سفن الحراقات قبل استخدامها
ضمن وحدات الاسطول الأغلبى في البحر الأبيض المتوسط سواء
كان في الحوض الشرقى او الحوض الغربى منه . (٣)

ولكن السؤال هنا هو من أين وصل سر النار الاغريقية
للمسلمين ؟ ربما يكون للقائد البيزنطى فيمي علاقة بهذا الموضوع
وأن يكون هو الذى نقل سرها للأغلبة قبل ذلك بثمانى سنوات . (٤)

-
- (١) ارشيبالد لويس ، المرجع السابق ، ص ٢١٣
(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٣ - ٢١٤
(٣) درويش النخلى : المرجع السابق ، ص ٣٢ الى ٣٧
(٤) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ هامش رقم

وبعد وصول أبي فهر محمد بن عبد الله التميمي الى بلرم لم يبق بها طويلاً فسرعان ما خرج برجاله في السنة التي وصل فيها واستطاع هزيمة الروم عندما خرجوا له ، ثم عاد الى بلرم محملاً بالغنائم والاسرى من الروم ومن بينهم امرأة بطريقهم وابنه . (١)

كذلك سير أبو فهر حملته الى طبرمين وهي على الشمال من الشاطئ الشرقي للجزيرة ، جنوب مسينا ، وجعل محمد بن سالم قائدا لها ، واستطاعت الحملة ان تحقق الغرض من خروجها فهزمت الروم وعادت بالغنائم ، ولكن جماعة من الجند تمردوا على ابن سالم وقتلوه ولجأوا الى الروم ، مما يدعوا الى القول بأن هذه الجريمة تمت بتحريض من الروم . (٢)

فما كان من الأمير الأغلب زيادة الله الا ان بعث خلفاً لمحمد بن سالم احد قواده المشاهير ، وهو : الفضل بن يعقوب ، الذي قاد سرية كبيرة أحرزت عدة انتصارات على الروم في سرقوسة وعادت محملة بالغنائم والأسلاب . (٣)

ثم سارت سرية كبيرة - لم تذكر المصادر ولا المراجع وجهتها وغنمت وعادت ، وفي عودتها عرض لها البطريق قائد الروم بصقلية في جمع كبير من رجاله فأضطر رجال السرية الإسلامية الى التحصن

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٨ - سعد زغلول

عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٣٤-٢٣٥

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٨ ، سعد زغلول

عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٣٥

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٨ ، ابن خلدون

المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ١٩٩

من الروم في أرض وعرة وشجر كثيف فلم يتمكن الروم من قتالهم ، ووقفوا في مكانهم إلى وقت العصر ينتظرون خروجهم ، وعند ما يغسوا من خروجهم تركوا المكان وتفرق عن البطريق كثير من جنده ، فكانت فرصة انتهزها المسلمون وحملوا على البطريق وجنده حملة قوية حتى هزموهم ونجحوا في الوصول إلى بطريقهم وطعنوه وجرحوه عدة جراحات وسقط عن فرسه ، ولكن المسلمين لم يتمكنوا من قتله فقد حضر بعض أصحابه وانقذوه جريحاً وحملوه معهم . وقد غنم المسلمون في هذه المعركة كل ما كان مع الروم من متاع وسلاح ودواب ، فكانت من المعارك العظيمة التي خاضها المسلمون والتي أظهر فيها كل من الجانبين ما كان يتميز به من مواهب قتالية خاصة . (١)

ولاية ابي الأغلب ابراهيم بن عبد الله (٢٢٢-٢٣٦هـ / ٨٣٧-٨٥١م)

ولكن ما لبث أن قام زيادة الله بتنحيه ابي فهر محمد بن عبد الله التميمي عن صقلية وولى مكانه أخاً له هو أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله . وربما كان ذلك بسبب عدم رضائه عن سياسة ابي فهر في صقلية . (٢) . او بسبب حاجته لمساعدته في قمع احدى الثورات في افريقية . (٣)

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٨٨ - سعد زغلول

عبد الحميد : المجمع السابق ، ج٢ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المجمع السابق ، ج٢ ، ص ٣٩٠

(٣) السيد عبد العزيز سالم ولحمد مختار العبادي : المرجع السابق ،

ووصل أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله إلى صقلية وقد زوده زيادة
الله بأسطول حربي كبير وكان ذلك في منتصف رمضان سنة ٢٢٢هـ / ٢١
أغسطس سنة ٨٣٧ م .

وفي الطريق إلى صقلية التقى بأسطول روماني
وكان النصر حليفه وغنم المسلمون كثيراً من مراكب الروم .
فامر أبو الأغلب بضرب أعناق من كان بها من الروم (١) . ثم
سير أبا الأغلب اسطولاً آخر إلى جزيرة قوصة ، فاستولى على حرقاه
فيها رجال من الروم وبينهم رجل تنصر من أهل إفريقية فأتي بهم
جميعاً وضرب رقابهم . (٢)

ووجه أبو الأغلب سرية أخرى إلى جبل النار أي مسينا
(Messina) وما فيها من حصون بقيادة الفضل بن
يعقوب ، فقاموا بإحراق الزرع والكيد للروم وقتل عدد كبير منهم ،
وعادوا سالمين محملين بالمغانم والأسلاب . كما قام بغزوات
أخرى غيرها كانت كلها مكللة بالنجاح والنصر والغنم الوفير حتى

-
- (١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٨ - ابن خلدون
المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ١٩٩ - السيد عبد العزيز سالم :
المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٣٩٠ ، سعد زغلول عبد الحميد :
المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٣٦
- (٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٨ - ابن خلدون
المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ١٩٩ - سعد زغلول عبد الحميد :
المرجع السابق ح ٢٣٦ - ٢٣٧ .

حتى لقد بلغت المغانم في بعض تلك الغزوات من الكثرة إلى حد بيع الرقيق بأبخس الأثمان . (١)

ثم جهز الفضل بن يعقوب اسطولاً وساروا نحو الجزائر، وربما يقصد ابن الأثير وابن خلدون بالجزائر جزائر الايوليان (Eolian) في منطقة قلورية القريبة من مسينا ، فغنموا غنائم عظيمة (٢) ، واستولوا على عدد من الحصون من بينها حصن تندارو - الواقع على الساحل الشمالي من صقلية (٣) كما فتحوا مدنا ومعقل أخرى وعادوا سالمين

وكما سير أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله سرية إلى قطانيه ، وقد ذكر ابن الأثير الاسم بأنه قسطلينه ، أما ابن خلدون فذكره بأنه فطلبانه ، وقد غنم المسلمون غنائم كثيرة وسبى كثير ولكن اثناء عودتهم محملين بالمغانم لقيهم الروم ونجحوا في إلحاق الهزيمة بهم . (٤)

ثم توجه المسلمون في سرية أخرى إلى قصر يانه بقيادة القائد عبد السلام بن عبد الوهاب - كما ذكر ابن عذارى (٥) - وعند ما خرج الروم إليها ودارت المعركة كانت الهزيمة من نصيب المسلمين كما وقع قائد هم عبد السلام بن عبد الوهاب في الأسر . (٦)

-
- (١) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٥ ص ١٨٨ - ابن عذارى: المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٦، سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٣٧.
- (٢) ابن الأثير المصدر السابق، ج ٥، ص ١٨٨ - ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠٠.
- (٣) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص ١١٥.
- (٤) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٨٨، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠٠.
- (٥) ابن عذارى: المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٦.
- (٦) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٨٨ - ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠٠.

وأثناء وجود عبد السلام بن عبد الوهاب في الأسر كانت وقعة أخرى بين الروم والمسلمين حقق فيها المسلمون نجاحاً ونصراً عظيماً على الروم كما غنموا غنائم كثيرة منها إحدى عشرة قطعة من سفن الروم منها : ٩ مراكب كبار برجالها ، بجانب اثنتين من نوع الشلندي (المخصص لحمل الفرسان والعتادا الثقيل) . (١)

ولما جاء شتاء عام ٢٢٢هـ / ٨٣٧م وكان الوقت ليلاً - رأى أحد الجنود المسلمين أن أهل قصر يان في غفلة من أمرهم فاقترب منه واستطاع أن يتبين ثغرة في أسوار ريش المدينة . ورجع وأخبر جند المسلمين ، فجاءوا معه ودخلوا المدينة من ذلك الموضع على حين غرة من أهلها ، وكبروا وملكوا الريش ، ولكن الروم تحصنوا في حصنهم بالمدينة وانتهى الأمر بالصلح على أن يدفـعـ أـهل قصر يانـه الجزية ، وعاد المسلمون مهلين بالغنائم والأسلاب إلى بلرم . (٢)

وفي نفس السنة أي سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٧م أغار الفضل بن يعقوب على حصن مد نار ، واستولى عليه وعلى معاقل أخرى كثيرة . (٣) كذلك حاصر المسلمون مدينة جلفوذي - على الشاطئ الشمالي ، على بعد ٥٠ ميلاً شرقي بلرم - وضيّقوا على

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٨ - ابن خلدون :

المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٠

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٣٩١ .
السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : المرجع السابق ،

أهلها وطال حصارهم لها ، لكن في هذه الاثناء وصلت قوات رومية كبيرة في البحر إلى المنطقة وهنا اضطر المسلمون لرفع الحصار عن المدينة ، واشتبكوا مع الروم في عدة معارك .

وفي منتصف سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٨م وصل الخبر من إفريقية بوفاة الأمير زيادة الله الأول ، فأدى هذا النبأ إلى وهن المسلمين بعض الوقت ، ولكنهم ما لبثوا ان تماسكوا واستعادوا حماسهم في قتال الروم . (١)

وفي عهد الأمير الجديد أبي عقاب الأغلب بن إبراهيم ابن الأغلب الذي لم يتجاوز ثلاث سنوات تابع المسلمون استكمال الفتح في الجزيرة تحت قيادة واليها ابي الأغلب إبراهيم بن عبد الله وقد اهتم أبو عقاب في بداية ولايته لإفريقيه بأمر صقلية والجهاد بها فبعث سرية سنة ٢٢٤هـ / ٨٣٩م إلى صقلية فغنموا وعادوا سالمين . (٢) وهذا يدل على أن قوات الأمير الأغلبى الرئيسية بإفريقية كانت تشارك من حين لآخر في الاعمال الحربية في صقلية بأوامر مباشرة من الأمير.

-
- (١) ابن الاثير: المصدر السابق، ح ٥ ، ص ١٨٩ - ابن خلدون المصدر السابق، ح ٤ ، ص ٢٠٠ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ح ٢ ، ص ٣٩١ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، ح ٢ ، ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .
- (٢) ابن الاثير : المصدر السابق، ح ٥ ، ص ٢٥٣ - ابن خلدون المصدر السابق، ح ٤ ، ص ٢٠٠ - حسن حسنى عبد الوهاب خلاصة تاريخ تونس، ص ٨٢

أما في سنة ٢٢٥هـ / ٨٤٠م فقد استطاع المسلمون ان يفتتحو
عدداً كبيراً من حصون الجزيرة ، منها حصن جرجه (Geragi)
وحصن البلوط (Caltabellotta)^(١) وهو فيما بين جرجنت
ومازر ، وحصن ابلاطنو (Platani) ، وحصن
قارلون (Corleone) ، وقيل قارلون^(٢) ، وحصن
مرو ، وقيل مريناو (Marineo) .^(٣)

ثم تنتقل الى سنة ٢٢٦هـ / ٨٤١م التي اتجه فيها الجيش
الإسلامي إلى السيطرة على منطقة وسط جزيرة صقلية وذلك عند ما
سارت سرية للمسلمين إلى منطقة قصر يانه فغنمت وأحرقت
وسبت ولم يخرج لهم أحد لإعتراضهم ، فأتجهوا إلى حصن
الغيران الذي سمي بذلك لانه يشتمل على ٤ غارا ، فغنموها
جميعا .^(٤)

-
- (١) حصن البلوط: قلعه بصقلية ، حولها أنهار وأشجار وأثمار
وأراض كريمة تنبت كل شيء (ياقوت : المصدر السابق ، م ١ ، ص ٩٢)
- (٢) حصن قارلون : مدينة بسواحل جزيرة صقلية (ياقوت :
المصدر السابق م ٤ ، ص ٣٢٩)
- (٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٥٣ - ابن خلدون
المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٠ (لكنه يكتفى بذكر انه
استأمن للمسلمين عدة حصون من صقلية) - السيد عبد العزيز
سالم : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٣٩٣ - سعد زغلول
عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٤٠
- (٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٥٣ - ابن خلدون :
المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٠ - سعد زغلول عبد الحميد :
المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٤١ - السيد عبد العزيز سالم :
المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٣٩٤ .

و في هذه السنة توفي ابو عقال الأغلب بن إبراهيم في ربيع
الآخر سنة ٢٢٦ هـ وتولى بعده الأمير أبو العباس محمد بن الأغلب
بلاد إفريقية . وفي عهده سنة ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م سار الفضل بن
جعفر الهمداني بالأسطول الإسلامي ، ونزل في مرسى مسينا ،
وحاصرها ولكنها امتنعت عليه واثناء إنشغال أهلها بالقتال
مع جعفر استدارت طائفة من المسلمين ومعهم حلفاءهم من أهل
نابلي خلف جبل النار وهو جبل مطل على المدينة وصعدوا إليه
ثم نزلوا منه إليها وصاروا خلفهم ، فعند ما علم أهل المدينة
بأن المسلمين خلفهم انهزموا وفتح المسلمون المدينة . كما
فتحوا كذلك (مسكان) ويفضل هذا الفتح الإسلامي لمسينا سيطر
المسلمون على المضيق ، وأصبح موقفهم الاستراتيجي ممتازاً بالنسبة
لموقف الأسطول البيزنطي وسط البحر الأبيض المتوسط. (١)

وفي سنة ٢٢٩ هـ / ٤٣-٨٤٤ م توجه أبو الأغلب العباسي
بن الفضل في سرية إسلامية الى مدينة بثيرة (Butera)
فكانت معركة كبيرة بينه وبين أهلها فانهزم الروم ، وقتل منهم
ما يزيد على عشرة آلاف رجل ، بينما لم يستشهد من المسلمين
سوى ثلاثة نفر ، ولم يكن بصقلية قبلها مثلها . (٢)

-
- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٦٨ - ابن خلدون :
المصدر السابق : ح ٤ ، ص ٢٠١ - سعد زغلول عبد الحميد
المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٤٣ - محمد كرد علي : المرجع السابق
ج ١ ، ص ٢٧٤ - صابر دياب : المرجع السابق ، ص ٨٣ -
المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور
الوسطى ، ص ١٠٠
- (٢) ابن الاثير : المصغر السابق ح ٥ ، ص ٢٦٨ ، سعد زغلول
عبد الحميد : المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

ثم جاءت بعد ذلك فترة هدوء في فتوحات المسلمين في صقلية استمرت سنتين (٢٣٠ - ٢٣١ هـ / ٨٤٤ - ٨٤٥ م) ويرجع سعد زغلول عبد الحميد سبب هذا الهدوء إلى غموض الأحوال في القيروان ، إثر الانقلاب الذي دبره أحمد بن الأغلب ضد أخيه الأمير محمد . فالمسلمون لم يواصلوا نشاطهم البحري وفتوحاتهم في صقلية إلا في سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ - ٨٤٧ م ، بعد أن استعاد الأمير سلطاته من أخيه أحمد وفي ذلك الوقت كانت الإمبراطورة ثيودورا قد عقدت عهد سلم بينها وبين العباسيين في المشرق . ولا نظن أن هذا العهد كان له الأثر السلبي على نشاط الأغلبية أو البيزنطيين ضد بعضهم البعض. (١)

وفي سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ - ٨٤٧ م توجه الفضل بن جعفر على رأس قواته إلى مدينتي لنتيني على الساحل الشرقي لصقلية ، وشمال سرقوسة ، وفرض عليها الحصار ، ولكنه أخبر أن أهل لنتيني راسلوا بطريق صقلية الرومي والذي يقيم في سرقوسة ، يطلبون منه النجدة ، فوافق على نصرتهم على أن يأتي المسلمين على حين غرة . وتم الاتفاق على أن تكون علامة وصولهم إليهم هي : إيقاد نار على الجبل الفلاني لمدة ثلاث ليال وفي اليوم الرابع يصل إليهم . ووصل نبأ هذه الخطة للفضل عن طريق جواسيسه ، فأرسل من أوقد النار على الجبل المذكور لكي يكيد لهم ويرد كيدهم لنحورهم .

فعندما رأى أهل لنتيني النار استعدادا ، فأعد لهم الفضل

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٤٤

الكماثن وأمر من يحاصرون المدينة أن ينهزموا إلى جهة الكمين ليكونوا جميعاً على العدو فإذا جاوزوا الكمين انقضوا عليهم . فلما كان اليوم الرابع خرج الأهالي لمقاتلة المسلمين وهم ينتظرون وصول البطريق وأخذ المسلمون في الانسحاب والروم خلفهم حتى جاوزوا الكمين ولم يبق في المدينة أحد إلا خرج . وهنا عاد عليهم المسلمون وخرج من خلفهم الكمين وأنقضوا عليهم بسيفهم فلم ينج منهم إلا القليل وهنا لم يجد الأهالي أمامهم سوى طلب الأمان لأنفسهم وأموالهم في مقابل تسليم المدينة ، فكان لهم ذلك . (١)

وفي سنة ٢٣٣هـ / ٤٧-٤٨م ، وصلت إلى مرسى الطين عشر شلنديات رومية على بعد عشرة أميال غرب بلرم ، ولكنها عند ما خرجت لتغير على المسلمين ضلت الطريق ، وغرق منها سبع شلنديات في طريق عودتها إلى بلادها . (٢)

وفي السنة التالية ، غزا المسلمون مدينة ارغوس (رغوس) وهي على بعد ١٣ ميلاً من مدينة شكله في الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة وعلى بعد ٥٠ ميلاً من بشيرة ، وأرغموا أهلها على تسليم المدينة

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٦٨ (وهو يذكر اسم مسيني بدل لنتيني) - ابن خلدون : المصدر السابق ح ٤ ص ٢٠١ (وهو يذكر اسم لنتيني من غير نقط) - سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ح ٢ ص ٢٤٤ ، أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧٣ - حامد زيان غانم - المرجع السابق ، ص ٢٦

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٦٨

في مقابل إعطائهم الأمان والصلح معهم ، ثم هدمها المسلمون بعد أن أخذوا منها ما أمكن حمله (١) وفي الغالب ان السدي كان يدعو المسلمين لتخريب المدن أو هدمها ، ان فتوحاتهم في جزيرة صقلية كانت اكبر مما يحتمله توزيع الجند الاسلامي عليها . (٢)

أما سنة ٢٣٥هـ / ٤٩ - ٨٥٠ م فقد غزا المسلمون فيها قصريانه ، فغنموا منها المغانم الكثيرة والأسلاب وأحرقوا وقتلوا في أهلها ثم عادوا . (٣)

وفي ١٠ من شهر رجب سنة ٢٣٦هـ / ١٠ يناير ٨٥٠ م توفي والي صقلية أبو الأغلب إبراهيم ، بعد فترة من الزمن استمرت اكثر من خمسة عشر عاماً في حكم صقلية منذ سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٧ م قضاها في انتصارات لامعة وجهاد مستمر . (٤)

ورغم ما قد يبدو من خلط في رواية ابن الأثير بين أبي الأغلب إبراهيم بن عبد الله وبين اخيه أبي فهر محمد بن عبد الله السدي كانت ولايته لصقلية قبل ولاية اخيه ، فان روايه ابن عذارى تنهى ولاية أبي فهر محمد سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٧ م . بينما تنهى ولاية

-
- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٦٨ - ابن خلدون : المصدر السابق ح ٤ ، ص ٢٠٢
(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٤٥
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٦٨
(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١١ - السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ١١٦

أبي الأغلب إبراهيم في سنة ٢٣٦هـ / ٨٥٠ م .

وهذه الرواية هي الرواية المرجحة وعلى أساسها نأخذ رواية ابن الاثير التي تذكر وفاة أبي فهر محمد أمير صقلية في سنة ٢٣٦هـ / ٨٥٠ م على ان المقصود منها هو وفاة أبي الأغلب إبراهيم في تلك السنة . (١)

وقد ذكرت أيضاً رواية ابن الاثير ان هذا الأمير كان لا يغزو بنفسه ، بل كان يقيم في بلاد برلم ، ومنها يسير السرايا مع نواب له ، فتفتح البلاد وتأتي بالغنائم . (٢) ويبدو ذلك واضحاً في الغزوات السابقة التي قام بها المسلمون اثناء فترة ولايته لصقلية .

ولاية العباس بن الفضل بن يعقوب (٢٣٧-٤٤٧هـ / ٨٥١-٨٦١ م) .

وبعد وفاة ابن الأغلب إبراهيم بن عبد الله والي صقلية ، اجتمع المسلمون ليختاروا من تكون له القيادة بعده ، واتفقوا على تولية العباس بن الفضل بن يعقوب القيادة وكان ذلك في رجب سنة ٢٣٦هـ / ٨٥٠ م . . وكتبوا باتفاقهم هذا إلى أمير أفريقية محمد بن الأغلب بن إبراهيم ، الذي أقرهم على ما فعلوه ، وكتب للعباس بن الفضل العهد بالجزيرة . ولم ينتظر العباس حتى تصله موافقة أمير الأغلبة ، فبدأ يمارس جهادة وسلطاته ، وتعتبر

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٦

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٦٨ - ابن خلدون

المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٢

ولا يتهلصقلية فاتحة عهد جديد في تاريخ الفتح الإسلامي في صقلية، كذلك تعتبر فترة ولايته من أعظم الفترات التي وضحت فيها السيطرة الإسلامية على البحر الأبيض المتوسط . فقد كان يرسل السرايا تغزو البحر وتغير على السفن البيزنطية وتعود اليه بالمغانم والاسلاب (١) فما كاد يصل اليه كتاب الولاية (٢) ، حتى خرج العباس بنفسه في سنة ٢٣٧هـ / ٨٥١م على رأس قواته وجعل على مقدمتها عمه رباح بن يعقوب الذي أرسله على رأس سرية إلى قلعه أبي شور، وتوجه هو والجند الباقي نحو قصر يانه (٣) التي كان قد اتخذها الروم عاصمة لهم بدلاً من سرقوسة المعرضة للغارات البحرية وذلك بعد إستيلاء العرب على بلرم . (٤)

وعاد رباح بعد أن أنهى مهمته بالنصر محملاً بالغنائم والاسرى الذين تم قتلهم بعد أن لحق بالعباس، أما القسوة

- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٨٩ - ابن عذارى المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١١ - ابن خلدون : المصدر السابق : ح ٤ ، ص ٢٠٢ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٤٦ ، احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧٤
- (٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٢
- (٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٨٩
- (٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ح ٢ ، ص ٢٤٧

المتوجهة إلى قصر يانه فقد اخذت تفسد وتحرق وتخرّب وتأسر
ليخرج لها البطريق قائدها للقائهم ولكنه لم يفعل فعاد المسلمون
إلى بلرم . (١)

وكان واضحاً من سياسة العباس بن الفضل أنه يريد أن ينهي
الوجود البيزنطي من الجزيرة ، وكان مصمماً على الاستيلاء على
قصريانه ، ولكن المدينة كانت حصينة فأثر أن يلح عليها بالقتال
فيؤدي ذلك إلى إرهابها وضعفها ثم سقوطها . فقام العباس
بالهجوم على منطقة قصريانه في السنة التالية ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م في
جيش كبير ، فغنم وخرّب وقتل ، ثم أرسل بروءوس القتلى إلى
بلرم (٢) . ثم توجه بعد ذلك إلى الساحل الشرقي ليوسّع
عملياته فبدأ بقطانيه في اتجاه الجنوب جهة سرقوسة ، ونوطس
ثم أرغوس (رغوس) في الجنوب الشرقي من الجزيرة ، فانتصر عليها
جميعاً وغنم وخرّب وأحرق . (٣)

-
- (١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٨٩ - ابن خلدون
المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٢ - ابن عذارى : المصدر
السابق ، ح ١ ، ص ١١١ (إلا أن روايته للغزوه ليس
تفصيلاً فهو يذكر فقط أنه غنم غنائم عظيمة ، وسبى سبيّاً
كثيراً وادّاخ بلادهم) .
- (٢) ابن الأثير : المصدر السابق : ح ٥ ، ص ٢٨٩ - ابن عذارى
المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١١ (وهو يكتفى بذكر الحملة
والإشارة لأعمال القتلى وبعث الروءوس إلى بلرم وغيرها من
أعمال التخريب) .
- (٣) ابن عذارى المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١١ - ابن الأثير : المصدر
السابق ، ح ٥ ، ص ٢٨٩ ، ابن خلدون : المصدر السابق ،
ح ٤ ، ص ٢٠٢ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام
السياسي ، ح ٢ ، ص ٢٢١

وقام بحصار مدينة بئيره مدة خمسة أشهر ، ولم يفك حصارها إلا في سنة ٢٣٩هـ / ٨٥٣م بعد أن صالح أهلها على خمسة آلاف رأس من الماشية . (١)

واستمرت سياسة العباس هذه في سنة ٢٤٠هـ / ٨٥٤م من حيث الإلحاح على مدن وحصون الروم بالغزو . فكانت السرايا تخرج للجهاد تحت قيادة العباس بن الفضل فتفسد وتخرب وتسبى وترجع بالغنائم العظيمة . (٢)

أما في سنة ٢٤١هـ / ٨٥٥م فيشير ابن عذارى إلى خروج العباس بن الفضل للغزو ، فكان يبيت السرايا ويفسد المزروع وأنه أقام في جبل مانع مدة ثلاثة أشهر ، يضرب كل يوم حـول قصر يانه ، فيقتل ويصيب ، وتتوجه سراياه فتغنم في كل جهة ، وأغزى أخاه على بن الفضل في البحر ، فأصاب وغنم وانصرف إلى بلرم بأعداد كبيرة من الماشية . (٣)

-
- (١) ابن الأثير: المصدر السابق ح ٥ ، ص ٢٨٩ - ابن عذارى :
المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١١ - ابن خلدون ، المصدر
السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٢ (وفي رواية ابن عذارى وابن
خلدون يرد أن مدة الحصار كانت ستة أشهر وأن عدد الماشية
ستة آلاف رأس)
- (٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١١ - ابن
خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٢
- (٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١١ ، ١١٢ - سعد
زغلول عيد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٤٨ .

ثم كانت سنة ٢٤٢هـ / ٨٥٦ م وفيها غزا العباس بن الفضل الروم بالصائفة فغنم وسبى ، وكان ينتقل من حصن الى حصن ، فاستطاع فتح اكثرها ، وكان الصلح نصيب بعض منها . (١)

وفي سنة ٢٤٢هـ / ٨٥٦ م توفي الأمير الأغلب أبو العباس محمد بن الأغلب ، وولى ابنه أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٤٢هـ - ٢٤٩هـ / ٨٥٦ - ٨٦٣ م) . واستمرت في عهدة حركة الفتح الاسلامي لمدن صقلية وحصونها .

واستمر كذلك الحاح المسلمين وعلى رأسهم العباس بن الفضل على قصر يان ، فغزاها في سنة ٢٤٣هـ / ٨٥٧ م فخرج له اهلها فهزمهم وقتل منهم عدداً كبيراً . ثم قصد سرقوسة وطبرمين وغيرها من المدن فنهبها وخربها وأحرقها على طريق مسيرته . (٢)

ثم توجه العباس بن الفضل الى القصر الجديد وحاصره لمدة شهرين وضيق على من به من الروم ، حتى عرضوا عليه ان يدفعوا له خمسة عشر الف دينار مقابل رحيله عنهم . لكنه رفض ذلك . وطالت مدة الحصار فسلموا له الحصن بشروط

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١٢ - ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٨٩ - سعد زغلول

عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٤٨

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٩٠

ان يطلق مائتي نفس ممن به ، فأخذ الحصن وباع كل من وجده فيه
إلا مائتي النفس التي عينوها ، ثم هدم الحصن . (١) ويذكر
سعد زغلول عبد الحميد تعليقاً على كلمتي (والله اعلم) التي
ذكرها ابن الاثير في نهاية روايته بأنها تظهر لنا شك ابن الاثير
في تلك الرواية . وأنه ربما كان المقصود بشرط اطلاق مائتي
النفس هو الا يأخذ منهم فدية ، بينما كان على الآخرين أن يفتدوا
أنفسهم بالمال أو أن يسترقوا . (٢)

وكذلك ارغم العباس بن الفضل أهالي حصن شلفــــوده
على مصالحته بشرط ان يخرجوا من الحصن لكي يهدمه ، فكان
له ما أراد . (٣)

-
- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٩٠ - ابن
عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ص ١١٢ (يذكر ان العباس
وافق على مصالحتهم مقابل فدية قدرها ١٥ الف دينار) .
(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٤٩
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٩٠ - ابن عذارى
المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١٢

فتح قصر يانسه :

وأخيراً جاء وقت فتح قصر يانسه بعد أن أصبحت الظروف مناسبة لفتحها بعد طول انتظار . ففي سنة ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ - ٨٥٩ م وبعد انتهاء فصل الشتاء أصبح الجو أكثر دفئاً توجه العباس بن الفضل بجيوشه من بلرم إلى قصر يانسه كعادته فخرّب وفسد فيها . ثم سار قاصداً سرقوسه ليحاصرها براً بعد أن وجه أخاه علي بن الفضل بأسطول بحري ليقوم بحصارها من جهة البحر . ولكن أسطول علي ابن الفضل التقى بأسطول رومي يتكون من أربعين شلندياً ، وكان قائدهم يسمى الأقریطش أي الكريتى ، فكانت بينهما معركة عنيفة انتهت بانتصار المسلمين وأسروهم عشرة من شلنديات الروم برجالها ومن ثم عاد الجيش البوى وكذلك الأسطول إلى بلرم محمليين بماغنموه من مغنم واسلاب وسبى . (١)

ثم جاء الشتاء ففكر العباس بن الفضل ان يغزو في فصل الشتاء على غير المعتاد ليرى ما يصيبه من نجاح ، فسير شاتيه إلى قصر يانسه قام رجالها بنهب وتخريب الاقليم ، ثم عادوا إلى بلرم ومعهم رجل كان له عند الروم مكانة ومنزلة ، فأمر العباس

(١) ابن الاثير: المصدر السابق، ح ٥، ص ٢٩٠ - ابن خلدون المصدر السابق، ح ٤ ص ٢٠٢ - ابن عذارى: المصدر السابق ح ١، ص ١١٣ (لكنه يذكر انه دارت على المسلمين جولة ، فقتل منهم ، واخذت لهم عشرون مركباً) .

بقتله فخاف الرجل وجبن وقال للعباس انه يشتري حياته مقابل ان يدلّه على طريق يفتح منها مدينة قصر يانه ، وخاصة وان القوم في الشتاء يكونون آمنين لمعرفتهم عد مغزوهم شتاءً . وطلب أن يرسل معه العباس بن الفضل مجموعة من المسلمين ليدخلهم المدينة . فأختار العباس ألفى فارس من الأبطال الشجعان ، وسار بهم في شهرى (ديسمبر - يناير) ومعهم الرجل الرومى ، حتى قاربوا قصر يانه فكن هناك مستتراً . بينما سيرعه رباح على رأس الألفى فارس والرجل الرومى معهم ، فساروا مستخفين في الليل ، ودلهم الرجل الرومى على المكان الذى يمكنهم عن طريقه دخول المدينة . وكان الموضع عبارة عن ثغرة في أسوار المدينة كان يخرج منها ماء نهرها محملاً بالأساخ ، وكان في منطقة وعرة من الجبل مما أدى إلى استخدام السلالم لارتفاع ذلك الموضع من الجبل ، والوصول إلى السور حيث توجد الثغرة . وفي الصباح والحرس نيام تسلمت جماعة من المسلمين للاستطلاع إلى داخل السور فوضعوا السيف فى حراس الأبواب وفتحوها لمكى يأتى العباس ورجالهم من مكمنهم خارج السور - على عجل ، ويدخلوا المدينة على حين غره من أهلها . وكانت صلاة الصبح قد وجبت فصلوا صبح يوم الخميس منتصف شوال سنة ٢٤٤هـ / ٢٥ يناير ٨٥٩ م . وأمّر العباس بقتل من وجد في المدينة من المقاتلة وكذلك اخذ بنات البطارقة بحليهن وأبناء الملوك ، وكان ماغنموه من المدينة من الكنوز والذخائر ما يعجز عنه الوصف . (١)

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٥ ، ص ٢٩٠ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٢ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١١-١١٣-١١٤ إحسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣٦ - حسن حسنى عبد الوهاب خلاصة تاريخ تونس ص ٨٥ - محسن محمود وأحمد الشريف : المرجع السابق

وعند وصول خبر انتصار المسلمين وامتلاكهم قصر يانہ إلى الأمير
أبى إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب ، سارع بإرسال نبأ فتحها
إلى الخليفة العباسى المتوكل على الله وأهدى له من سبيها . (١)

ويروى ابن الأثير أن العباس بن الفضل بنى فيها (أى قصر يانہ)
في الحال مسجداً ونصب فيه منبراً . وخطب فيه يوم الجمعة (٢) (أى
اليوم التالى لدخوله المدينة) . ورواية الخبر على هذه الصورة
تثير التعجب والتساؤل ، فلا يعقل أن يبنى مسجد في يوم وليله .

هذا ومن الجائز أن يكون العباس بن الفضل قد حول كنيسة
من كنائس المدينة إلى مسجد ووضع له منبراً . (٣)

فشل ثأر الروم :

وما أن سمع الروم نبأ هذه الهزيمة الساحقة وباستيلاء والى
صقلية على قصر يانہ حتى ثارت القسطنطينية وعلى رأسها الامبراطور

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٢ - سعد

زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٥١ - إحسان

عباس : المرجع السابق ، ص ٣٦ - حسن حسنى عبد الوهاب :

خلاصة تاريخ تونس ، ص ٨٥ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٩٠

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٥١

ميخائيل الثالث الذى سارع في السنة التالية ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م
بارسال اسطول من ثلاثمائة شلندى نحو صقلية ، مجهزاً احسن تجهيز
من جنود وعتاد لإسترجاع المدينة والثأر لما حل بهم من هزيمة فـي
صقلية . ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان وذلك لأن سيادة البحركات
قد انتقلت نهائياً من أيدي البيزنطيين إلى أيدي المسلمين .

و كانت عيون المسلمين تراقب كل تحركات الروم ، وعند ما علم العباس
بوصول تلك الحملة التى كانت بقيادة قسطنطين كوندوميتيس
(Constantine Kondomytes) الى سرقوسة ، كان هو ورجاله
وأساطيله لهم بالمرصاد . وتقابل الفريقان عند أحواز سرقوسة ، وصمد
الأسطول الإسلامى أمام أسطول الروم ، وأبدى كل من الفريقين أقصى
ما لديه من مهارة المناورة .

واستطاع المسلمون هزيمتهم حتى أجبروهم على الانسحاب
لمراكبهم والهروب راجعين إلى بلادهم وقد غنم المسلمون منهم مائة
شلندى ، كما كثر القتل فيهم ، ولم يصب من المسلمين ذلك اليوم غير
ثلاثة نفر بالنشاب . (١)

(١) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩ - ابن خلدون :
المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠٢، لكنه يذكر "واقلع فلهم إلى
بلادهم بعد أن غنم المسلمون من اسطولهم ثلاث (أى سفن)
أو أكثر" كذلك يذكر أن هذه الاحداث كانت في سنة سبع
وثلاثين (٢٣٧ هـ) - صابر دياب : المرجع السابق، ص ٨٥ -
احمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص ٧٦ - ٧٧ .

الا أنه ربما يكون في هذا الخبر شيء من المبالغه، اذ لا يعقل ان معركه بحريه تسفر عن أسر مائة سفينه وانهزام مائتين آخرين ولا يخسر المنتصرون فيها الا ثلاثة شهداء فقط . (١)

وقد علق أرشيبالد لويس على هذه المعركة بقوله " ويعتبر هذا أشنع انكسار حاق بيزنطه منذ عام ٨٤٠ م " (٢)

ولكن القسطنطينيه لم تستسلم للهزيمه والدليل على ذلك أن القسم الشرقي لصقلية - وهو أقربها إلى القسطنطينيه - كان لا يزال ممعناً في المقاومة بتحريض من الروم . فقد نكثت أعداد كبيرة من القلاع الصقليه - التي استسلمت للمسلمين من قبل - ، وخرجت على طاعة المسلمين مثل قلعة سطر، وأبلا (Avola) ، وأبلاطنو (Plotani) وقلعة عبد المؤمن، وقلعة البلوط، وقلعة أبي ثور (Caltaveuturo) وغيرها من القلاع، مما أدى إلى خروج العباس إليهم لتأديبهم، فلقبهم جنود الروم وكان القتال بينهم الذي انتهى بهزيمة الروم وقتل عدد د

- (١) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧٧ .
(٢) أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٧ (ويقصد بإنكسار عام ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م هو ذلك الانتصار العظيم الذي حققه الأسطول الإسلامي بعد فتح قلوريا على الأسطول البيزنطي والذي علق عليه ابن الأثير بقوله وكان ذلك فتحاً عظيماً للمسلمين) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٥٣ .

كبير منهم. (١) ثم توجه العباس بن الفضل إلى قلعة عبد المؤمن وقلعة ابلاطونوقحاصرهما. ولكنه في هذا الأثناء أتاه الخبر بوصول قوات روميه كثيره إلى الجزيره، فأقلع عن حصار القلعتين وأمر بالمسير للقاء الروم. وكان اللقاء قريباً من قلعة جلغودي (CeTolu) شرق بلرم، واشتبك الجيشان في قتال شديد انتهى بإنهزام الروم وإنسحابهم إلى سرقوسة، ومن ثم عاد العباس بن الفضل إلى بلرم. (٢)

وفاة العباس بن الفضل :-

ومن منطلق اهتمام العباس بن الفضل بالمسلمين وأمنهم قام بالإشراف على تحصين قصر ياناه وشحنها بالجند وذلك لكي تكون ملجأ يلوذ إليه المسلمون كما يلوذ الروم بسرقوسه .

وفي سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م أراد العباس بن الفضل فتح سرقوسة وذلك ليحطم آخر أمل للروم في صقلية، فمضى على رأس جنده المسلمين، وأخذ يتجول برجاله ويتحرش بالروم في منطقة سرقوسة يهزمهم ويغنم منهم، ولكنه عندما سار إلى غيران (جمع غار) قرعنه اعتل ومات بعد

- (١) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٠ - سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٥٢ - إحسان عباس: المرجع السابق ص ٣٦ - صابر دياب: المرجع السابق، ص ٨٥ - ٨٦ .
- (٢) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٠ - سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٥٢ .

ثلاثة أيام في ٣ جمادى الآخرة سنة ٢٤٧هـ / ١٥ أغسطس ٨٦١م، ودفن في موضع موته - غير بعيد من قبر أسد بن الفرات -، لكن الروم نبشوا قبره وأحرقوه. (١)

ولاية أحمد بن يعقوب، وعبد الله بن العباس (جمادى الآخرة ٢٤٧ هـ

- جمادى الأولى ٢٤٨هـ / أغسطس ٨٦١ - يولييه ٨٦٢ م) :

بطبيعة الحال عندما توفي العباس بن الفضل اجتمع قادة الجند ليختاروا من يخلفه في قيادة الجيش وكذلك في الإمارة على صقلية.

وفي هذا الصدد لدينا رواية ابن الاثير التي تقول " فلما توفى ولّى الناس عليهم ابنه عبد الله بن العباس وكتبوا إلى الأمير بإفريقيه بذلك " (٢) ويؤيد ابن خلدون هذه الرواية إذ يقول " ولما توفى العباس اجتمع الناس على ابنه عبد الله وكتبوا إلى صاحب إفريقيه " (٣). أما ابن عذارى فيذكر لنا أن الذي ولي بعد العباس هو عمه أحمد بن يعقوب وأن اهل صقلية هم الذين ولوه :

(١) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٥ ص ٢٩٠ - ابن خلدون :
المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠٢ - إحسان عباس: المرجع السابق،
ص ٣٦ - ٣٧ - سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج ٢، ص
٢٥٣ - صابر دياب: المرجع السابق، ص ٨٦ - أحمد توفيق المدني :
المرجع السابق، ص ٧٧ (لكنه يقول ان تاريخ وفاته كان في ذي

الحج ٢٤٧ هـ)
(٢) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٠٦
(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠٢

" وكتبوا بذلك إلى صاحب إفريقيه أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب، فجاء كتابه بإثباته " (١)

وللجمع بين هاتين الروايتين نقول بأن كلا منهما على صواب مع مراعاة اختلاف الترتيب الزمني .

ولتفسير ذلك يذكر سعد زغلول عبد الحميد عن رواية النويري التي تقول ان الناس ولوا " على انفسهم أحمد بن يعقوب، ثم ولوا عبد الله بن العباس، وكتبوا إلى أمير القيروان، فولى خمسة أشهر " (٢) . وما زال الكلام عن سعد زغلول عبد الحميد الذي يقول : وبما أن الوالي الجديد ، وهو خفاجة بن سفيان وصل من القيروان إلى صقلية في شهر جمادى الأول من السنة التالية ٢٤٨ هـ / يولييه ٨٦٢ م ، فهذا يبين ان الفترة ما بين وفاة العباس بن الفضل ووصول خفاجة بلغت احد عشر شهراً ، ولى منها عبد الله بن العباس خمسة اشهر ، اذن تكون ولاية عمه أحمد بن يعقوب قبله قد استمرت لمدة ستة اشهر من جمادى الآخرة سنة ٢٤٧ هـ / اغسطس ٨٦١ م إلى ذى الحجة من نفس السنة / فبراير ٨٦٢ م . ومدة ولايته هذه لا نعرف كيف كانت نهايتها إذا كانت بسبب وفاته ، أم كانت بسبب عدم رضا الجند عنه . وبذلك تكون ولاية عبد الله بن العباس - التي ذكرها ابن الاثير وابن خلدون ولم يذكرها ابن عذارى - قد بدأت من ذى الحجة سنة ٢٤٧ هـ وانتهت

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٣
(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

(١) في جمادى الأولى سنة ٢٤٨ هـ / يوليو ٨٦٢ م .

المهم أنه خلال فترة خمسة الأشهر التي تولى فيها عبد الله بن العباس صقلية ، اتبع نفس سياسة ومنهج أبيه في غزو الروم فأخرج السرايا وفتح قلاعاً متعددة منها جبل ابى مالك وقلعة الأرمينين ، وقلعة المشارع . (٢)

ولا ندري بالضبط سبب عدم تثبيت الأ مير الأغلبى ابى إبراهيم أحمد بن محمد القائد عبد الله بن العباس في منصبه ، رغم ما يتمتع به عبد الله من خبرة طويلة - قضاها مع أبيه - في احوال الجهاد داخل صقلية وخارجها كجنوب إيطاليا . ربما كان السبب راجعاً لرغبة أمير القيروان ، أو يكون قد حدث خلاف بين أفراد أسرة عبد الله بن العباس شارك فيه الجند مما أدى الى عزلهم لعنه أحمد وتوليته ، وهو الأمر الذى يجعل اختيار أمير القيروان لقائد آخر من طرفه أمراً مقبولاً (٣) . وربما يكون أمير القيروان ادرك ما يرمى إليه المسلمون في صقلية ، وعلم أنهم أرادوا باختيارهم الوالى عليهم الاستقلال بأمرهم تحت إمارة عائلة ابن الفضل ، يتوارثونها فيما بينهم خلفاً عن سلف ، ويكـون نتيجة هذه السياسة تقليص سلطة ونفوذ القيروان عليهم شيئاً فشيئاً من أجل ذلك امتنع امير القيروان عن الموافقة على تثبيت عبد الله بن العباس في منصبه ، وأمره بترك الولاية لخفاجه بن سفيان (٤) .

-
- (١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ج ٢ ، ص ٢٥٤
(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٠٦ - ابن خلدون :
المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٢
(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٥
(٤) احمد توفيق المنني : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

ولاية خفاجه بن سفيان :- (٢٤٨ - ٢٥٥ هـ / ٨٦٢ - ٨٦٩ م)

وصل خفاجه بن سفيان إلى صقلية في جمادى الأولى سنة ٢٤٨ هـ / يوليو ٨٦٢ م ، وكان شهماً عال الهمة طويل الباع في السياسة وفي الحرب . وجاء معه ابنه محمد الذي سيكون يده اليمنى ، وعضده المتين ، وسيفه الذي يبطش بعدوه به .

وفور وصول خفاجه بن سفيان تسلم مقاليد الأمور لولايته الجديدة في بلرم فكانت سياسته العسكرية تتسم بالقوة ، وتشبه إلى حد بعيد سياسة العباس بن الفضل . (١)

جهاده في اقليم سرقوسة والركن الجنوبي الشرقي :-

وكانت بداية نشاطه الحربي فور وصوله إلى بلرم ، فأول سريسة خرجت كان على رأسها ولده محمد متجهاً لمنطقة سرقوسة ، فغنمت وحرقت وخربت ، وهزم من خرج له من الروم ، وفي طريق عودته لبلرم مر على مدينة أرغوس (رغوس) فحاصرها وضيق عليها حتى طلب أهلها الأمان . ويذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م أن أهالي أرغوس أستمأنوا فيها

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٢٥٥ - احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

مرة أخرى ، ويتساءل عما إذا كان قد حدث خلط بين التاريخيين
أم أن الأمر يتعلق بغزوتين مختلفتين ، وذلك بعد عصيان أهل أرغوس
والرأى الأخير هو المقبول والمتمشى مع سياسة الصوائف السنوية التي
كانت متبعه عند ولاية صقلية . (١)

وفي سنة ٢٤٩هـ / ٨٦٣ م توفي الأمير الأغلب أحمد بن محمد
ابن الأغلب وتولى إمارة الأغالبه من بعده الأمير زيادة الله الثاني
بن محمد ابن الأغلب في ذى القعدة سنة ٢٤٩هـ / ديسمبر ٨٦٣ م .
(٢)

وقد أقر زيادة الله الثاني خفاجه بن سفيان على ولاية صقلية
وأرسل إليه بالخلع رمز الإمارة . (٣)

وقد ظل خفاجه بن سفيان يتبع سياسة الإلحاح بالصوائف
على إقليم الركن الجنوبي الشرقي من صقلية إلى أن تمكن من فتح مدينة

- (١) ابن الاثير: المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٠٦
(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ .
(٣) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

نوطس جنوب سرقوسة في محرم من سنة ٢٥٠هـ / مارس ٨٦٤ م .
وقد ساعده على فتحها أن بعض أهلها أخبر المسلمين بالموضع
الذى تمكنوا بواسطته من دخول المدينة . وقد غنم المسلمون
منها أموالاً كثيرة ، ثم توجهوا بعد ذلك غرباً وفتحوا
مدينة شكلية (Scicli) الواقعة في جنوب أرغوس ، بعد
أن قاموا بحصارها فترة . (١)

ثم كانت وفاة زيادة الله الثاني في ذى القعدة من سنة
٢٥٠هـ / ديسمبر ٨٦٤ م بعد سنة واحدة من ولايته ، وجاء
بعده الأمير محمد بن أحمد المعروف بأبي الفرانق - لكثرة
ولوعه بتصيدها (٢) - الذى أقر خفاجه بن سفيان في ولاية
صقلية . (٣)

وينظره سريعة على أحداث الأربعين سنة الماضية التى
ذكرت سابقاً نجد أنه عندما كان أهالى حصون و مدن الروم يطلبون
الأمان كان هذا يعنى الصلح . وكذلك كانت كلمة فتح تعنى
الصلح في معظم الأوقات ، إلا إذا وجد نص صريح ، يذكر امتلاك
المسلمين للحصن أو المدينة أو حتى إشارة إلى إقامة المسلمين
فيها .

لكن بالنسبة إلى ما يذكر من حرق أو هدم المسلمين للحصن

-
- (١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٣٦ ، سعد
زغللول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٥٦
(٢) ابن الأبار : الحلة السيرة ، ح ١ ، ص ١٧١
(٣) سعد زغللول عبد الحميد : نفس المرجع ، نفس الصفحة .

أوللمدينة وتركهم لها فهذا يعنى ترك المسلمين لهذا الحصن
أو لهذه المدينة ، ثم عودة الروم إليها ليعمروها بدليل أن المسلمين
كانوا يرجعون للقتال في نفس الموضع من جديد . (١)

وفي سنة ٢٥١هـ / ٨٦٥م تعرضت منطقة سرقوسة لغارة
شديدة من المسلمين ، حيث نصب خفاجة بن سفيان كميناً بقيادة
ولده محمد الذى كمن لأهلها ، وفاجأهم واستطاع قتل ألف فارس
منهم ، ومن ثم سميت تلك السرية " سرية الألف فارس " . (٢)

صلح طبرمين ومشاركة زوجة خفاجة بن سفيان في عقده :-

ظلت معاقل طبرمين من أشد وأمنع المعاقل التى واجهت
المسلمين فقد استمر أهلها يوالون القتال ضد المسلمين الذين
حالوا مرارا أن يدكوا أسوار هذه المدينة ولكنهم لم ينجحوا فى
ذلك . (٣) لكن فى سنة ٢٥٢هـ / ٨٦٦م كان خفاجة بن سفيان
يقوم بصائفة كما تعود المسلمون ذلك . فسار خفاجة الى سرقوسة

(١) سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع السابق ، ونفس
الصفحة .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١٤ - ابن خلدون :
المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٢ - صابر دياب ، المرجع
السابق ، ص ٨٦-٨٧ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع
السابق ، ح ٢ ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .

(٣) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧٩ (وهو
يذكر اسمها طبرميس بدل طبرمين) .

ومنها اتجه إلى أقصى الشمال إلى منطقة جبل النار. وهناك أتاه
رسل أهل طبرمين يطلبون الأمان . " فأرسل إليهم امرأته
وولده في ذلك فتم الأمر " وهذا ما ذكره ابن الأثير. (١)

وهذا يعني أن مسألة الأمان أو الصلح هذه كانت
تعتبر نوعاً من المفاوضات المتعارف عليها في ذلك الوقت . هذا
ولو أن الأمر اقتصر على إرسال خفاجة ابنه محمد فقط للتفاوض
معهم لكان الأمر معقولاً لأن ولده يعتبر ساعده الأيمن في أعماله ،
لكن الأمر تعدى ذلك بأن أرسل امرأته أيضاً ، وربما كان للتفاخر
والمباهاة بنساء المسلمين أمام الروم الذي كانوا يعتزون بنسائهم ،
حتى أنهم كانوا يحبونهم معهم في الحروب التي يخوضونها ،
وذلك واضح في كثير من معاركهم . (٢)

فإرسال امرأة مسلمة لتشارك بصفة فعلية في عمل سياسى
كبير مثل هذا العمل يعتبر دليلاً قاطعاً على ما أحرزته السيدة
المسلمة من مكانة عليا في المجتمع الزاهر تحت الراية الأغلبية
في أفريقيه أو في صقلية . وقد استطاعت هى وولدها أن تنهى
مهمتها على أكمل وجه ، فقد لبى أهالى طبرمين دعوتها وأذعنوا
لأمرها ، وسلموا مفاتيح المدينة لها فدخلها المسلمون صلحاً . (٣)

- | | |
|-----|--|
| (١) | ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٠٦ |
| (٢) | سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ |
| (٣) | أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧٩ . |

لكن مشيئة الله قضت أن يهلك أهل هذه المدينة ، فقد نقضوا الصلح . ولا توضح الرواية أسباب هذا النقض . والمهم أنهم شاروا على المسلمين في غفلة منهم وأخرجوهم من المدينة وأغلقوا الأبواب وقتلوا وأذلوا من بقى منهم ولم يستطع الخروج ، ثم بعد ذلك اعتصموا بقلاعهم . (١)

وهذا الغدر من أهل طبرمين أثار غضب خفاجة بن سفيان واعتبر السكوت عليه ضعفاً وهواناً ، وقد يؤدى إلى انتقاض ببيعة مدن صقلية على المسلمين كطبرمين ، فسارع في إرسال ابنه محمد على رأس سرية للمسلمين ففتح المدينة وسبى أهلها . (٢)

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٢ - أحمد توفيق المدني : نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٣٠٦

صلح أرغوس (رغوس) والغيران :-

وفي سنة ٢٥٢هـ / ٨٦٦م نفسها ، نكث أهل أرغوس الصلح الذي كان بينهم وبين المسلمين منذ سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٢م كما ذكر سابقاً ، فسار لهم خفاجة بن سفيان لتأديبهم ، ولكنهم طلبوا الأمان من جديد . ومن أجل نقضهم للصلح السابق كانت شروط الصلح هذه المرة فيها بعض القسوة عليهم ، مما أضر أهل أرغوس أن يطلبوا من خفاجة السماح لعدد معين من أهل المدينة أن يخرجوا منها بأموالهم ودوابهم في مقابل أن يغنم هو الباقي . ووافق خفاجة على طلبهم هذا وأخذ هو جميع ما في الحصن من مال ورقيق ودواب وغير ذلك (١) . كما يذكر ابن الأثير في حوادث هذه السنة أن خفاجة بن سفيان توجه إلى أهل الغيران - وهي قرية من سرقوسة - فهادنهم في مقابل دفع الجزية للمسلمين ، ثم بعد ذلك افتتح حصوناً كثيرة (٢) . ثم أراد خفاجة " بن سفيان " أن يكمل فتوحه لكنه مرض مرضاً شديداً . لدرجة أنه عاد إلى بلرم محملاً في محفة . (٣)

- (١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٣٠٦ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ - سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق ح ٢ ، ص ٢٥٨ .
- (٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٣٠٦ - ويذكر ذلك ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١٤ - وابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٣ .
- (٣) ابن عذارى : نفس المصدر ، ونفس الصفحة - ابن الأثير : نفس المصدر ، ونفس الصفحة - ابن خلدون : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

محاولة المسلمين مرة أخرى فتح سرقوسة ، وقطانيا :-

وما أن جاءت سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م حتى كان خفاجة بن سفيان في أتم صحة وأحسن حال ، فسار على الفور لتكملة جهاده في أقاليم سرقوسة . فسار من بلرم متجهاً إلى مدينة سرقوسة ، وقطانيا فآفسد زروعهم وخرب بلادهم ، ثم عاد إلى بلرم ، ولكن رغبهم عودته لم يهدأ ويستكن وإنما كان يرسل سراياه إلى أرض صقلية من روم غير معاهدين للمسلمين فتعود تلك السرايا محملة بالغنائم الكثيرة . (١)

واستمر الحاح خفاجة بن سفيان لفتح مدينة سرقوسة لأهميتها وهي تقاوم . ففي سنة ٢٥٤هـ / ٨٦٨م التالية سير خفاجة في البداية سرايا إستكشافية قبل أن يسير سرية لسرقوسة فغنمات وعادت . وفي نفس الوقت سير ابنه محمداً في البحر بحراقات عندما أتاه الخبر أن بطريقا قد سار من القسطنطينية في حملة كبيرة من الروم متجهاً إلى صقلية . لذلك عند وصولهم كانت البحرية الإسلامية في لقاءهم في جمع كبير من المسلمين ، وكان القتال شديداً بينهم وهو القتال الذي انتهى بهزيمة الروم وقتل

(١) ابن الاثير: نفس المصدر ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : نفس المصدر ، نفس الصفحة .

وقتل عدد كبير منهم وترك أغلبهم لسلاحهم ولمتاعهم في أيدي المسلمين وفرار المراكب السليمة راجعة على أعقابها خاسرة . أما المسلمون فقد عادوا إلى بلرم في أول شهر رجب / أواخر يونيو .

واتجه خفاجة بن سفيان مرة أخرى إلى سرقوسة فهاجمها وأفسد زرعها وغنم منها ——— وعاد إلى بلرم في أول شهر رجب مع عودة الأسطول الإسلامي . (١)

فشل محاولة أخرى لفتح طبرمين :

تعتبر طبرمين من المدن المحصنة في صقلية والتي صعب على المسلمين فتحها ، فكان المسلمون يلحون عليها بالسرايا ——— لفتحها ولكن الأمر كان ينتهي بعقد صلح بين الطرفين وكان آخر صلح بين أهل طبرمين وبين المسلمين سنة ٢٥٢هـ / ٨٦٦م ، ولا ندري هل نقض أهالي طبرمين هذا الصلح أم لا . المهم أن مدينة طبرمين كانت هدف خفاجة بن سفيان في سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٨م ، وقد صمم خفاجة على فتحها في هذه السنة عندما جاءه عرض من بعض

(١) ابن الأثير : نفس المصدر ، ونفس الصفحة - ابن عذارى :
المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١٥ - ابن خلدون : نفس
المصدر ، نفس الصفحة .

أهل طبرمين لتسهيل دخول المسلمين إليها عن طريق معابر سرية توصلهم الى داخل المدينة . وهكذا سارع خفاجة بإرسال ابنه محمد في شهر صفر/ يناير - فبراير مع جماعة من المسلمين يرافقهم ذلك الدليل الطبرميني . وعند ما أصبحوا على مقربة من المدينة توقف محمد وأمر بعض عسكره ان يتقدموا ليدخلوا المدينة مع الدليل حتى إذا ملكوا بابها وسورها يلحق بهم إلى داخل المدينة عند ما يفتحون أبوابها . ولكن ما أن دخل رجال هذه الفرقة من المسلمين ومعهم الدليل إلى داخل المدينة وتم لهم الاستيلاء على أبوابها وسورها حتى شرعوا في السبي والغنيمة ولم يعطوا إشارة الهجوم النهائي لمحمد وبقيّة جند المسلمين .

ومن جهة أخرى تأخر محمد بن خفاجة ومن معه من العسكر عن الوقت الذي وعدهم أن يهجم فيه على المدينة ربما لتردد منه أو لعدم ثقته بنجاح العملية في وقتها المحدد . فظن الجند الإسلامي الذي دخل المدينة أن العدو أوقع بمحمد ورجاله ، فتوقفوا عن السبي ، وخرجوا منهزمين من المدينة . وربما كان انهزامهم لخوفهم من أهالي المدينة أن يثوروا عليهم بعد أن يشعروا بما حدث داخل أسوار مدينتهم ، والمسلمون قلة لا يستطيعون مجابهة الأهالي . وعندئذ وصل محمد ومن معه من العسكر إلى أبواب المدينة فرأى المسلمين يخرجون منها منهزمين ، فظن أن جنده قد هزموا فعاد راجعاً معهم إلى بلرم . وهكذا كانت غلطة يسيرة السبب في عدم فتح طبرمين . وما أن تخلص أهل المدينة من المسلمين حتى قفلوا أبواب المدينة واعتصموا داخلها . وهكذا

فشلت محاولة فتح طبرمين بعد أن كادت تنجح . (١)

ولكن ابن خلدون يذكر أنه بعد أن دخل جند المسلميين المدينة ومعهم الدليل وأخذوا في السلب والنهب " جاء محمد ابن خفاجة من ناحية أخرى فظنوه مدداً للعدو فأجفلوا ورآهم محمد مجفلين فرجع " . (٢)

ولذا لم تتحقق أمنية غالية على خفاجة بن سفيان ، ألا وهي فتح مدينة طبرمين ، فلو كانت قد تحققت هذه الأمنية . لأصبحت أعمال خفاجة وفتوحاته موازية لأعمال العباس ابن الفضل عندما استولى على قصر يان بنفس الطريقة قبل هذه الأحداث بأحدى عشرة سنة .

سرقوسة والضغط عليها من جديد :-

وفي شهر ربيع الأول / فبراير - مارس من السنة نفسها خرج خفاجة بن سفيان - الذى لم يضعف من عزمته ذلك الفشل السابق - من بلرم على رأس قواته متجهاً الى مرسة (برسة) ، في حين سمر ولده محمداً في سرية كبيرة العدد والعدة الى سرقوسة . وعند ما

- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٥٩ - احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٨١
(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٣ (حيث القراءة طرميس بدلاً من طبرمين) .

تقابل ~~محمد~~ محمد وجنده مع الروم الذين كانوا كثيرى العدد دار بينهم قتال شديد ضعف المسلمون فيه ، أدى ذلك إلى هزيمة المسلمين وانسحابهم إلى خفاجة بن سفيان بعد أن قُتل منهم عدد كبير (١) لكن ابن عذارى يذكر أن سبب الهزيمة هو " مقتل شجاع من شجعان المسلمين فانكسروا لقتله " . (٢) وعندما وصلوا إلى خفاجة سارع بالخروج إلى سرقوسة على رأس قواته ، فحاصرها وضيق على من بها من الأهالى وأهلك زرعها وأفسد بلادها . (٣)

مقتل خفاجة بن سفيان :-

وبعد أن استطاع خفاجة تأديب أهالى سرقوسة ، تركها واتجه صوب بلرم . وفي طريقة إليها نزل بوادى الطين ، ولكن الظاهر أنه أحسن بمكيدة يراد بها قتله من قبل الروم ، فقرر الرحيل عن وادى الطين ، فسار منه ليلاً . وأثناء مسيرة اغتاله رجل من عسكره فطعنه طعنة قاتله أدت إلى موته ، وكان ذلك في شهر رجب سنة ٢٥٥هـ / ١٥ يونيه ٨٦٨ م . وهرب القاتل إلى سرقوسة

-
- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٣٠٧ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٣ .
- (٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١٥
- (٣) ابن عذارى : نفس المصدر ، نفس الصفحة - ابن الاثير : نفس المصدر ، نفس الصفحة - ابن خلدون : نفس المصدر ، نفس الصفحة .

مما يدل على أن الروم كان لهم يد في مقتل خفاجة . وحُمل خفاجه
لبلرم فدفن بها . (١)

ولاية محمد بن خفاجة بن سفيان (٢٥٥-٢٥٧هـ / ٨٦٩-٨٧١م)

بعد مقتل خفاجة ودفنه في بلرم اجتمع قواد الجند الإسلامي
مع المسلمين ليتفقوا على أن يولوا عليهم بعده ابنه محمدًا ، وكتبوا
بذلك الى الأمير الأغلبى أبي الغرائق محمد بن أحمد ، الذى
اقر محمدًا بن خفاجة ، وأرسل له كتاب العهد بولاية صقلية
ومعها الملابس الرسمية المعروفة بالخلع ، وكان ذلك يوم السبت
٢٤ رمضان سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٨م . (٢)

وفور تولى محمد بن خفاجة منصبه ، سير جيشًا بقيادة عمه
عبد الله بن سفيان إلى إقليم سرقوسة ، فقاتل أهلها وأهلك
زرعها وعاد ثانيًا إلى بلرم . (٣)

-
- (١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ١١٥ - ابن الاثير :
المصدر السابق : ح ٥ ، ص ٣٠٧ - ابن خلدون : المصدر
السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ - ابن الخطيب : المصدر
السابق ، ح ٣ ، ص ١١٤ .
- (٢) ابن عذارى : نفس المصدر ، ونفس الصفحة - ابن الاثير : نفس
المصدر ، ونفس الصفحة - ابن خلدون : المصدر السابق ح ٤
ص ٢٠٣ - ابن الخطيب : المصدر السابق ح ٣ ص ١١٤ - ١١٥
- (٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٣٥١

ولكن القدر لم يمهل محمداً بن خفاجة ليستمر في فتوحه هذه إذ كانت نهايته القتل على أيدي بعض خدمه الخصيان من الصقالية ، وكان ذلك في ٣ رجب سنة ٢٥٧هـ / ٢٨ مايو ٨٧٠ م . مما يعني أن فترة ولايته صقلية لم تستمر أكثر من سنتين فقط . وقد هرب من قتلوه ليلاً ، وفي الغد عندما عرف خبر قتله ، جدد الناس في طلب من قتلوه حتى أدركوهم وقتلوهم . (١)

(١) ابن عذارى : نفس المصدر ونفس الصفحة - ابن الاثير :
المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٣٦٤ - سعد زغلول عبد الحميد
المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٦١ - احمد توفيق المدني :
المرجع السابق ، ص ٨٣ .

خلفاء محمد بن خفاجة :-

بعد مقتل محمد بن خفاجة ومن قبله أبيه خفاجة بن سفيان أصاب الناس شيء من الجزع والارتباك والقلق ، فكان لابد من الإسراع في تولية والٍ جديد يعمل على إقرار الأمن وإرجاع الطمأنينة إلى نفوس الناس ، فاجتمع قواد الجند الاسلامي وولوا على أنفسهم محمداً بن أبي الحسين ، وكتبوا إلى الأمير الأغلبى ابي الغرانيق محمد بن أحمد بالقيروان يعلمونه بالأمر وبممن ولوه عليهم ، لكنه رفض الوالى الذى عينه مسلمو صقلية ، وعهد بولايةها إلى رباح بن يعقوب ، وعهد كذلك بولاية الأرض الكبيرة أى قلورية وانكبرده وماوراءهما من إيطاليا ، إلى أخى رباح ، وهو عبد الله بن يعقوب . (١)

لكن رواية ابن عذارى تقول بأن الأمير ابي الغرانيق عهد بولاية صقلية لأحمد بن يعقوب وتتفق بالنسبة لولاية الأرض الكبيرة لعبد الله بن يعقوب . (٢)

كما تتفق رواية ابن الاثير مع رواية ابن عذارى فيما يختص بولاية أحمد بن يعقوب على صقلية ، وتصنيف إلى ذلك أنه مات سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧١ م . (٣)

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٢

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٥

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٦٤

و نرجع للرواية التي يذكرها سعد زغلول عن النويرى لأنها
هى الرواية التي سوف نأخذ بها فيمن خلف محمداً بن خفاجه
وذلك بسبب إتساقها وانتظام أحداثها ، فبعد تولى الأخوين
الولاية لم تطل ولاية رباح بن يسعقوب إذ توفي في محرم سنة
٢٥٨هـ / نوفمبر - ديسمبر ٨٧١ م . وحدث نفس الشيء
لأخيه فقد مات في إيطاليا ، بعده في شهر صفر من نفس
السنة / يناير - فبراير . فما كان من قواد الجند إلا أن اختاروا
والياً آخر وهو أبو العباس بن عبد الله بن يعقوب ، لكن
أيضاً لم يمكث إلا أشهراً ثم مات ، فولوا من بعده أخاه . ثم
وصل عهد الأمير أبي الغرانيق بالولاية للحسين بن رباح ، لكنه
لم يلبث أن عزله ، وولى بدلاً منه عبد الله بن محمد بن عبد الله
التميمي وذلك في شوال سنة ٢٥٩هـ / أغسطس ٨٧٢ م . (١)

ومما سبق يتضح لنا أنه قد ولى على صقلية في خلال
سنتين فقط أربع ولايات ، مما يدل على حالة القلق والاضطراب
التي كانت سائدة بها . وفي سنة ٢٥٩هـ / ٧٢-٨٧٣ م قام
المسلمون بحملة إلى سرقوسة وقد كانت في عهد والى صقلية
الحسين بن رباح ، وانتهت هذه الحملة بالصلح على أن يطلقوا
" أى أهل سرقوسة " الأسرى الذين كانوا عندهم من المسلمين
وكانوا ثلاثمائة وستين أسيراً فلما أطلقوهم ، رجع عنهم الحسين
بن رباح إلى بلرم . (٢)

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٦٢
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١٦ - ابن الاثير
المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٣٧٠

وقد انتهت فترة ولاية الأمير الأغلبى أبى الغرانيق محمد بن أحمد بوفاته في جمادى الاولى سنة ٢٦١هـ / ١٧ فبراير ٨٧٤م ، وولاية أخيه إبراهيم بن أحمد من بعده .

ومنذ تولية الإمارة وربما من قبلها من سنة ٢٥٩هـ إلى سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٢ إلى سنة ٨٧٧م لانجد ذكراً لأحداث مهمة في المصادر التاريخية التي تكلمت عن صقلية وبالذات عن سرايا الصوائف والشواتى في البر والبحر على السواء . وربما هذا يرجع إلى حالة القلق والاضطراب التي كانت تعيشها صقلية نتيجة مقتل خفاجة وولده محمد . هذا بجانب تعدد الولاة الذين تداولوا حكم صقلية وجنوب إيطاليا فيما بين سنة ٢٥٧هـ / ٨٧٠م وسنة ٢٥٩هـ / ٨٧٢م . (١)

وهناك سبب آخر لهذه الحالة في عهد الأمير الأغلبى إبراهيم ابن أحمد ، ليس مصدره صقلية وإنما مصدره عاصمة الأغالبية القيروان نفسها . فقد تولى عرشها الأمير إبراهيم بن أحمد وكان في بداية ولايته جباراً عنيداً طاغية . فقد كان مصاباً بنوع من الهستيريا الدموية وذلك عندما شعر من عائلته ميلاً للتخلص منه فألقى القبض على عمه الأغلب بن محمد وأخيه الأغلب

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ٢٠ ، ص ٢٦٣

ابن أحمد وابن أخيه أحمد بن أبي عبد الله وأرسلهم إلى صقلية
مبعدين فحبسوا في دار الإمارة عند جعفر بن محمد . (١)

ومن أخبار ظلم وطغيان الأُمير الأغلب إبراهيم بن أحمد
قول ابن الآبار مانصه " ثم ارتكب من العدوان وسفك الدماء
ما لم يرتكبه أحد قبله ، وأخذ في قتل أصحابه وكتّابه وحجّابه ،
حتى إنه قتل ابنه أبا عقّال وبناته ، والأخبار عنه في ذلك
فظيعة شنيعة " . (٢)

ولاية جعفر بن محمد : (٢٦٤-٢٦٥هـ / ٨٧٧-٨٧٨م) .

وخلاصة القول أن فتوحات المسلمين في صقلية وجنوب
إيطاليا لم تنشط إلا في ولاية جعفر بن محمد سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٧-
٨٧٨ م ، وكانت هذه المرة لفتح مدينة سرقوسة التي ألح
المسلمون عليها كثيراً بالسرايا لفتحها فما كانت لفتح إلا أن يشاء
الله .

- (١) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ص ٨٤-٨٥
(٢) ابن الآبار : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٢ - ابن
خلدون : المصدر السابق ج ٤ ص ٢٠٤ ، (إلا إنه يذكر
عن إبراهيم بن أحمد قوله " وأنه أصابه آخر عمره واليخوليا
أسرف بسببها في القتل . . . " .

فتح سرقوسة :

تابع جعفر بن محمد سياسة من سبقوه في الإلحاح على مدينة سرقوسة بالصوائف والشواتي ، فقام بغزو إقليمها في تلك السنة فأفسد زروعها . بعد ذلك استطاع أن يزيد من نشاطه العسكري فاتجه بفتوحاته حتى شمل أرض قطانيه وطبرمين ورمطة (١) فعمل جنده على تخریبها ونهبها حتى يضعفوا من مقاومتها تمهيداً لفتحها فيما بعد . ثم عاد جعفر بن محمد وكرر محاولة فتح سرقوسة وصمم على أن يقتطف ثمرة جهود من سبقوه من أمراء صقلية في محاولة فتحها . فقام هو ورجاله بحصار المدينة من جهة البحر ، وفي نفس الوقت سير أسطول المسلمين ببلرم ليحاصرها من جهة البحر وأخذ يضيق عليها الخناق حتى نجح في الإستيلاء على بعض أراضيتها وبقي جعفر على حصاره لسرقوسة ، وأحسن أهلها أن الساعة الأخيره لسقوط مدينتهم قد دنت ، فقاموا بالدفاع عنها دفاع البائس المستميت ، فتفانوا في الزود عن هذه المدينة التي كانت تمثل في نظرهم الوطن ، وتمثل الدين . واستمر الحصار لعدة شهور وكان نتيجة ذلك أن وصل خبر حصار المسلمين لسرقوسة للقسطنطينيه مما أدى إلى إرسال الإمبراطور باسيل الاول المقدوني (٢٥٣-٢٧٣هـ / ٨٦٧-٨٨٦م) أسطولاً بقيادة الأدميرال ادريان

(١) رمطة : اسم اعجمي لقلعه حصينه بجزيرة صقلية بينهما ثمانية أيام وهي بعيدة من البحر فوق جبل وفيها آثار الماء (ياقوت المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٦٨) .

وقد جاءت هذه الحملة البيزنطية البحرية لفك حصار المسلمين عن المدينة الهامة، لكن هذا الأسطول البيزنطي لم يستطع أن يقف في وجه الأسطول الصقلي الذي انتصر عليه (١). وأخيراً تم تطويق المدينة تطويقاً محكماً أنهكت فيه المدينة ولم تستطع الصمود أمام جحافل المسلمين ومواصلة الدفاع حتى كانت نهاية الشهر التاسع من الحصار، فداهمها المسلمون عنوة وقتل من أهلها أكثر من أربعة آلاف رجل وأصاب فيها من الغنائم ما لم يصب بمدينة من مدائن الشرك. ولم ينج من رجالهم أحد إلا الشاذ الفذ كما تذكر رواية ابن عذارى. وكان ذلك في ١٤ رمضان سنة ٢٦٤ هـ / ٢١ مايو ٨٧٧ م. (٢)

ثم قام المسلمون بهدم المدينة بعد إقامتهم بها لمدة شهرين وذلك في منتصف ذي القعدة / ٢ يوليه ويبدو أن المسلمين هدموا سرقوسة بعد علمهم بوصول أسطول بيزنطي آخر جاء في محاولة لإنقاذ المدينة واستعادتها، فالتقى الروم مع المسلمين فظفر بهم المسلمون وأخذوا منهم أربع قطع، قتلوا من فيها

- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ج ٦ ، ص ١٩
- (٢) ابن عذارى : المصدر السابق ج ١ ، ص ١١٧ - ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٩ - ابن خلدون المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٥ - ١١٦ - عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص ١٠٠

من الروم ، وأنصرفوا إلى بلرم في آخر ذى القعدة / ٣ أغسطس. (١)

ويذكرنا هدمهم لمدينة سرقوسة بما فعله حسان بن النعمان بقرطاجنة فقد هدمها أيضاً وكان الغرض من هدمها قطع الأمل على الروم في العودة إليها أو تعميرها. (٢)

مقتل جعفر بن محمد :

لم يقدر لجعفر بن محمد أن يتمتع مدة طويلة بنصره هذا في سرقوسة ، وذلك بسبب المؤامرة التي دبرها كل من الأغلب بن محمد الملقب بـ " خرج الرعونة " وأبي عقال الأغلب ابن محمد بن أحمد ، ولي العهد السابق . فقد استطاعا إغراء بعض غلمان جعفر بن محمد للغدر به . وقد كانا محبوسين عنده بأمر من الأمير الأعلى إبراهيم بن أحمد ، كما ذكرت سابقاً . (٣) وقد وفق الأغلب بن محمد الأغلب في الاستيلاء على بلرم وضبطها بمعاونة أبي عقال الأغلب بن محمد بن أحمد ولكن نتيجة لفعلتهم هذه وللطريقة التي أخذوا بها الحكم

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٦ ص ٩١ - ابن عذارى

المصدر السابق ، ح ١ ص ١١٧ .

(٢) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٨٧

(٣) ا نظر قبل ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦

لم يطمئن إليها أهل بلرم ، فقبضوا عليهما وأخرجوهما من صقلية إلى إفريقيه مصفدين بالأغلال ليرى فيهما الأمير إبراهيم بن أحمد ابن الأغلب أمره . وتولى صقلية من بعدهما الحسن بن رباح . (١)

ولاية الحسن بن رباح : (٢٦٥/٢٦٧هـ - ٨٧٨ - ٨٨٠م)

وفي سنة ٢٦٥هـ / ٨٧٨ - ٨٧٩م بعد أن سقطت مدينة سرقوسة في أيدي المسلمين بدأوا يتطلعون إلى الاستيلاء على مدينة طبرمين التي تليها في الأهمية وكانت لا تزال في يد الروم . لذلك كانت هذه الصائفة التي سارت في سنة ٢٦٥هـ / ٨٧٨م لغزو طبرمين ، وكان على رأسها الحسن بن رباح ، فالتقى مع الروم ودارت بين المسلمين والروم حرب شديدة ، رجحت فيها كفة الروم في بادئ الأمر وقتل عدد من المسلمين ، ولكن لم تلبث الكفة أن مالت جهة المسلمين فاسترجعوا شجاعتهم فكانت لهم الغلبة على الروم ، فهزمهم وقتلهم ، وقتلوا بطريقهم الذي كان يتولى قيادتهم . (٢)

نكبة أسطول صقلية :

لكن في سنة ٢٦٦هـ / ٨٧٩ - ٨٨٠م سير الحسن بن رباح

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١٧ - سعد

زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٦٨ -

أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٨٥

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١٧

والى صقلية أسطوله غازياً الروم ، فألتقى في البحر على مقربة من صقلية بالأسطول الرومى الذى كان يتألف من مائة وأربعين مركباً ، ولكن بيد وأن عدد مراكب المسلمين كانت قليلة لأنها لم تستطع الصمود أمام الأسطول البيزنطى بالرغم من قتالهم الشديد ضد الروم واستماتتهم في الدفاع عن أسطولهم . وانتهى الأمر بغلبة الروم على المسلمين وترك المسلمون مراكبهم لياخذها الروم ، ورجع من سلم منهم منهزمين إلى مدينة بلبرم وكان رد الفعل لدى المسلمين على هذه الهزيمة أن اخذوا يشنون غارات ثأرية على الروم المجاورين لهم لعدة شهور ، يفسدون زروعهم ويخربون أراضيهم ويغنمون منهم . (١)

ولاية الحسن بن العباس: (٢٦٢-٢٦٨هـ / ٨٨٠-٨٨١م)

ومما سبق ظهر للأمير الأغلبى إبراهيم بن أحمد ضعف الحسن بن رباح في قيادة جيش وأسطول صقلية فعهد في سنة ٢٦٢هـ / ٨٨١-٨٠م بولاية صقلية إلى الحسن بن العباس . الذى سير السرايا ضد الروم وبثها في نواحي صقلية ، كذلك خرج بنفسه إلى قطنانية فأفسد زرعها ، ومنها توجه إلى طبرمين فأفسد زرعها أيضا وقطع أشجارها . ومن هناك سار إلى " بقارة " ففعل بها كما فعل بسابقتها ، وعاد بعد ذلك إلى

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١٧-ابن الأثير : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٢٥.

بلرم، ولم تكن الغلبة دائماً للمسلمين ، فقد نجح الروم فـي هذه السنة في تسيير سرايا ضد المسلمين في عهد الحسن ابن العباس فأصابوا من المسلمين كثيراً . (١)

ويبدو أن المسلمين كانوا مازالوا متأثرين بمقتل خفاجة وولده محمد وأن حالة الإضطراب والقلق مازالت سائدة فـي صقلية بدليل انتهاء الروم هذه الفرصة وخروجهم في سرايا للقاء المسلمين وهزيمتهم ، ومثال على ذلك ما حدث سنة ٢٦٨هـ / ٨١- ٨٨٢م التالية عند ما نجح الروم في مواجهة سرية أرسلها الحسن بن العباس يتولى قيادتها رجل يعرف بابي الثور (ربما كان صاحب القلعة المعروفة بهذا الاسم) فكان نصيب المسلمين الهزيمة كما أصيب المسلمون كلهم غير سبعة نفر . (٢)

ولاية محمد بن الفضل : (٢٦٨-٢٧٠هـ / ٨٨١-٨٨٣م)

عزل الحسن بن العباس عن ولاية صقلية ووليها محمد ابن الفضل وكان ذلك بأمر من الأمير الأغلبى إبراهيم بن أحمد في سنة ٢٦٨هـ / ٨٨١م . (٣) وتعتبر فترة ولاية محمد بن الفضل

- (١) ابن الاثير: المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٣٦- ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١٧ (اكتفي بذكر ولاية الحسن بن العباس في سنة ٢٦٧هـ) وكذلك ابن الخطيب: المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ١١٦ .
- (٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٦ ص ٣٩ .
- (٣) ابن الاثير: نفس المصدر ، ونفس الصفحة - ابن عذارى المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١١٩- ابن الخطيب: المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ١١٧

عودة الى العهود القوية التي مرت على صقلية مثل عهد العباس
ابن الفضل ، وخفاجة بن سفيان ، فما كاد يتسلم أمور الولاية
حتى سارع بإرسال السرايا وبثها في منطقة الساحل الشرقي
الشمالى من صقلية تنشر الحرب والرعب في تلك البقاع وتعييد
هيبة الجيش الإسلامى فى قلوب الروم

وكذلك خرج هو في حشد عظيم من جنوده البواسل متجهاً
الى قطانيه فأهلك زرعها ، ثم توجه بعد ذلك بمراكبه الى الشلندنيات
التي كانت في ميناء المدينة فهزمها ودمر كثيراً منها وأكثر القتل
في بحارتها . ورحل بعد ذلك الى مدينة طبرمين شمالاً فأفسد
زرعها ، واثناء رحيله عنها تقابل مع عساكر الروم فقاتلهم وهزمهم
هزيمة منكرة وقتل منهم عدداً كبيراً ، فقد قيل أن عدد القتلى بلغ
ثلاثة آلاف رجل من الروم بعث بروءوسهم الى بلرم . (١)

وسار المسلمون بعد ذلك الى قلعة جديدة كان الروم
قد بنوها قريباً وسموها مدينة الملك ، فهاجموها عنوة وقتلوا
مقاتلتها من جند الروم ، وسبوا من فيها من نساء . (٢)

و حين جاءت السنة التالية ٢٦٩ هـ / ٨٨٢ م سار محمد بن
الفضل على رأس جند صقلية متجها ناحية رمطه ، فبلغ بعسكره

(١) ابن الاثير : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

(٢) ابن الاثير : نفس المصدر ، نفس الصفحة .

الى قطانيه فقتل وخرب نواحيها ، وسبى وغنم ثم انصرف
الى بلرم في ذى الحجة . (١)

ولاية الحسين بن أحمد (٢٧٠-٢٧١هـ / ٨٨٣-٨٨٤م)

ولا يوجد لدينا رواية تثبت كيف انتهت ولاية محمد بن الفضل
الا رواية واحدة عن ابن الخطيب إذ قال " ثم عزلة في ربيع الأول سنة
سبعين ومائتين (٢) " وهذا يعنى أن الامير الأغلبى إبراهيم
ابن أحمد عزله ، وأما خلفه ، وهو الحسين بن أحمد فنعرفه
من رواية ابن الاثير الذى يذكر بعد سرد ما قامت به سريسة
سنة ٢٧١هـ / ٨٤-٨٨٥م في منطقة رمطة من تخريب ، وبعد
عودتها بالغنائم والسبي ، ان امير صقلية الحسين بن أحمد
توفي (٣) ، وذلك من غير مقدمات عن عزل محمد بن الفضل
أو تولية الحسين بن أحمد . المهم أن الحسين بن أحمد تولى
صقلية سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م ، وهذا يجعلنا ننسب له عزوة سنة
٢٧١هـ / ٨٨٤م .

-
- (١) ابن الاثير : نفس المصدر ، ص ٥٠
(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١١٧
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٩

ولاية سواده بن محمد بن خفاجة : (٢٧١-٢٧٣هـ / ٨٨٤-٨٨٦م)

ثم تولى صقلية احد أفراد أسرة خفاجة بن سفيان وهو حفيده
سواده بن محمد بن خفاجة ، وذلك سنة ٢٧١هـ / ٨٨٤-٨٨٥م ، وهو
الذى سيعيد لنا سيرة والده وجده العطره في صقلية .

في بداية ولايته خرج بنفسه في عسكر كبير الى مدينة
قطانية فأهلك ما فيها . ثم توجه سواده بعد ذلك الى طبرمين
فقاتل أهلها وافسد زرعها ، وفي أثناء تقدمه فيها اضطر البطريق
قائد الحامية الرومية وحاكم المدينة ان يرسل رسولا من قبله يطلب
من سواده بن محمد هدنة وبعد المفاوضات بينهما كان اعطاءهم
الهدنة بشرط أن تكون لمدة ثلاثة أشهر في مقابل فداء ثلاثمائة
أسير من المسلمين يدفع بهم الروم الى سواده . عندئذ رجع
الى بلرم . (١)

وما أن انتهت فترة الهدنة أى الثلاثة اشهر في ربيع
سنة ٢٧٢هـ / ٨٨٥م حتى عاد سواده بن محمد يسيّر السرايا
الى أراضي الروم في الجزيرة تفسد وتخرب وترجع بالغنائم والسبي . (٢)

-
- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٥٩ .
(٢) سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ،
ص ٢٧١ .

مما سبق سرده من أحداث نجد أن اكثر اعتمادنا كان على كتاب ابن الاثير في جمع معلوماتنا عن فتوح المسلمين في صقلية . لكن للأسف نجد أن رواية ابن الأثير في هذا الصدد تأتي إلى سنة ٢٧٢هـ / ٨٥-٨٨٦ م وتنقطع ، ولا تعود لسرد بقيّة أحداث صقلية الا بعد خمس عشرة سنة أي في سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م وسوف نعتمد على ابن عذارى في تكملة هذا النقص من رواية الفتوح الإسلامية في صقلية .

عزل أهل بلرم سواده وارساله الى افريقية :

في سنة ٢٧٣هـ / ٨٦-٨٨٧ م رأى أهل بلرم أن سواده بن محمد ليس بالرجل الذى يصلح لإدارة صقلية حكماً وحرباً وخاصة بعد ما أنزله الروم في العام الذى مضى بأهالى مدينة سبرينه ومدينة منته في إيطاليا ، فأعلنوا خلع طاعته وقاموا بالقبض عليه وعلى أخيه وأهله وبعض رجاله وارسلوهم مكبلين بالأغلال إلى أفريقية . وفور إرساله اجتمع الأهالى في بلرم وولوا على أنفسهم بدلاً عنه أبا العباس ابن على . (١)

ولاية أحمد بن عمر بن عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب المعروف بحبشى

(٢٧٣-٢٨٧هـ / ٨٨٦-٩٠٠ م) ولم يوافق ابراهيم بن أحمد أمير أفريقية على إمارة أبى العباس ابن على الذى اختاره المسلمون في بلرم لأنّه -

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢ - ابن الخطيب

المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٧

- فيما يبدو - كان يريد واليا قويا يستطيع أن يضبط الأمور في صقلية ويقف أمام سرايا الروم المتكررة هناك . وقد وقع اختياره على واحد من بطانته وقرابته وهو أحد أحفاد ابراهيم بن الأغلب الكبير مؤسس دولة الأغالبة ، وهو أبو مالك احمد بن عمر بن عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب المعروف بحبشى . وكان من القواد المعروف عنهم الشجاعة والبطولة . وليس ثمة شك في أن سبب اختياره يرجع أيضا الى أن الأمير ابراهيم بن أحمد أراد الاعتماد على جاهه وفضلته ومكانته ليرجع الى المسلمين في صقلية ثقتهم في واليهم وليثبت لأهل صقلية مدى اهتمام القيروان بهم وبهذه الجزيرة ومن ثم كانت ولاية حبشى ولاية شرفية وأشبه بسفارة منها بإمارة ، وذلك لأن المعارك التي دارت في الجزيرة في سنة ٢٧٥هـ / ٨٨٨م لا يذكر ابن عذارى فيها اسم حبشى ، وربما يرجع ذلك الى أن هذه المعارك كانت بقيادة أحد رجاله ، أو لأنه كان يقيم بإفريقية ويرسل من ينيب عنه في إمارة الجزيرة وقيادة جيوشها الإسلامية . (١)

سودة بن محمد للمرة الثانية : ٢٧٦-٢٧٨هـ / ٨٨٩-٨٩١م

وفي سنة ٢٧٦هـ / ٨٨٩م توجهت سرية صائفه الى طبرمين ، ويذكر ابن عذارى أنها كانت بقيادة سودة بن محمد الذي قام بحصار المدينة (٢) . وهذه الرواية تعنى أنه ربما أعاد الأمير ابراهيم ابن أحمد أمير إفريقية سواده بن محمد لصقلية ليس واليا عليها

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٧٣

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٢١

وانما يعمل تحت إمرة حبشى أو نائبا عنه هناك .

محمد بن الفضل ايضا لثانى مرة : (٢٧٨-٢٨٧هـ / ٨٩١-٩٠٠م)

كذلك نجد أن محمد بن الفضل يعود واليا لصقلية للمرة الثانية وذلك في سنة ٢٧٨هـ / ٨٩١م (١) ، لكن يبدو أنه لم يصل صقلية إلا في السنة التالية . فحسب ما ذكرته الروايات التاريخية كان دخوله بلرم عاصمة المسلمين بصقلية في يوم ٢ من شهر صفر ٢٧٩هـ / ١٧ يناير ٨٩٢م (٢)

ويبدو أن الوضع في أفريقية كان مضطربا ، فقد كان الأغاليبة أمراء البلاد يعانون من الاضطرابات والقلق . أولاً بسبب انحياز بعض قبائل البربر الى ابي عبيد الله الشيعى داعى الفاطميين في بلاد المغرب ، وثانياً بسبب العداء بين العرب والبربر في أفريقية . وثالثاً بسبب الحرب بين الطولونيين والاغالية فيما بين سنتي ٢٦٧ ، ٢٨١هـ / ٨٨٠ ، ٨٩٤م . فكل هذه الأسباب أدت الى وقف الحملات التي كانت تخرج لاستكمال فتح صقلية . (٣) بل انه نتيجة لهذه العوامل التي تعرضت لها إمارة الأغالية في أفريقية وافق الأمير إبراهيم بن أحمد على أن

(١) نفس المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٢

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، أحمد

توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٩٣

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٨ - صابر

دياب : المرجع السابق ، ص ٨٩

يعقد أهل صقلية في سنة ٢٨٢هـ / ٨٩٥م صلحاً مع الروم وإن كانت شروطه ليست في صالح المسلمين ، وكانت شروطه ان يطلق الروم سراح ألف اسير مسلم في مقابل ان يقدم أهالي صقلية رهائنهم الى الروم ، ضماناً للوفاء في كل ثلاثة اشهر ثلاثة من العرب ، وثلاثة من البربر ، وأن يكون هذا الصلح لمدة أربعين شهراً . (١)

الفتنة بين العرب والبربر :

في سنة ٢٨٥هـ / ٨٩٨م اشتدت الاضطرابات في إفريقيا وكان لها تأثيرها على جزيرة صقلية التي قامت فيها فتنة بين عربها وبربرها . وكانت تصل للأمير إبراهيم بن أحمد أخبار هذه الفتنة عن طريق صاحب البريد الذي كان يعلمه بأسماء المتسببين فيها . وفي خلال ذلك وردت كتب من الأمير إبراهيم بن أحمد الى المسلمين في صقلية يدعوهم الى الرجوع لطاعته ، ويتعهد لهم بالأمان أجمعين ، إلا بعض زعماء الفتنة فلم يعطهم الأمان وطلب من المسؤولين في صقلية القبض عليهم ، وهو أبو الحسن يزيد وولديه ، والحضرمي (وهو زعيم عربي لا نعرف الا لقبه هذا) فألقى القبض عليهم . وأرسلوا الى أمير إفريقيا إبراهيم بن أحمد في نفس السنة . وعندما وصلوا الى حضرة الأمير تناول أبو الحسن سمّاً فمات لساعته ، ثم أمر الأمير بقتل ولديه ، كما قتل الحضرمي

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٩

ضرباً بالمقارع بين يديه . (١)

ولاية أبي العباس بن إبراهيم بن أحمد : (٢٨٧-٢٨٨ هـ / ٩٠٠-٩٠١ هـ / ١٠٩٠-١٠٩١ م)

ذكرنا فيما سبق أن الأمير إبراهيم بن أحمد أمير إفريقية كان قد استعمل على ولاية صقلية أبا مالك أحمد بن عمر الأغلبى المعروف بحبشى في الفترة المضطربة التى مضت ، وكان ذلك سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م وذكرنا أيضاً أن ولايته ربما كانت سفارة شرفيه لعدم ورود اسمه في المعارك التى كانت تدور في صقلية بين المسلمين والروم . أو ربما يكون قد عزل بعد فترة قصيرة من ولايته السابقة ثم عاد للولاية مرة أخرى إلا أنه سرعان ما صُرف عنها وولى الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبى ابنه أبا العباس الذى كان قائداً محنكاً وقام بإخماد فتن كثيرة من قبل في إفريقية . (٢)

وكان وصول أبي العباس إلى الجزيرة في غرة شعبان سنة ٢٨٧ هـ / ١ أغسطس ٩٠٠ م في مائة وعشرين مركباً وأربعين حربيّاً (أى السفن الحربية) (٣) . وقد وصل أبو العباس في وقت كانت الفتنة على أشدها ، فطرفا النزاع سواء العرب أو البربر كان كل منهما

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٣١ - أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٩٤ (وهو يذكر اسم الحضرمى هو "عبد الله الحضرمى" .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٦

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٧ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٠٣ - (يذكر وصوله في مائة وستين مركباً)

يقيم في مكان بعيد عن الآخر . فالعرب يقيمون في بلرم ، أما البربر فكانوا يقيمون في جرجنت ، وكان العرب في بلرم يهاجمون البربر في جرجنت ، وبخبرته في هذه الحروب ومعرفته بطروف الفتنة في الجزيرة توجه بأسطوله الى مدينة طرابنش (١) الرومية ونزل اليها وحاصرها . (٢)

وعند ما علم عسكر بلرم بوصول ابي العباس تركوا قتال البربر في جرجنت وعادوا الى بلرم ، وأرسلوا جماعة من شيوخهم ، رؤسهم قاضي المدينة يطاعتهم له واعتذارهم عن قصد هم جرجنت وقتالهم أهلها ، وبعد استماعه لهم سمح للقاضي بالعودة وحجز جماعة المشايخ عنده . (٣) ثم بعد ذلك وصل اليه جماعة من أهل جرجنت وشكوا له من أهل بلرم وأخبروه أنهم مخالفون عليه وأنهم سيروا مشايخهم خديعاً ومكرراً وأنهم لا إيمان لهم ولا عهد ، وطلبوا منه ليعلم صدق كلامهم أن يختبر صدق نواياهم (أى أهل بلرم) بأن يرسل في طلب بعض زعمائهم وحددوا له أسماءهم . (٤)

-
- (١) طرابنش : هي مدينة صغيرة الساحة ، غير كبيرة المساحة ، مرساها من احسن المراسي ، وأوفقها للمراكب بينها وبين تونس مسيرة يوم وليلة ، فالسفر منها واليها لا يتعطل شتاء ولا صيفا الا ريثما تهب الريح الموافقة فمجراها في ذلك مجرى المجاز القريب (ابن جبر: رحلة ابن جبر ، ص ٣٠٨)
- (٢) ابن الاثير: نفس المصدر ، نفس الصفحة - ابن خلدون : نفس المصدر : نفس الصفحة ، (وهو يذكرا اسم المدينة طرابه بدلا من طرابنش) .
- (٣) ابن عذارى : المصدر السابق / ١٣١ ، ص ١٣١ - ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٩٧ .
- (٤) ابن الاثير : نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة .

فما كان من أبي العباس إلا أن أرسل إلى بلرم ثمانية من مشايخ أهل إفريقية يطلبون حضور الأشخاص الذين عين أسماؤهم أهل جرجنت أمام الأمير أبي العباس. لكن أهل بلرم امتنعوا عن اجابة هذا الطلب ، وليس هذا فحسب ، بل قاموا بحبس المشايخ الافريقيين المرسلين لهم وذلك كما يقول ابن عذارى " مكافأة لفعله في مشيخهم " . (١)

هكذا أصبح خلاف أهل بلرم للأمير الأعلى جهاراً ، فجهزوا عسكريهم وحشدوا حشودهم وتوجهوا في منتصف شعبان / ١٦ أغسطس لمقاتلة أبي العباس في طرابنش وعلى رأسهم مسعود الباجي ، وركمويه وهو رجل تسميه رواية ابن الاثير (امير السفهاء) ، وبجانب هذا الجيش البري ، سير أهل بلرم إلى طرابنش اسطولا في البحر مكونا من نحو ثلاثين قطعه ، وذلك لتكون الحرب متكاملة برا وبحرا ولكن الله لم يرد لهم النصر والقتال ، فقد هاج البحر على أسطولهم ، فعطب أكثره ومن بقي عاد إلى بلرم . اما بالنسبة لجند أهل بلرم في البر فلقد وصلوا إلى أبي العباس فكان بينهم قتال شديد ، قتل فيه منهم عدد كبير لكنهم افترقوا ثم عادوا للقتال من جديد في يوم ٢٢ شعبان / ٢٢ أغسطس ، واستمر القتال إلى وقت العصر ، فكانت نهايته الهزيمة لأهل بلرم ، وتبعهم أبو العباس إلى بلرم براً وبحراً . (٢)

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٣١ - ابن الاثير :

نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة (إلا إنه يذكر أن أهل العباس اعتقل مشايخ أهل بلرم بعد أن علم برفضهم طلبه ، وأنه لم يعتقلهم سابقا بل كانوا أشبه بالضيوف عند م

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٩٧ - ابن

عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٣١

ولكن اهل بلرم لم ييأسوا بل استعدوا مرة أخرى . وعند ما سمعوا باقتراب ابي العباس من بلرم عادوا لقتاله وذلك فـي ١٠ رمضان / ٨ سبتمبر ٩٠٠ م . واستمر القتال بينهم من الصباح الباكر الى العصر ، فكانت الهزيمة من نصيب أهل بلرم ، الذين استمر القتل فيهم الى المغرب . (١)

وقد انتهت فتنة أهل بلرم بسيطرة ابي العباس عليها ودخوله المدينة واعطائه الأمان لأهلها في تعيين قواده على أرباضها في ٢٠ رمضان / ١٨ سبتمبر هذا وقد نهبت اموال المدينة كما هرب كثير من رجالها ونسائها الى طبرمين . أما بالنسبة لركمويه واصحابه من رجال الحرب فقد فروا الى بلاد النصرانية كالقسطنطينية وغيرها . ثم أخذ أبو العباس جماعة من وجوه أهل بلرم فوجههم الى أبيه بإفريقية . (٢)

- (١) ابن الاثير: المصدر السابق، ح ٦، ص ٩٧
(٢) ابن الاثير: نفس المصدر، ونفس الصفحة، ابن عذارى:
المصدر السابق، ح ١، ص ١٣١ - ابن خلدون: المصدر السابق، ح ٤، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ (وروايته عن هذه الفتنة مختصره اذ يقول " وانتقض عليه اهل بلرم واهل كبركيت - يقصد جرجنت - وكانت بينهم فتنة فاغراه كل واحد منهم بالآخرين ثم اجتمعوا لحربه وزحف اليه اهل بلرم في البحر فهزمهم ولستباحهم وبعث جماعة من وجوهها الى ابيه وفر آخرون من اعيانهم الى القسطنطينية وآخرون الى طرميس - اي طبرمين - فاتبعهم .)

غزو طبرمين وقطانيه :

ثم توجه أبو العباس بعد ذلك لمتابعة مسيرة الجهاد في صقلية بعد أن هدأت الأمور في بلرم ، فسار إلى طبرمين فقطع كرومها ، وقاتل الروم المقيمين بها ، ثم رحل إلى قطانيه جنوباً فحاصرها ولكنه لم ينل منها غرضاً فرجع إلى بلرم . (١)

ثم في سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠٠ م غزا أبو العباس دمنش ، وريو في الأرض الكبيرة ثم رجع بعد ذلك إلى مسينا وعند وصوله لها هدم سورها ، وفي هذه الأثناء اذابه يفاعاً بأسطول بيزنطى وصل لتوه من القسطنطينية قرب مسينا فهزمه واخذ منه ثلاثين مركباً . وعاد إلى بلرم ، ليقضى بها الشتاء (٢)

استدعاء أبي العباس إلى إفريقية وتولية عرش الأغلبة :

و مكث أبو العباس ببلرم إلى سنة تسع وثمانين فأتاه كتاب أبيه إبراهيم يأمره بالعودة إلى إفريقية سريعاً وامثل أبو العباس لطلب والده ، فرجع إلى إفريقية جريدة في خمس قطع من المراكب المسماة الشوانى ، وذلك بعد أن ترك قيادة جنده في يد ولديه

(١) ابن الاثير: المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٧ - ابن خلدون :

المصدر السابق : ج ٤ ، ص ٢٠٤

(٢) ابن الاثير: نفس المصدر السابق ، ص ٩٨ - ابن خلدون :

نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

أبي مضر (زيادة الله) وأبي معد . (١) وبذلك انتهت ولاية أبي العباس لصقلية والتي استمرت حوالي سنتين ، قضى فيها على الفتنة ، ونشر الأمن والأستقرار في نفوس الناس ، وأقر الامور بصقلية ، ومن ثم أعاد الجهاد في صقلية وإيطاليا كسابق عهده من العز والمجد والغزوات المتتابعة . وما إن وصل أبو العباس لإفريقية حتى استخلفه أبوه بها كنائب له على البلاد في حين قرر الأمير إبراهيم بن أحمد التوجه إلى صقلية مجاهداً لأنه كان ينوى الحج بعد الجهاد . وقد كان في إمكانه الحج عن طريق مصر ولكنه خشى أن يمنعه صاحبها ابن طولون فجري بينهما حرب فيقتل المسلمون لذلك آثر التوجه للحج عن طريق القسطنطينية مروراً بصقلية وبذلك يجمع بين الحج والجهاد ويفتح ماتبقى من حصون صقلية . (٢)

وقد ذكرت سابقاً أنه كانت قد أصابته نوبات هستيرية جنونية فقام بأعمال ظالمة ظلم فيها أهله وخدمه ويطانقه . (٣)

- (١) ابن الاثير: المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٨
- (٢) ابن الاثير: المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٥ (كان فتح القسطنطينية عن طريق البر أملاً يراود المسلمين بعد ان فشلت الحملات البحرية الثلاثة التي وجهها الأمويون لفتحها . ولقد راود هذا الأمل المسلمين في الأندلس بعد أن انساحت فتوحاتهم في بلاد غالة ، غير أن هزيمتهم في موقعة بلاط الشهداء قضت على هذا الأمل . وها هو ذا الأمل يعود في فتح القسطنطينية عن طريق البر بعد أن نجح الأغالبه في فتح صقلية ، وجنوب إيطاليا ، وليس ببعيد أن الأمير الأغلب إبراهيم بن أحمد أراد ان يتوج جهاد المسلمين في صقلية وفي جنوب إيطاليا بهذا الفتح الكبير فتح القسطنطينية .
- (٣) انظر قبل ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ ،

ولكنه في سنة ٢٨٩هـ / ٩٠١م أظهر التوبة والزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة ، فكان بعد ذلك أمره بإستدعاء ابنه أبي العباس من صقلية ثم قراره الجهاد فيها . (١) إلا أن ابن خلدون يذكر رواية أخرى كانت السبب في استخلافه ابنه والرحيل للجهاد فيقول " وجاء في هذه السنة رسول المعتضد بعزل الأمير إبراهيم لشكوى أهل تونس به فاستقدم ابنه أبا العباس من صقلية وارتحل هــ إليها . . " . (٢)

المهم أن الأمير إبراهيم بن أحمد أخذ يستعد للجهاد فأخرج جميع ماادخره من المال والسلاح . واستنفر الناس، ودعاهم إلى الجهاد ووزع الأموال الطائلة عليهم . وسار بعد ذلك إلى سوسة في مطلع سنة ٢٨٩هـ / ٩٠١ - ٩٠٢م فدخلها وعليه فرو مرقع في ذى الزهاد - وما إن اطمأن إلى تمام التجهيزات للحملة حتى سارع بالابحار من سوسة في أسطول ضخم متوجهاً إلى صقلية في آخر ربيع الآخر من نفس السنة . (٣)

جهاد إبراهيم بن أحمد في صقلية : (٢٨٩ - إلى ١٨ من ذى القعدة ٢٨٩هـ / ٩٠١ - ٢٥ أكتوبر ٩٠٢م)

وكان وصوله لصقلية ونزوله مدينة نرطونا (Neritinum)

-
- (١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٢ - ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٤
- (٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ - حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٨٩
- (٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٥ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠١ - سعد زغلول عبد الحيمد المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨١

في ٢٨ رجب سنة ٢٨٩ هـ فامتلكها ، وكانت السياسة التي أظهرها إبراهيم بن أحمد في صقلية تتسم بالعدل والإحسان للرعية (١) . وربما كان ذلك لكي يستفيد من أهالي صقلية في جهاده ، حتى قيل إنه فرق الخيل والسلاح على أصحابه وأمر بالعطاء ، فأعطى الفارس عشرين ديناراً والراجل عشرة . (٢) ثم توجه في البحر إلى طرابنش حيث أقام هناك محاصراً لها سبعة عشر يوماً أعطى أثناءها الأرزاق لمن معه . ثم سار بعد ذلك إلى بلرم فوصلها في ٢٧ شعبان ٨ / أغسطس وهناك بقي أربعة عشر يوماً وزع فيها الأرزاق على أهل بلرم وعلى من بها من الغزاة البحرين ، كما أمر برد المظالم . (٣)

فتح طبرمين وامتلاك المسلمين لها نهائياً :

ثم سار إبراهيم بن أحمد متوجهاً إلى طبرمين التي كانت غاية وهدف كل والٍ من ولاية صقلية أن يفتحها ويمتلكها . وما إن عرف أهالي طبرمين بغاية الأمير إبراهيم ، حتى استعدوا لقتاله . فما إن وصل الأمير الأغلبى لأسوار المدينة حتى خرج

(١) ابن الأثير: نفس المصدر السابق، ونفس الصفحة - ابن خلدون : المصدر السابق ، د٤ ، ص ٢٠٤ (إلا أنه يذكر أنه نزل مدينة طرابنشه وليس نرطنوا كما ذكر ابن الأثير ثم تحول عنها إلى بليرم) .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، د٢ ، ص ٢٨١

(٣) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة .

حماة طبرمين من الروم للقاءه . وهنا أخذ القراء يقرأون الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد لكي تحمس قواته وتتهيأهم للقتال فقرأ القارئ " **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا** " (١) فقال لهم الأمير أن يقرأ " **هَذَا أَنْ خَصِمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ** " (٢) . وما إن انتهى القارئ حتى دعا الأمير إبراهيم ربه فقال : اللهم إني اختصم أنا والكفار إليك في هذا اليوم . وعند انتهاء من الدعاء حمل ومعه أهل البصائر فهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاءوا وبلغ من شدة هجومهم الجند الاسلامي وتصميمهم على امتلاك هذه المدينة أن الروم لم يستطيعوا الإحتماء خلف أسوار المدينة . فبعد أن انهزموا وأخذوا يفرون من وجه المسلمين سارعوا بالانسحاب إلى داخل أبواب المدينة . ولكن المسلمين كانوا يدخلون خلفهم المدينة عنوة ، فما كان من بعض الروم إلا ركوب مراكبهم الموجهة في الميناء والهروب بها من المسلمين . والبعض الآخر لجأ إلى حصن المدينة ، فحاصروهم المسلمون "وقاتلوهم فأستنزلوهم قهراً وغنموا أموالهم وسبوا ذراريهم" ، وكان هذا الفتح العظيم في ٢٢ شعبان سنة ٢٨٩ هـ / ٢ أغسطس ٩٠٢ م . ثم أمر الأمير إبراهيم بن أحمد بقتل المقاتلة ، وبيع السبي والغنيمة . (٣)

وما كادت تصل أخبار سقوط طبرمين في يد المسلمين فـ

-
- (١) سورة الفتح : آية (١)
 (٢) سورة الحج : آية (١٩)
 (٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٦ - سعد زغلول
 عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨١-٢٨٢

صقلية إلى مسامع الامبراطور البيزنطى (ليو السادس) في القسطنطينية حتى تألم كثيراً لهذا الخبر المشئوم وأعلن الحداد وبقي سبعة أيام لا يلبس التاج وقال : لا يلبس التاج محزون (١) ثم عزم الروم على السير إلى صقلية ليمنعوا المسلمين من الاستيلاء عليها ، لكن بلغهم أن إبراهيم بن أحمد ما خرج إلا للحج والجهاد وسوف يسير للقسطنطينية (بعد إتمام فتح صقلية وإيطاليا) ومنها يتجه إلى مكة . من أجل ذلك احتاط الامبراطور البيزنطى ليو السادس للأمر فترك في القسطنطينية جنداً كثيراً ، وفى نفس الوقت سير جنداً كثيراً إلى صقلية . (٢)

مواصلة إبراهيم بن أحمد فتوحه :

وبعد هذا النصر العظيم الذى ناله الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبى في طبرمين اخذ بيث السرايا إلى مدن صقلية التى مازالت في يد الروم فوجد بعضها قد تركها أهلها ، وجلو عنها ، مثل قلعة ميقش (٣) التى أرسل لها جمعتها حفيدة زياد الله بن أبى العباس ، وكذلك دمنش (٤) فقد سير إليها ولده أبا الأغلب . والبعض الآخر من اصحاب القلاع عرضوا على جند الأمير إبراهيم الصلح معهم على دفع الجزية إلا أنهم لم يقبلوا منهم غير تسليم

(١) ابن الاثير : نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة ، احسان عباس

المرجع السابق ، ص ٣٩

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٦

(٣) متيقش (ميقش) حصن بصقلية منيع يقع قريباً من مسينا ويطبل

على البحر (السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى :

المرجع السابق ، ص ١١٨ هامش ٢)

(٤) دمنش : من مدن صقلية على البحر (ياقوت : المصدر

السابق ، م ٢ ، ص ٤٧٢)

القلاع فما كان من الروم سوى الإذعان فتسلمها المسلمون وهدموها (١)
مثال ذلك : مدينة رمطة التي كانت معقلاً من معاقل الروم
شرقي الجزيرة ، يقع جنوبي طبرمين (٢) ، فقد سير لها أبناه أبا محرز (٣)
ومدينة إلياج التي أرسل إليها سعدون الحلوى . (٤)

ولاية زيادة الله بن أبي العباس صقلية : (من ذى القعدة ٢٨٩ - إلى
٢٠ جمادى الآخرة من سنة ٢٩٠ هـ / ٢٥ أكتوبر ٩٠٢ -
٢٢ مايو ٩٠٣ م) .

ثم توجه الأمير إبراهيم بن أحمد لجنوب إيطاليا لتكملة
فتوحه ، ولكنه توفي هناك وهو يحاصر مدينة كسنته - كما سيأتي -
فيما بعد في الفقرة التالية عن فتوح الأغالبة في جنوب إيطاليا -
فحمل حفيده زيادة الله جسده وعاد به إلى بلرم حيث دفن هناك
وتولى هو من بعده ولاية صقلية . (٥)

لكن لم تمتد ولاية زيادة الله طويلاً لصقلية فلم تكد تبلغ
الستة أشهر حتى استدعاه والده أمير إفريقيه أبو العباس للقُدوم
إليه . ويذكر ابن الأثير أن سبب استدعائه أنه قد بلغ أبا العباس

-
- (١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ح ٦٦ ص ٦
(٢) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٩٧
(٣) السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، ح ٢ ص ٤٠٢ -
سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ص ٢٨٣ -
(يذكر أن الأمير إبراهيم أرسل لرمطه ابنه أبو مضر)
(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ص ٢٨٣
(٥) انظر فيما بعد فقرة فتوح الأغالبة في جنوب إيطاليا
ص ٤٩١ - .

أن ولده يعتكف على اللهو وادمان شرب الخمر. (١) إلا أن ابن عذارى يذكر سبباً آخر لذلك ربما يكون أقرب إلى الصحة إذ يقول إنه حثه " على القدوم عليه من صقلية ، لأنه وشى به إليه أنسه يريد الانتزاء عليه " (٢) وما إن قدم إليه في ٢٠ جمادى الآخرة سنة ٢٩٠ هـ / ٢٢ مايو ٩٠٣ م حتى " قبض أبو العباس على ما كان معه من الأموال والعدة ، وحبس زيادة الله في بيت داخل داره ، وحبس ناساً من أصحابه " . (٣)

ولاية محمد بن السرقوسي صقلية : (٢٩٤-٢٩٥ هـ / ٩٠٦ / ٩٠٧ م)

ثم عهد أبو العباس بولاية صقلية إلى القائد - الصقلي الأصل - محمد بن السرقوسي (٤) ، ويبدو أنه من أبناء المسلمين الأوائل الذين جاءوا لصقلية مجاهدين فاتحين ، وربما يعني هذا أن أمراء الأغالبة آثروا ترك جبهة صقلية لأهلها وذلك لما كان يسببه لهم الأمراء المبتعثين من إفريقيه لولاية صقلية من متاعب ، وخاصة أنهم في هذا الوقت في حاجة لتكريس جهودهم للتغلب على الدعوة الشيعية التي استفحل أمرها وأصبحت تشكل خطراً داهماً على الأغالبة في إفريقية . وقد حاول محمد بن السرقوسي

-
- (١) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٠٣
(٢) ابن عذارى: المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٤
(٣) ابن عذارى: نفس المصدر، ونفس الصفحة.
(٤) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٠٣

جمع كلمة المسلمين في صقلية وتهدة الأمور بها . ولم تذكر لنا المصادر شيئاً عن فتوحاته في صقلية أو في جنوب إيطاليا ، إذ كانت دولة الأغلبية في النزاع الأخير من حياتها .

وظل محمد بن السرقوسي والياً على صقلية إلى أن توفي سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٢م (١) أو سنة ٢٩٥هـ / ٩٠٧م على قول آخر ، بعد أن عزل من الولاية . (٢)

أثر الدعوة الشيعية في أوضاع صقلية :

كانت بداية الدعوة الشيعية في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد الذي كان ظهور الداعي لهذه الدعوة أبو عبد الله الشيعي (٣) في عهده

- (١) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٠٦
- (٢) سعد زغلول عيد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٥
- (٣) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي من أهل صنعاء باليمن ولذلك لقب الصنعاني ، وكان أبو عبد الله يعتنق أو لا مرعائد الاثنا عشرية ، كما كان يعرف بالمعلم لأنه كان يقوم بتعليم هذا المذهب قبل أن يعتنق مذهب الاسماعيلية كما كان يطلق عليها اسم الصوفي ، لأنه كان يلبس الرديّة الخشنة ومرقعات الصوف وسمى المحتسب لأنه كان ولي الحسبة في بعض أعمال بغداد ، فلما اتصل بمحمد الحبيب أبي عبد الله المهدي آنس فيه الكفاية والذكاء فوافده إلى بلاد اليمن سنة ٢٧٨هـ ، فاتصل بابن حوشب داعي دعاة الاسماعيلية في هذه البلاد وصار من كبار أصحابه ، ثم كان امر ارساله للدعوة في المغرب العربي لمزيد من المعلومات ارجع الى ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٢-١٩٣ - المقرئ : اتقاظ الحنفا ج ١ ، ص ٥٥ إلى ٥٨ - ابن أبي دينار - المؤنس في اخبار افريقيا وتونس ، ص ٥٤ - ابو الفداء - المختصر في اخبار البشر ج ١ ، ص ٦٥-٦٦ - عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، ص ٨٩ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٤٧ - محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٩٠

بأرض كتامة بافريقيه والذي كان يدعو إلى آل البيت - وقد وصلت الأخبار إلى الأمير الأغلبى بأن البربر أخذوا في الانضمام لدعوته لكنه في بداية الأمر استصغر أمره واحتقره . (١) وكان سبب تصغيره له أنه عندما سمع بخبره أرسل إلى عامله على ميله يسأله عن أمر الشيعة " فصغره عنده ، وذكر أنه يلبس الخشن ، ويأمر بالخير والعبادة ، فسكت عنه (٢) " . وكان أبو عبد الله الشيعة إلى جانب حسن قيادته للجيش وخوضه للمعارض والحروب عالماً أدبياً شاعراً وكان يحارب جيوش الأغلبة باسم عبيد الله المهدي الذي يعتبر صاحب هذه الدعوة وهو جد الخلفاء الفاطميين . (٣)

وقد ساعدت أحوال البلاد المضطربة أبا عبد الله الشيعة في نشر دعوته فقد تمتعت بلاد إفريقية على الأمير إبراهيم بن أحمد وخالفته ، وانتزت عليه بعضها ، فقد خالفه أهل تونس والجزيرة والأريس وباجه (٤) وقموده ، وأخذوا يولون على أنفسهم رجالاً من جندهم وذلك بسبب ما كان يرتكبه الأمير الأغلبى من ظلم لهم

(١) ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ٥٢ - ٥٤

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ص ١٠ ، ص ٥٧

(٣) ابن الأبار : المصدر السابق ، ص ١٠ ، ص ٩٤

(٤) باجه : بلد بافريقيه ، بينها وبين تنس يومان (ياقوت : المصدر السابق ، ص ٣١٤) .

ويذكر أبو الفداء عنها قوله " وباجه من إفريقيه مدينة كبيرة ولها بساتين قليلة ولها عيون ماء وهي مسورة حصينة في مستومن الأرض وهي عن البحر على نحو مسيرة يوم . . . وبين باجه والقيروان خمس مراحل " أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٤١

لهم حتى صارت البلاد الإفريقية ناراً موقده على الأمير ، ولم يبق من أعمالها الا الساحل والشرق الى اطرابلس ، وكان الأمير يقيم في رقادته (١) فاغلق ابوابها الحديد عليه ، وجمع حوله من يثق بهم ، وجعل لحمايته جنوداً من السودان بلغ عددهم حوالي خمسة الاف جندي . (٢)

ولما دخلت قبائل كثيرة في دعوة ابي عبد الله الشيعي شكل لهم ديوانا ، وأمرهم أن يصبحوا جنوداً لديه يعملون على نصرته ونصره دعوته وطالبهم بالطاعة للإمام المعصوم من آل البيت . (٣)

واستمر الحال في ازدياد قوة وانصار ابي عبد الله الشيعي في الوقت الذي اخذت فيه دولة الاغلبية في الضعف ولم يدخر

- (١) رقادته : بلده كانت بإفريقية بينها وبين القيروان اربعة ايام واكثرها بساتين ، ولم يكن بإفريقية اطيّب هواء ولا اعدل نسيماً وارق تربه منها . . والمعروف ان الذي بنى رقادته ابراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة ٢٦٣هـ / ٨٧٦م في جنوب القيروان ، وانتقل اليها من مدينة القصر القديم فلم تزل بعد ذلك دار ملك لبني الأغلب الى ان هرب عنها زيادة الله من ابي عبد الله الشيعي (ياقوت الحموي : المصدر السابق ٣م ، ص ٥٥ ، ٥٦ - عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، ص ٩٠) .
- (٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٨
- (٣) المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

الأمير إبراهيم بن أحمد وسعا في القضاء على دعوة أبي عبد الله الشيعي ، فقد حاول جذبته واستمالته إليه في بادئ الأمر ، فأرسل إليه رسالة يعبده ويتوعده فيها ، لكن أبا عبد الله الشيعي لم يستجب له ، ورد على رسالة الأمير الأعلى برسالة دل فيها على جرأته وتصغيره وتحقيره لشأن الأغلبية ، كما كشف له في هذه الرسالة عن حقيقة ، وأنه صاحب دعوة لا يثنيه عنها إغراء أو ترهيب. (١) فما كان من الأمير إبراهيم بن أحمد سوى اللجوء إلى الحل الثاني وهو محاربة أبي عبد الله الشيعي للقضاء عليه ، فأرسل له حملة في سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م انتهت بالإخفاق ، ثم أرسل له حملة أخرى كان مصيرها كسابقها الهزيمة . (٢)

وفي سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م لم يكتفى أبو عبد الله الشيعي بنشر الدعوة الفاطمية بإفريقية ، بل أخذ يعمل على بسط نفوذها بها ، ف وقعت في يده عدة مدن (٣) . من أجل ذلك وفي نفس هذه السنة بعد أن أعلن الأمير إبراهيم بن أحمد التوبة والتوجه لصقلية للجهاد أرسل حملة بقيادة ابنه الاحول عدتها اثنا عشر الفا واتبعهم بمثلهم لقتال أبي عبد الله الشيعي ، فالتقى به وهزمه وقتل من رجاله الكثير ، فانسحب أبو عبد الله الشيعي

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٠

(٢) حسن إبراهيم حسن : التاريخ السياسي ، ج ٣ ، ص ١٩٨

(٣) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٢١

الى جبل ايكجان . أما الاحوال فوصل الى مدينة تاصروت فأحرقها هي ومدينة ميله (١) . ثم توغل الاحول في بلاد كتامه فعسكر بها وأرسل سرية تتجسس أخبار أبي عبد الله الشيعي فقابلتها طائفه من اصحابه فهزموهم واتبعوهم الى معسكر الاحول فاضطرب واحفل وفر من بلاد كتامة عائدا الى القيروان . (٢)

وبعد أن تولى ابو العباس عرش الاغالبة سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م بعد وفاة ابيه غازيا في صقلية وجنوب ايطاليا جهز جيشا كبيرا جعل على رأسه اخاه الاحول وأرسله للقاء أبي عبد الله الشيعي وقتاله . فلما بلغ أبا عبد الله الشيعي نبأ هذه الحملة خرج اليها بجيش كبير وتقابل الجيشان عند كموشه وقتل من الفريقين جند كثير وانهزم الاحول ، ولكنه اقام في مقابلة أبي عبد الله الشيعي يادفعه ويمنعه من التقدم . (٣) ثم كان مقتل الامير أبي العباس يوم الأربعاء آخر شعبان سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م بعد سنة واحدة واثنين وخمسين يوماً من توليته الإمارة . وقد قتلته ثلاثة من خدمه الصقاليه وهو نائم ، وذلك ليتولى ابنه زيادة الله عرش الأغالبة ويكون لهم الحظوة عنده ، وأتوا برأسه لابن زيادة الله الذي كان محبوبا بأمر أبيه ابي العباس ، فلما تولى

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٣٣ (وهو يذكر اسم ابو خوال بدل الاحول) - المقرئ : المصدر السابق ح ١ ص ٥٨ ، ومدينه ميله باقضى افريقيه ، بينها وبين بجايه ثلاثة ايام ، وبينها وبين قسطنطينه يوم واحد (ياقوت : المصدر السابق ، ح ٥ ، ص ٢٢٤) .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٣٤ - ٣٥

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ١٠٣ - ابن خلدون

نفس المصدر السابق ، ص ٣٤

الحكم أمر بقتلهم . (١)

ومنذ بداية حكمه انعكف الامير زيادة الله على الملذات والشهوات وملازمة الندماء والمضحكين واهمل امور المملكة وأحوال الرعية . (٢) كما ارسل كتاباً يستدعي به عنه الا حول بلسان أبيه ويحثه على السرعة اليه ، وعند ما قدم عليه الا حول الذي لم يكن على علم بمقتل أخيه أبي العباس أمر زيادة الله بقتله (٣) ، كما قتل بعض اعمامه واخوته . (٤)

وفي أيام اشتد خطر أبي عبد الله الشيعي وقويت شوكته وعظم امره بعد أن كان الا حول يقف في وجه تقدمه فبعد قتل الا حول لم يجد ابو عبد الله الشيعي ما يعيق تقدمه فأخذ يسيطر على المدن شيئاً فشيئاً . ففتح مجانه عنوة وقتل عاملها ، ثم فتح بعض المدن الاخرى بالامان ، فأخذ تيفاش (٥) ومسكيانه وتبه (٦) وكذلك القصرين من قمودة . وقد سار اليه ابراهيم بن الاغلب - وهو من بني عم الامير زيادة الله - مرسلًا من قبل

(١) ابن الاثير: المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ١٠٣ - ابن البار: المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٧٥ - ابن أبي دينار : المصدر السابق ص ٥٣ .

(٢) ابن الاثير: نفس المصدر السابق ، ص ١٢٣ - محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق ، ص ٢١ - حسن ابراهيم حسن تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٠

(٣) ابن الاثير: المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ١٢٣ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٣٤ (وقد ذكر اسم ابا خوال بدلا من الا حول) - المقرئزي : المصدر السابق ح ١ ، ص ٩٥

(٤) ابن الاثير: نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٥) تيفاش : مدينة ازلها بافريقيه ، شامخه البناء وتسمى تيفاشي الظالمه ، ذات عيون ومزارع كثيرة ، وهي في سفح الجبل . (ياقوت : المصدر السابق ، ص ٢٤ ، ٦٦ - ٦٧) ويذكر المقرئزي انها على ست مراحل من بجاية (المقرئزي : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٦٢)

(٥) تبسه : بلد مشهورة من ارض افريقيه ، بينه وبين قفصه ست مراحل وهو بلد قديم به اثار الملوك وقد خربا لان اكثرها (ياقوت : المصدر السابق ، ص ٢٤ ، ١٣ - المقرئزي : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٦٢)

زيادة الله لقتال أبي عبد الله الشيعي في جيش قوامه اربعون الفا وكانت هذه آخر حمله سيرها الامير زيادة الله لقتال ابي عبد الله الشيعي . غير ان هذه الحملة الضخمة كان مصيرها ايضا الهزيمة على يد أبي عبد الله الشيعي ومقتل الكثيرين من أفرادها ثم انسحاب ابراهيم بن الاغلب الى القيروان وابو عبد الله الشيعي يلاحقه الى ان دخل الأربس فقتل بها خلقا كثيرا ، ثم انصرف الى قموده . وعندما علم الأمير زيادة الله بخبر انتصار أبي عبد الله الشيعي وهزيمة ابراهيم بن الاغلب فر الى الديار المصرية وذلك في خلافة الخليفة العباسي المقتدر بن جعفر بن المعتضد فكانت ولايته ست سنين الاشهرين واياما . وبعدها استطاع أبو عبد الله الشيعي السيطرة على جميع مدن افريقية ودخل رقاده وسلموا له أهل القيروان مدّ يدهم وهنأوه بالفتح وكان ذلك في يوم السبت مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين . وهكذا انتهت دولة بني الاغلب على يد أبي عبد الله الشيعي ولم يبق بافريقيه من بني الاغلب أحد ، وكانت مدة ملكهم مائة واثنى عشرة سنة . (١)

أحوال صقلية في أواخر عهد الاغالبة :-

نتيجة للاضطرابات التي كانت تعيشها أفريقية ، وإنشغال الأغالبة في محاربة أبي عبد الله الشيعي ، لم تذكر المصادر

(١) ابن الاثير: المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٢٤-١٣٥- ان ابي دينار المصدر السابق ، ص ٥٣-٥٤- المقرئ: المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٢-٦٣-٦٤- ابن الأبار: المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٥ ، ١٧٦- ابن خلكان: المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٣-١٩٤

التاريخية شيئا عن احداث صقلية طوال عهد الأمير زيادة الله الثالث
آخر أمراء الأغالية ، اللهم إلا إشارة واحدة في سنة ٢٩٤هـ / ٩٠٦-٩٠٧م
عن عودة السفارة التي كان قد أرسلها إلى بلد الروم ، ومعها رسول
صاحب القسطنطينية الامبراطور ليو السادس ، والتي ربما كان هدفها
اقرار الهدنة بين الطرفين : (١)

ويذكر احمد توفيق المدني انه بعد وفاة محمد بن السرقوسي
سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٢م ولي أهل صقلية على انفسهم شخصا يدعى على
ابن محمد ليكمل مابدأه السرقوسي من تهدئة الوضع في جزيرتهم
وارسلوا للأمير زيادة الله الثالث بأفريقيه بهذا الأمر. غير أن الأمير
زياد الله لم يوافق على تولية على بن محمد ، وولى عليهم من
قبله احمد بن ابي الحسين بن رباح ، فانصاعوا لامره . (٢)

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٥

(٢) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٠٦

بداية سلطان الفاطميين في صقلية :

وكانت مدة ولاية احمد بن ابي الحسين بن رباح لصقلية قصيرة لم تتعد السنة الواحدة . فما أن سمع اهاالي صقلية بانتصار أبي عبد الله الشيعي على الأمير زيادة الله الثالث وامتلاكه افريقيه وفرار الامير الأغلبى الى مصر في سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م حتى ثاروا على الوالى وقبضوا عليه واخذوا امواله وجسوه . ثم قاموا باختيار على بن ابي الفوارس واليا عليهم في ١٠ رجب سنة ٢٩٦ هـ / ١٥ ابريل ٩٠٩ م وأرسلوا باحمد بن ابي الحسين ابن رباح الى أبي عبد الله الشيعي ، وطلبوا منه أن ييقى على بن ابي الفوارس واليا عليهم قلبى طلبهم ، وطلب منه مواصلة الجهاد براً وبحراً ، وبذل لك أصبح على بن أبي الفوارس أول والٍ على صقلية من قبل الفاطميين . (١)

وهكذا زالت دولة الأغالبة من أفريقية وصقلية ، والى أمضت حوالى ٨٤ سنة كان فيها أمراء الأغالبة لا ينفكون عن الجهاد في صقلية وفي جنوب ايطاليا ، حتى دانت لهم صقلية بأكملها وجنوب ايطاليا وبعض جزر البحر الابيض المتوسط . مثل مالطه وقوصره ولبند وشه ونموشه . (٢) وكان المحدث الحقيقى لأغالبه هو دخول معظم أهالى هذه المناطق في الإسلام بعد أن تذوقوا حلاوة تحرير الدين الإسلامى لهم من ظلم أمراء بيزنطة الاقطاعيين ، وجور الكنيسة الكاثوليكية بروما ، فانتشر الأمن والاستقرار في ربوع هذه المناطق وانتشرت الحضارة الإسلامية بها .

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٢٨٥-٢٨٦

(٢) انظر الفصل الثالث ، الفقرة الاولى ، فتح جزيرة قوصرة ، والفقرة الرابعة ، فتح جزيرة مالطه ، فتح جزيرة لبند وشه ونموشه ومحاولات فتح جزيرة سردانية .

٣- فتوح الأغالبة في جنوب إيطاليا :

صقلية نقطة وثوب على إيطاليا :

لم تسلم شبه جزيرة إيطاليا من غزوات المسلمين إليها ، فقد بدأت هذه الغزوات عندما اشتدت موجة الفتوحات القادمة من الأغالبة بافريقيه على جزيرة صقلية ، واتخذ المسلمون صقلية نقطة وثوب إليها وقاعدة بحرية للحملة البحرية الموجهة إليها . (١)

وقد استفاد المسلمون من أحوال إيطاليا الداخلية المضطربة في فتوحاتهم . كما لم تستطع بيزنطة أن تفعل شيئاً أمام هجمات المسلمين على جنوب إيطاليا وذلك لأن سيادة بيزنطة على إيطاليا كانت قد انتهت نهاية سيئة نتيجة للجهود التي بذلها كثير من حكام بيزنطة لغرض مذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح ثم المذهب اللايقوني على الشعب الإيطالي والبابويه المتمنع طوال القرن الثامن الميلادي الثاني الهجري مما أدى الى ضياع سيادة بيزنطة هناك (٢) هذا فضلاً عن مشكلات بيزنطة الداخلية بسبب الصراع والتنافس على العرش ، كما كانت الدولة البيزنطية في ذلك الوقت تتعرض للهجوم عليها من جهة الشرق من قبل الخلافة العباسية في منطقة الثغور ، وفي البلقان كانت تتعرض لخطر خارجي آخر يتمثل في غارات البلغار على أراضيها . ونتيجة لعدم قدرة بيزنطة على مواجهة غارات المسلمين على جنوب إيطاليا اتجهت البابويه الى الفرنجة لحمايتها .

وكان معظم جنوب إيطاليا خاضعاً لأمرأ بنيقانت اللوجارديمين

(١) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٥٩

(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٠٩

الذين تُعرف إمارتهم في الكتب العربية باسم المملكة اللنبرديه أو النوبرديه أو الأنبرديه .

كما كانت هناك جمهوريات ايطاليه صغيره مجاوره لإماره بنيفانت وهى : نابلى ، وجاثيا سورنيتو واملفى وسالرنو وكاپوا ، وهنذه كلها كانت تتبع الامبراطوريه البيزنطيه إسمياً ويسودها النظام الاقطاعي . وقد عملت هذه الجمهوريات على الوقوف في وجه أمراء اللومبارد والحيلولة دون توسع أمراء بينفانت . (١)

بداية ظهور الأغالبه في إيطاليا :

وكانت عندما قام نزاع بين دوقية نابلى ودوقية بينفانت اللومبارديه وهو النزاع الذي كانت نهايته عقد هدنقبين الدوقيتين في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م أرغت فيها نابلى على دفع جزية سنويه للدوق سيكار اللومباردي ولم يقبل اهالى المدينة توقيع الهدنة إلا مكرهين خائفين ، ان لـــــــم يجدوا امامهم غير امراطور الفرنج لويس التقي الذي استغاثوا به ، ولكنه لم يستجب لاستغاثتهم المتكررة به ضد اللومبارد . عندئذ لم يجد اندريه دوق نابلى امامه سوى الاستنجاد بمسلمي صقلية لرفع الحصار اللومباردي الذي كان مفروضا على نابلى ، فلبوا نداءه وسارعوا لنجدته وارغام سيكار على الانسحاب وعلى عقد صلح جديد اطلق بمقتضاه سراح اسرى نابلى سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م . (٢)

-
- (١) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ص ١٥٩ - ١٦٠
(٢) محمود اسماعيل عبدالرازق : الاغالبه وسياستهم الخارجيه ، ص ٢١٦ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ص ١٦٠ - احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٥ - ١٤٦ - ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

وبذلك بدأ التحالف بين نابلي والأغلبية ، ذلك التحالف الذي أكد الصلات التجارية القديمة التي كانت بين أهالي هذه المدينة ومسلمي شمال أفريقيا . (١)

والدليل على قيام هذا التحالف العثوري على عمله ذهبية تحمل اسم الدوق أندريه محاطة بحروف وزخارف ونقوش عربية . (٢) وقد تم هذا التحالف بالرغم من اعتراضات بيزنطة على تلك العلاقات في ذلك الوقت والمهم ان هذا التحالف كان ذا فائدة عظيمة وقيمة جليلة بالنسبة للمسلمين لأنه ساعد على إضعاف قوة الأسطول البيزنطي في مياه البحر التيراني في اللحظة الحاسمة التي كانت بيزنطة في حاجة الى نابلي بجانبها . (٣)

أما من جهة الهجوم الاسلامي على جنوب إيطاليا وإستلائهم على مدن منها . فقد كانت بدايته في عام ١٩٢ هـ / ٨١٢ م فـي عهد أبي العباس عبد الله الأول (١٩٦ هـ - ٢٠١ هـ / ٨١١ - ٨١٦ م) عندما هاجم الأسطول الأغلبى - القادم من افريقيه - لامبدوزا ، وبوتزا ، وايشيا على الشواطى الإيطالية ، واحتفظوا بها لمدة ثلاثين سنة . (٤)

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة - ارشيبالد لويس : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة .

(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٦ ، هامش ٣

(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٣

(٤) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦١

وفي سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٣٨م هاجم المسلمون برند يزي واستولوا عليها ، ويقال ان المهاجمين كانوا من مسلمي شمال إفريقيا أو من مسلمي كريت وربما منهما معا .

وقد قام اسطول من البندقية مكون من ستين قطعه حربية للدفاع عن ذلك الاقليم ولكنه عانى احوالاً شداً قرب كروتوني على خليج طارنت حيث حطمه الاسطول الاسلامي تماماً ، واستولى المسلمون على برند يزي التي استمرت سيادتهم عليها حتى عام ١٢٥٤هـ / ١٨٦٨م أي نحو ثلاثين سنة . (١)

وكان هناك هجوم من مسلمي صقلية على برند يزي قبل هذا في عام ١٢٢٢هـ / ١٨٣٦م ، ولكنه كان عبارة عن غزوة استطلاعية فقط ، فلم يطل مكوث المسلمين بها بسبب سماعهم أخبار اعداد حملة عظيمة لمواجهةهم فقاموا بإحراقها وعادوا الى بلرم . (٢)

(١) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ص ١٦١ - ارشيباليس لويس : المرجع السابق ص ٢١٤ - محمد كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ، ص ١٥٦ ، فرانسيسكو غابرييلي : الاسلام في عالم البحر المتوسط ، الفصل الثاني من كتاب تراث الاسلام القسم الاول تصنيف شاخنت وبوزورث ، ترجمة محمد زهير السمهوري تعليق وتحقيق شاكر مصطفى ، ضمن سلسلة كتب عالم المعرفة هاشم ص ١٢٣

(٢) محمود اسماعيل عبدالرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٧ (لكنه يذكر تاريخ هذه الغزوة في سنة ١٢٢٥هـ / ١٨٣٩م) - احمد توفيق المدني - المرجع السابق ، ص ١٤٦ (وهو يذكر الغزوة في سنة ١٨٣٨م) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ص ١٦١ .

وفي سنة ٢٢٥هـ / ٨٣٩م مات امير بينفانت الدوق سيكار دوس اللومبردى فانقسمت مملكة لمبارد الى امارتين متصارعتين هما بينفانت وسالرن (١) .
 وادت هذه الاحوال المضطربة بجنوب ايطاليا الى تشجيع الاغالبه بصقليّة على مهاجمة جنوب ايطاليا ثانية ، فهاجم المسلمون في تلك السنه شبّه جزيرة كلابريا - وهى التى أطلق عليها المسلمون اسلم قلوريه - فخرّبوا مدينة كايواثاء غزوة سريعة خاطفة . (٢) تقابل فيها الأسطول الإسلامى الصقلي مع الأسطول البيزنطى فهزّمه بعد قتال شديد ، وعاد الأسطول البيزنطى الى القسطنطينيه مهزومًا وكان فتحاً عظيماً للمسلمين . (٣)

كذلك احتل المسلمون في نفس السنة طارنت - وهى قاعدة بحريّة هامّة على مدخل البحر الادريانى (٤) ، لكن في سنة ٢٢٨ أو ٢٢٩هـ / ٨٤٢ أو ٨٤٣م تولى مسلمو كريت حكم طارنت ، وقد امتد حكمهم لها هوالى ٤٩ سنة . (٥)

-
- (١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٧
 (٢) ابراهيم على طرخان : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة - محمود عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة .
 (٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، هـ ٥ ، ص ٢٥٣ - ابن خلدون : المصدر السابق ، هـ ٤ ، ص ٢٠٠ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ص ١٦٢ .
 (٤) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٢ - محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٧
 (٥) ابراهيم على طرخان : نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة - ارشيبالد لويس : المرجع السابق ص ٢١٥ ، (يذكر ان مسلمى كريت هم الذين استولوا عليها) فرانشييسكو غابرييلى : الاسلام في عالم البحر المتوسط ، الفصل الثانى من كتاب تراث الاسلام ، القسم الأول . ص ١١٦ - هامش ص ١٢٣ .

واستمرت غزوات وسرايا المسلمين لقلوريا حتى سنة ٢٧٥هـ / ٨٨٨م التي انتصر فيها المسلمون على الأسطول البيزنطي ، بعد وفاة الإمبراطور باسيل الأول المقدوني (ت ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م) . (١)

ففي سنة ٢٢٦هـ / ٨٤٠م ارسل الإمبراطور ثيوفيلوس رسله إلى البندقية يدعوها ويحثه لتحرير طارنت ، فتقدم أسطول البندقيي نحوها ، غير أن سفن الأسطول الأغلب استطاعت اغراقه . (٢)

وأعقب ذلك قيام مسلمي صقلية بعدة غارات بحرية إنتقاماً لحملات البنادقة السابقة ، فاتجهوا بأسطولهم إلى الجزء الشمالي من بحر الادرياتيك ، واغاروا على شواطئ دلماسيا في نفس تلك السنة فنهبوا واحرقوا مدينة اوسيرو في جزيرة خرسو (كرسو) ثم اجتازوا البحر فنهبوا وأسروا أناسا من أنكونه (انكونا) (٣) . وظلوا يواصلون زحفهم حتى وصلوا إلى مصب نهر ألبو ، فاغاروا على مدينة باري (باره) ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها . (٤) واثناء عودتهم إلى صقلية استولوا على عدد من السفن التجارية البندقية العائدة من صقلية . (٥)

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ - ابراهيم على طرخان : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .

(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٨ - عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ص ١٠٢ (وهو يذكّر أن أسطول البنادقة كان مؤلفا من ستين سفينة) .

(٣) محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ١ ، ص ٢٧٦ ، علي حسني الخربوطلي : المرجع السابق ، ص ٥٨ - ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢١٥ ، محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٨

(٤) ابن الاثير: المصدر السابق ، ص ٥٥ ، ص ٢٦٣ - محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٨

(٥) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ٢١٥ - محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ١ ، ص ٢٧٦

وقد عادوا الكرة من جديد في العام التالي ٢٢٧هـ / ٨٤١م، فاتجهوا الى شمال البحر الادريانى وغزوا خليج كوارنيرو (Quarnero) واستطاعوا احراز نصر حاسم على أسطول بحرى للبندقية عند جزيرة سان سيجو . (١)

امارة بارى :-

وعندما اشتد الصراع الذى نشب في امارة بينفانت اللومباردييه عام ٢٢٥هـ / ٨٣٩م بين الأميرين الحاكمين لهذه الإمارة بعدد انقسامها لم يكن امام هذين الأميرين المتنافسين على السلطة سوى الاستعانة بجند المسلمين كل منهما ضد خصمه ، فاتجه الأمير رادلشيس (رادلكيس) امير بينفانت الى مسلمى افريقيه وصقليه للاستعانة بهما ضد خصمة الامير سيكونولف امير سالرن الذى استعان بمسلمى الاندلس المقيمين بجزيرة كريت ضد خصمة .

وكان ذلك فرصة سانحة للمسلمين للتدخل مرة اخرى في سياسة البلاد الإيطالية ، فأرسل أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله والى صقلية فرقة من الجند الإسلامى اشتركت مع جند نابلى في محاربة امير سالرن ،

(١) ارشيبالد لويس : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة - محمد كرد على : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة - محمود اسماعيل عبدالرازق : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة .

وكان النصر حليف جند الأغلبية الذين استطاعوا الاستيلاء على مدينة
بارى والأراضي المحيطة بها . (١)

إلا أن ابن الأثير يذكر في روايته أن المسلمين لم يستطيعوا
أن يفتحوا مدينة بارى سنة ٢٢٦هـ / ٨٤٠م ، وإنما كان فتحهم
على يد خلفون البربري في عهد الخليفة العباس المتوكل (٢٣٢-٢٤٧ /
٨٤٦ - ٨٦١م) (٢) وقد نجح المسلمون في احتلال بنيفانت نفسها
لمدة خمس سنوات (٢٢٨ - ٢٣٣هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧م) (٣)

ويذكر أحمد توفيق المدني عن كتاب (غارات الهمج) للمؤرخ
الكبير فردينان لوط قوله " كذلك كان كونت مدينة بارى الأمير
باند وقد فتح لهم (أي لمسلمي الأغاليه) أبواب مدينته ، ولم يكن
النجاح حليف المسلمين في نصره هذا الأمير (أي أمير بينفانت
فقد انهزموا ورجعوا لمدينة بارى فتمكنوا من اكافها واصبحت لهم
طيلة ثلاثين سنة مركزاً منيعاً يباشرون منه أعمالهم وغاراتهم ، ولقد
اضطر رادشيس أمير بينفانت أن يفتح أبواب عاصمته بينفانت في وجه
حلفائه الاشاوس وكان المسيطر الحقيقي على تلك الامارة هاتيك

-
- (١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٥ - أحمد توفيق
المدني - المرجع السابق ، ص ٧١ - ابراهيم علي طرخان -
المرجع السابق ، ص ١٦٢
(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٥ ، ص ٢٦٣
(٣) ابراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

الآوقات هو زعيم المسلمين بمصر وذلك ابتداءً من سنة ٢٢٨هـ / ٨٤٢م^(١)

وتعتبر بارى ميناءً هاماً على مدخل الأديان وتتحكم فيه كغيرها من الموانئ الجنوبية ، من أجل ذلك اتخذها المسلمون قاعدة لغزو البلاد المتاخمة ، ومن أشهر قوادها المسلمين المفرج ابن سلام . (٢)

هذا ويذكر ابن الأثير أن المفرج بن سلام أتى بعد خلفه البربري " وأنه قد فتح أربعة وعشرين حصناً واستولى عليها فكتب إلى والي مصر يعلمه خبره وأنه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة إلا بأن يعقد له الإمام (أي الخليفة العباسي) على ناحيته ويوليه إياها ليخرج من حد المتغلبين وبنى مسجداً جامعاً^(٣) وهو يعني بكلامه هذا أنه يريد أن يتبع الخلافة العباسية في بغداد ولا يريد تبعيته بنى الأغلب بأفريقيه . (٤)

وقد امتد نفوذه على أشهر بلاد أيوليا ، ولكن لم يمهلهم القدر ليهنأ بولايته فقد قتل على يد أصحاب لهينافسون على الحكم . وخلفه شخص يسمى سوران ، فبعث إلى الخليفة العباسي المتوكل

-
- (١) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٦
(٢) إبراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٣
(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٦٣ ، ويذكر نفس الرواية البلاذري : فتوح البلدان ، القسم ١ ، ص ٢٧٧
(٤) أرشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٥

ليعتقد له على ولايته باري ولكنه مات قبل ان يبرح رسوله الى الشرق . (١)

ويذكر محمد كرد علي انه " لعل هذا الفاتح (يقصد المفرج ابن سلام) كان من اهل اقريطش (كريت) لاصله له مع الأغالبه في أفريقية ، فعمد الى الخلافة العباسية في بغداد يراجعها مباشرة لتصبح ولايته " . (٢)

وقد اشتهر حاكم باري (باره) المسلم بالتسامح الديني فيذكر ارشيبالد لويس انه كان يساعد حجاج الغرب ، وهم فسي طريقهم الى فلسطين ، ولم يقف عند حد تيسير حصولهم على السفن فحسب وإنما اعطاهم جوازات خاصة تيسر لهم الامور في مصر . (٣)

واستمر حكام باري (باره) المسلمين في ارسال سراياهم للإغارة على جنوب ايطاليا ، حتى وصلت غاراتهم الى جنوبي نابلي وسالرن (٤) ، الى أن جاء الامبراطور لويس الثاني فنزل ايطاليا وفتح بها سنة ٢٥٧هـ / ٨٧٠م مدينة باري كما سيأتي فيما بعد .

وقد لمس رجال هذه الامارة ما للمسلمين من قيمة في ميدان العلم والعمران ، علاوة عما كان لهم من شهرة في ميدان الحرب

-
- (١) البلاذري : المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ٢٧٧ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٣
(٢) محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٢٧٧
(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٧٥
(٤) محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٢٧٧

والقتال فانفتحت في وجوه الرواد المسلمين أبواب مدن و جنوب إيطاليا
الواقعة تحت سيطرة المسلمين وكانوا يحملون معهم رايات المدعية
والعلوم والفنون ، وكان ذلك هو حجر الأساس في تكوين عصر النهضة
الأوروبية . (١)

واما غارات المسلمين في شرقي شبه جزيرة ايطاليا فقد كانت
اكثر نجاحاً من غاراتهم في البحر التيراني . ويبدو ان نابلي بعد
مساعدها لمسلمي صقلية للاستيلاء على مسينا تخلت عن تحالفها معهم .
وربما يكون السبب في نقض هذا التحالف اتخاذ المسلمين قواعد لاساطيلهم
في سواحل نابلي ، وكانت هذه القواعد قريبة من نابلي لدرجة انهم
هددت أمنها وتعرضت لتجاريتها . (٢)

-
- (١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٢
(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٥ - محمود اسماعيل
عبدالرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٩

غزو روما :-

تعرضت روما لغزو المسلمين سنة ٩٤ هـ / ٨٠٩ م ، وقد كانت في يوم السبت في عيد الفصح في تلك السنة ، ولم يسيء المسلمون الى البابا ليو الثالث لكبر سنة (١)

ثم كانت الغزوة الثانية لروما ، والتي حدثت بعد نقض نابلي للحلف الذي بينها وبين الاغلبية وذلك لأنها لم تعد في حاجة الى حلفائها المسلمين بسبب انتهاء التهديد اللومباردي وكذلك لتهديد قواعد أسطول الاغلبية الصقلي على شواطئ نابلي لتجارتها . (٢)

ولتعويض هذا التحالف الذي كان مع المسلمين سارع دوق نابلي سرجيوس بعقد حلف مع المدن البحرية المجاورة وهي أمالفي وجاتيسا وسرنطو (٣) ، وهو الحلف الذي اطلق عليه اسم (حلف كيانيا) (٤) واشتركت

- (١) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٤
- (٢) محمود اسماعيل عبدالرازق : المرجع السابق ، ص ٢١٩
- (٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٦ - محمود اسماعيل عبدالرازق - المرجع السابق ، ص ٢١٩ - ابراهيم على طرخان المرجع السابق ، ص ١٦٤ (يذكر هذا الحلف بعد هجوم المسلمين على روما) .
- (٤) ابراهيم على طرخان : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة .

هذه المدن في تكوين أسطول لمواجهة النشاط الأغلب، واستطاعت هزيمة المسلمين في البحر واجبارهم على التخلي عن مراكزهم في جزيرة بنسزا (Ponza) قرب نابلى ، وفي رأس ليكوزيا (Licosia) احدى رؤوس خليج سلرنو (١) . الا أن هذا الهجوم من نابلى وحلفائها لم يضعهداً للإغارات الأغلبية هذا إذا لم يكن قد زادها عنفاً وكثرة . (٢)

ففي سنة ٣٢٢ هـ / ٨٤٦ م هاجم المسلمون الأراضى البابوية ، وهمزموها حاميات كيفتيافكيا ونوفا أوستيا ، ووصلوا في هذه الغزوة إلى ضواحي مدينة روما وهاصروها . (٣)

الا أن حسننى حسننى عبد الوهاب يذكر سبباً آخر لهذه الغزوة إذ يقول إنها كانت ردة فعل من المسلمين للغارة الشنيعة التي دبرها سكان أواسط البلاد الإيطالية ضد الساحل التونسى قبل هذا التاريخ بسنة أوستين ، فقد قاموا بمهاغته شواطئ الساحل التونسى ليلاً واحاطوا بالسكان على حين غرة في منازلهم المتفرقة عن بعضها ، وأسروا منهم عدداً كبيراً ساقوهم عبيداً وعادوا بهم

-
- (١) ارشيبالد لويس : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة - محمود اسماعيل عبدالرازق : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة .
- (٢) محمود اسماعيل عبدالرازق - نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة .
- (٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٦ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

إلى بلادهم ، وهناك باعوا بعضاً منهم في أسواقهم الكبيرة هذا إلى جانب ما نهبوه من الأرزاق والأقوات .

وعند ما علم الأمير أبو العباس محمد بن الأغلب نبأ هذه الكارثة ثارت ثائرته وصم على اخذ ثأر المسلمين بتجهيز حملته السابقة الذكر والتي كانت تشتمل على ٧٣ سفينة . (١)

ويقول ايضاً حسن حسنى عبد الوهاب ان جيش المسلمين في هذه الغزوة لم يكن خروجه من صقلية بل كان - مرسلًا من أفريقية وأنه انطلق من مرسى سوسة الحربي فقطع البحر وأرسى على مصب نهر التبرى (التبر) ثم اجتاز ذلك النهر حتى ارسى تحت جدران مدينة روما سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م . (٢)

ولم تكن لدى المسلمين في ذلك الوقت قوة كافية تمكنهم من قتال روما وتحديدها واحتلالها ، فما كان منهم إلا مهاجمة كنيسة القديس بطرس والقديس بولس ، وهما خارج الأسوار ، فنهبوها واخذوا ما فيها من الذخائر والتحف (٣) . وظل الجنود

-
- (١) حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٨٢
(٢) نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة - احمد توفيق المدني :
المرجع السابق ، ص ١٤٧ (عن كتاب غارات الهمج للمؤرخ
فردينان لوط)
(٣) حسن حسنى عبد الوهاب : نفس المرجع والصفحة - محمد كرد
على : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ - احمد توفيق المدني :
نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة - فرانيسكو غابرييل
الاسلام : في عالم البحر المتوسط ص ١٢٢ - ١٢٣ هـ .
سانت ل . ب . موسى : ميلاد العصور الوسطى ، ص ٢٦٣
عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور
الوسطى ، ص ١٠٣

الاسلامي يتردد بين المدينه وأحوازها ما يقارب الشهرين، وفي اثناء هذه المده بنى المسلمون رباطاً صغيراً على مصب نهر التيبر لكي يراقبوا الصادر من العاصمة والوارد إليها . وفي هذه الأثناء توافدت النجدات المسيحيه من جانب الأمم الأفرنجيه بعد أن طلبها البابا لنجدة روماً^(١) . فأضطر الجند الاسلامي الى رفع الحصار عن المدينه بعد أن اقتتلوا مع الجند الإيطالي وسفن الثغور الايطاليه قتلاً شديداً ، وعادوا إلى بلادهم في أفريقيه مثقلين بالفنائم والأسرى^(٢)

ودخل الجيش الاسلامي الأغلبى سوسه وفوقه اعلام النصر تخفق عالياً ، وقد كان في استقبالهم الأمير الأغلبى وكبار رجال الدوله . وكانت هذه أول مره في التاريخ تحتل فيها مدينة روما تلك المدينه الأزليه كما تسمى عند الأفرنج ، ولم تستطع أى أمه من قبل الأغالبه الاستيلاء عليها منذ انتصاب الديانه المسيحيه بها .^(٣)

وقد احدثت تلك الغزوة أثراً كبيراً في البلاط الكارولنجي ، وبالرغم من ذلك لم يستطع الإمبراطور لوثر الأول (٢٠٢ - ٢٤١هـ / ٨١٢ - ٨٥٥ م) القيام بعمل حاسم لوقف النشاط الأغلبى في إيطاليا لانشغاله بخسوف حروب خارج إيطاليا استفرقت كل جهوده .^(٤)

-
- (١) حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٨٢ (يذكّر المؤلف ان بقايا هذا الرباط لا تزال تشاهد حتى وقت تأليفه لكتابه المطبوع سنة ١٩٧٦ م) .
- (٢) محمد كردى على : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ - احمد توفيق المدنى : المرجع السابق ، ص ٧٥ - ٧٦ .
- (٣) حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٨٢ .
- (٤) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

ثم قام الاسطول الأغلبى بحصار مدينة قايط ، ولم يستطع الفرنج ولا اللومبارد صد هم عن ذلك ، فكان فشلاً آخر للمسيحية إلا أن مدينة قايط دافعت عن نفسها وصمدت ضد هجوم المسلمين ، ولم ينقذها منهم الاغاصفه هوجاء اتلفت أغلب سفن الأسطول الاسلامي . (١) وعلى الرغم من ذلك فقد اشتد خطر الاغالبه ضد مدينة بينفانت ، كما حاصروا جاتيا فى منتصف سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٦ م .

وفي العام التالي ٢٣٣هـ / ٨٤٧ م ظهر لويس الثاني فى جنوب إيطاليا ، وتقابل مع الاغالبه فى عدة معارك ، نال فيها بعض الانتصار ، لكنه لم يلبث ان حلت به الهزيمة فى العام نفسه حتى كاد أن يقضى عليه لولا دوق نابلي . (٢)

وفي السده نفسها تمكن الحلفاء المسيحيون من استرداد مدينة بينفانت ، والقضاء على الحاميه الاسلاميه التى كانت بها وعلى رأسهم زعيمهم الأمير مصر . وتم ايضاً الصلح بين أمير مدينة بينفانت وأمير سالرن على اقتسام كامل بلاد إيطاليا الجنوبيه وتعاهدا على أن لا يركب أحدهما لجانب المسلمين ضد خصمه مره أخرى . (٣)

-
- (١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .
(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢١ .
(٣) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

وقد حاول لويس الثاني جاهدا ان يلم شمل الامارات الايطاليه
لاقضاء الأغلبه عن بارى وطارنت ، لكن محاولاته كلها ضاعت عبثا ،
بسبب انصراف هذه الامارات الى امورها الخاصه . (١)

وفي سنة ١٢٣٤هـ / ٨٤٨ م استأنفت نابلى والمدن المجاورة لها
(أى مدن حلف كمانيا) توثيق علاقاتها بالمسلمين كما كانت من قبل
وذلك بعد أن استطاعت ان تضع حداً لتوغل المسلمين في السواحل
الإيطاليه ، وبذلك أصبحت العلاقه بينها وبين بلرم - عاصمة المسلمين
بصقليه - علاقه صداقه وسلام استمرت لمدة عشرين سنه أو تزيد . (٢)

وفي السنه التاليه ١٢٣٥هـ / ٨٤٩ م أغار الأغالب على السواحل
الكارولنجيه في إيطاليا وخارجها ، وأخذوا يقضون مضاجع السواحل
الشرقيه فاحتلوا مدينه لوني ولكنهم لم يمتكوا بها بل تركوها بعد
أن احرقوها . (٣)

وفي نفس تلك السنه صعدوا مع مجرى نهر الرون وتمكنوا من
الاستيلاء على مدينه آرل بفرنسا . (٤)

-
- (١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢١ .
(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .
(٣) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .
(٤) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢١ - احمد توفيق
المدني : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .

غزو روما للمرة الثالثة :-

بعد غزو روما لثاني مره باشر الامبراطور لوشرالاول (١) وابنه لويس الثاني (٢) ملك إيطاليا تحصين الجهة التي يلتقي فيها نهر التيبر بالبحر وذلك دفاعا عن كنيسة القديسين بطرس وبولس ضد أية غارة إسلاميه أخرى . (٣) وكان ما توقعه الامبراطور لوشر الاول وابنه لويس الثاني فقد عاود المسلمون المحاولة لغزو روما ، فعملوا على حشد أسطول كبير على سواحل ، جزيرة سردينيا في سنة ٢٣٥هـ / ٨٤٩م وساروا به في البحر حتى رسوا به في اتجاه مدينة أوسى ، ولكنهم وجدوا مصب نهر التيبر محصنا ضد غاراتهم فلم يتمكنوا من اقتحامه . وفي هذه الاثناء تجمعت الاساطيل الإيطالية لمواجهة اسطول الأغلب لكنها لم تتمكن من تحقيق أهدافها ، لأن زوبعه شديده هبت وأدت الى تشتيت وتحطيم الاسطول الأغلبى . (٤)

وفي السنة نفسها كان الأمير المفرج بن سلام يعمل على تثبيت مركزه ويدعم سلطانه بمدينة باري التي بنى بها مسجداً للمسلمين ، ولما تحقق له ذلك أعلن انفصاله عن أمير صقلية ، واتخذ لنفسه لقباً لم يكن

(١) امبراطور من اباطرة الدوله الرومانيه المقدسه حكم من سنة (٢٠٢ - ٢٤١هـ / ٨١٧ - ٨٥٥م) انظر سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا في

العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٦٦٥ .
(٢) اميل طور من اباطرة الدوله الرومانيه المقدسه حكم من سنة (٢٣٦ - ٢٦٢هـ / ٨٥٠ - ٨٧٥م) انظر سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٦٥ .

(٣) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٧ - ١٤٨ - محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ ، هامش رقم ١

(٤) احمد توفيق المدني : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٨ - ١٤٩ - محمود اسماعيل عبد الرازق ، نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .

منتشراً يومئذ بين المسلمين وهو لقب " الماططان " . (١)

وقد انتهز المفرج بن سلام سلطان باري فرصة الخلافات التي بين امراء ايطاليا وزعماء مدنها وعدم قدرتهم على محاربة إمارته القوية فكان يرسل بغاراته لتتكلم بهذه المدن وتغنم منها وتسبى حتى أنه كان يرسل بسفنه مثقلة بالرقيق ليبيع في الأسواق الأفريقية . (٢)

والمهم أن هذه الغارة التي شنّها المسلمون على روما أظهرت لروما عجز البابويه وعدم قدرتها على مواجهة الغزاة ، ومن أجل ذلك لم يجد البابا بداً من أن يعهد إلى لويس الثاني ملك إيطاليا بتبني الدفاع عن المسيحية في الغرب لأن الإمارات الإيطالية لم تعد تقوى على القيام بهذه المهمة بسبب خلافاتها واضطراب أحوالها ، ولأن نشاط الأغالبه البحري ضد سواحل ومدن جنوب إيطاليا أصبح يهدد إيطاليا كلها ، (٣) وخاصة بعد عودة العلاقات الوطيدة بين المسلمين في باري وبين نابلي فقد مكنت المسلمين من القيام بغارات على وسط إيطاليا وجنوبها . وقد بلغت هذه الغارات ذروة التخريب سنة ٢٣٦هـ / ٨٥٠ م حتى أصبح الاقليم كله على وشك السقوط في أيدي المسلمين . (٤) ولذلك خاف لويس الثاني حاكم إيطاليا ، فصمم على استرداد باري من أيدي المسلمين . وقد بارك البابا حماسه هذا ، لكنه لم يوفق ولم يلق نجاحاً يذكر وكان ذلك في سنة ٢٣٨هـ / ٨٥٢ م . وقد كان سبب فشله هذا أنه لم يكن يملك اسطولاً كبيراً قوياً يستطيعه أن يطرد المسلمين من مواقعهم

(١) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٩ - ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

(٢) احمد توفيق المدني : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة .

(٣) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة .

(٤) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

الحصينة على الشواطئ التي كانوا يوغلون منها بعيداً في غاراتهم الداخلية. ومن هنا ندرك فشل حصار لويس الثاني لبارى وذلك بسبب سيطرة المسلمين على المسالك البحرية. (١)

وفي سنة ٢٤١هـ/٨٥٥ م توج لويس الثاني امبراطوراً ولكنه لم يستطع مواجهة الأغلب بسبب انشغاله بمشكلاته في شمال إيطاليا، وصراعه مع البابا نيقولا الأول. (٢)

وكان في ذلك فرصة انتهزها الأغلب لتوطيد سيادتهم في جنوب إيطاليا، فتمكن العباس بن الفضل وإلى بلرم من الاستقرار بجنوده هناك. (٣)

وفي سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦ م جند الأمبراطور لويس الثاني الإيطاليين وكون منهم جيشاً ليدافعوا عن بلادهم بأنفسهم وعمل على تجهيز أسطول كبيراً حاصره مونت كاسينو في السنة التالية ٢٥٣هـ/٨٦٧ م. وقد استطاع هزيمة الأغلب في عدة معارك حتى جعلهم يعتصمون في مدينتي باري وطارنت إلا أن سلطان باري تمكن من هزيمة هذه الجموع الإيطالية في نفس السنة. (٤)

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ٢١٨ - محمود اسماعيل عبد الرازق:

المرجع السابق، ص ٢٢٣.

(٢) كان تتويج لويس الثاني في السنة المذكورة وأما سبب ذكر اسمه قبل تتويجه فاعتقد أنه كان ينيب عن والده في الحروب وفي حكم إيطاليا.

(٣) محمود اسماعيل عبد الرازق: نفس المرجع ونفس الصفحة.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٠.

(٥) محمود اسماعيل عبد الرازق: المرجع السابق، ٢٢٣ - أحمد توفيق المدني:

المرجع السابق، ص ١٤٩. محمود اسماعيل عبد الرازق: نفس المرجع ونفس الصفحة.

وفي السنة نفسها بدأت الأحوال تتغير ، فقد استطاعت بحرية البندقية والقسطنطينية ان تمارس نشاطها في البحار الايطالية . فانتصرت البندقية على المسلمين في البحر تجاه طارنت ، وربما يرجع ذلك لتحالفها مع لويس الثاني ملك ايطاليا - ، وبذلك تكون قد ثارت للهزيمة التي منيت بها في البحر منذ سبعة وعشرين عاماً . (١)

كذلك ارسل باسيل الأول المقدوني امبراطور بيزنطة (٢٥٣ - ٢٧٣ هـ / ٨٦٧ - ٨٨٦ م) حملته من مائه سفينه بقيادة البطريق نكتاس يريد انقاذ راجوزه ، التي كانت محاصرة من قبل قوات مشتركة من أهل كريت وطارنت ، فانتصر البيزنطيون وفكوا الحصار عنها . (٢) الا أن فردينان لوط الذي ينقل عنه احمد توفيق المدني يذكر ان هذه الحملة اضطرت للرجوع من حيث أتت ، أي انها لم تنتصر . (٣)

وفي أول شهر رجب من سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م سير والي صقلية خفاجه بن سفيان ولده محمد بحراً على رأس أسطول لمدينه غيطه - في الأراضى الايطالية - فحاصرها بحراً ، وعمل على بث السرايا والجند الإسلامي حولها براً لمدة زادت على شهرين ، فغنم غنائم كثيرة شحن بها مراكبه ، ثم عاد الى بلرم في شهر شوال . (٤)

-
- (١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٨ (وعن الهزيمة التي ذكرها انظر قبل نفس الفقرة ، ص ٢٠٩ .
 (٢) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة .
 (٣) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .
 (٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٠٦ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

سقوط إمارة باري الإسلامية :-

وقد توفي البابا نيقولا الأول في سنة ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م وخلفه البابا أدريان الثاني الذي لجأ أيضاً إلى الإمبراطور لويس الثاني ملك إيطاليا وعهد إليه بمهمة الدفاع عن المسيحية في الغرب، فأستجاب الإمبراطور لويس الثاني لطلب البابا رغم يقينه بأنه لن يستطيع إبعاد الأغالبه عن شبه جزيرة إيطاليا إلا بإملاكه أسطولاً قوياً . ومن أجل تحقيق هذا الهدف ، توجه إلى البيزنطيين يطلب منهم مساعدة الأسطول البيزنطي فأستجاب له الإمبراطور البيزنطي باسيل الأول . (١) وكذلك خاطب جماعات المسيحيين جميعاً فأمدوه بقوه من رجال صقالبه دلماشيا وصربيا (بلاد يوغوسلافيا الحالية) (٢)

وهكذا في سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م ظهر أمام باري أسطول كبير اشتمل على فرق بحرية من راجوزه ودلماشيا، ومن جهة البر كانت تحاصرها قوات الإمبراطور لويس الثاني، (٣) هذا بجانب الأسطول البيزنطي الذي جاء يعزز الحصار البحري لتلك الحملة ، وبذلك اكتمل الحصار براً وبحراً ، وحشي وطيس المعركة . (٤) وقد اخذ المسيحيون يضيّقون الحصار على باري حتى سقطت آخر الأمر سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧١ م في يد الإمبراطور

-
- (١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .
(٢) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .
(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٨ .
(٤) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

لويس الثاني الكارولنجي ملك ايطاليا . (١)

ورغم هذا النصر الكبير الذى احرزه الايطاليون ومن ساند هم
لاسترجاع بارى فقد كان وقعه في نفوسهم ليس طيبا بدليل عدم
ذكر مؤرخى لويس الثاني وخلفه شارل الاصلع كلمه واحده تتبين منها
استرداد بارى من يد المسلمين . (٢)

كذلك نتج عن هذا النصر أن ساءت العلاقة بين امبراطور ايطاليا
لويس الثاني الكارولنجي وبين الامبراطور البيزنطي باسيل الأول وذلك
بسبب ما اظهرته بيزنطه من مخاوف تجاه مطامع لويس الثاني في جنوب
ايطاليا . (٣)

كما نقم أمراء ايطاليا على لويس الثاني لنفس السبب اى لاغتنامهم
الفرصه لغرض سلطانه عليهم واخضاعهم ، فدبروا له مكيدته وأوقعوه أسيرا
بين ايديهم ، ولم يطلقوا سراحه الا بعد أن تعهد لهم بترك جميع
الفنائم والاسلاب التى استولى عليها بعد انهيار إمارة بارى المسلمه ،
وبألا ينتقم منهم جزاء خيانتهم . (٤)

وعاد لويس الثاني الى شمال ايطاليا بعد أن حبطت أعماله
وبقي هناك حتى وافته المنية في سنة ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م ، فنعم الامبراطور

-
- (١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٨ - محمود اسماعيل
عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ - احمد توفيق المدني :
نفس المرجع السابق ونفس الصفحه .
- (٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .
- (٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٨ .
- (٤) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٥٠ (عن الفصل الثانى
من كتاب غارات الهمج للمورخ فردينان لوط) .

باسيل الاول وحده بجنى ثمار تلك الجهود . (١)

لذلك لم يتورع امير بينيفانت عن التماس حماية بيزنطة سنة
٢٦٠هـ / ٨٧٣م ، وقد وافق الامبراطور البيزنطي باسيل الاول على
طلبه . (٢)

وفي نفس السنة استعادت قوات بيزنطة سيطرتها على أترانتو،
وذلك لحقد الامبراطور باسيل الاول على لويس الثاني ، وكذلك لرغبته
في توطيد سلطانه بجنوب ايطاليا . (٣)

جهاد الأغالبه في جنوب ايطاليا بعد سقوط إمارة بارى :-

وأما وقع سقوط إمارة بارى المسلمه على الأغالبه في افريقيه وصقليه
فقد زادهم حماساً للجهاد فأستمروا يشنون الغارات على السواحل الغربيه
لشبه جزيرة ايطاليا . فقد تكرر هجومهم على سالرن ، ووصلوا حتى كابوا
ولم تنجح محاولات الامبراطوريه البيزنطيه لوقف هذا الهجوم حتى سنة
٢٦٢هـ / ٨٧٥م . (٤)

-
- (١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ٢١٨ - محمود اسماعيل عبد الرازق :
المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .
(٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .
(٣) محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .
ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .
(٤) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ - ارشيبالد لويس :
المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

وكانت مدن الساحل الايطالي التجاريه تساعد الأغلبه وتوازرهم
في غاراتهم هذه حتى أن لويس الثاني أعلن بأن نابلى تعتبر افريقيه
أخرى . (١)

وبعد وفاة لويس الثاني ملك ايطاليا خلفه شارل الاصلع (٢٦٢ -
٢٦٤هـ / ٨٧٥ - ٨٧٧م) الذى تخلى عن امور ايطاليا . وبتخليه هذا
اتاح الفرصه للأغلبه لكى يزداد نفوذهم في شبه جزيرة ايطاليا مرة أخرى
كذلك ساعد موقفه هذا على استعادة بيزنطة سلطانها في جنوب ايطاليا ،
فقد أخذت بيزنطة مكانه في الدفاع عن جنوب ايطاليا ضد الأغلبه . (٢)

غزو روما للمرة الرابعه :-

وبالفعل فقد نجح الأغلبه بعد موت لويس الثاني ملك ايطاليا فى
مهادنه ومصانعة بعض امراء اللمبارد الصفار في الجنوب ، بل تواجدوا
في دوقية نابلى ، وهددوا روما نفسها ، وكادوا يسيطرون عليها بعد
أن تواطأ معهم بعض موظفي البلاط البابوى على تسليم المدينه لهم فى
عام ٢٦٣هـ / ٨٧٦م . هذه رواية محمود اسماعيل عبد الرازق . (٣)

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٦

(٢) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .

(٣) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .

أما رواية محمد كـرد

علو ابراهيم على طرخان فتقول بأن هذه الغزوة حدثت سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠ م وكان قوامها جند من أفريقيه والأندلس الذين نشطوا وجهزوا حملته كبيره استطاعوا الوصول بها الى روما وضواحيها . وقد ساعد على وصولهم الى روما ان نابلي والمدن المجاوره لها (أى مدن حلف كمانيا) كانت لاتزال على صله وثيقه بالمسلمين في بارى وفي صقلية في ذلك الوقت . فهددوها حتى اضطر البابا حنا الثامن (٢٥٩ - ٢٦٩هـ / ٨٧٢ - ٨٨٢ م) أن يفاوضهم في الصلح والجلأء عن روما مقابل أن يدفع لهم جزية سنوية مقدارها ألف مثقال من الذهب، (١) أو خمسة وعشرون ألف (٢٥٠٠٠) قطعة فضه . (٢) والسبب الذى من أجله دفع البابا حنا الثامن هذه الجزية للمسلمين هو أنه الى جانب وطأة حصار المسلمين لروما أن جهود المضيئة التى بذلها لجيش شارل الجسور (شارل الأصلع) ملك إيطاليا الكارولنجى ، وبيزنطه ومدن امالفي وجاتيا ونابلى لحماية املاك البابويه قد باءت بالفشل فشارل الجسور (الاصلع) لم يستجب لندائه لعدم امتلاكه أسطولاً قوياً يبعث به الى جانب عدم مضارعتة في الكفاه لسلفه لويس الثاني . (٣) وبالنسبة لنائب شارل الجسور فقد انصرف عن توسلات البابا ، اما زوجه الامبراطور شارل الجسور فقد فشلت محاولات البابا لحثها على التأثير على زوجها لمواجهة الأغالبه ، ووصل الأمر الى أن هدد البابا الامبراطور شارل الجسور بسحب لقبه الامبراطورى فلم يعره الامبراطور شارل الجسور اهتماما وصم

-
- (١) محمد كردى على : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٨ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٤ .
- (٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٩ - محمود اسماعيل عبد الرازق ، المرجع السابق ، ص ٢٢٦ - احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .
- (٣) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٦٤ - ١٦٥ - ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

أذنه عن تهديداته . (١) وأما بيزنطة فقد كانت غير مطمئنة الى تقرب البابا من أباطرة الدولة الرومانية (الكارولينجيين) (٢) ، وكذلك لأنهم مشغولون بأمر صقلية وبلاد الشرق . ومن ناحية المالقي وجاتيا ونابلى (مدن حلف كمبانيا) فقد كانوا على صلة وثيقة بالمسلمين ولا يريدون معاداةهم ومن أجل ذلك اضطر البابا حنا الثامن لدفع هذه الجزية للمسلمين ليحظى هو وأملاك البابويه (الكنيسة) في وسط إيطاليا بشيء من السكينة والأمان (٣) .

سقوط طارنت في يد البيزنطيين :-

ولم يبق في يد المسلمين الأغلبه في جنوب إيطاليا إلا طارنت . وفي سنة ٢٦٢هـ / ٨٧٥م توجه أسطول إسلامي من طارنت - وربما من كريت - للإغارة على البندقية ، فقام بإحراق ميناء كوماتشو الواقع على مصب نهر الپو . وتعتبر هذه الفاره آخر غارات المسلمين في شمال البحر الادرياتي . (٤)

وفي هذه الأثناء بد أنفوذ البيزنطيين ينتعش في إيطاليا وذلك منذ أخذهم أترافتو ، وكذلك منذ تسليم أهالي بارى مدينتهم الى قائد

-
- (١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٦
(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٩ - ابراهيم على طرخان
المرجع السابق ، ص ١٦٥ .
(٣) ارشيبالد لويس : نفس المرجع ، ونفس الصفحة .
(٤) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(١) الشفر البيزنطي سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م .

وفي سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م أنزل البيزنطيون جيشاً برياً في كلايريا
يقدر بحوالي ٣٥ ألف رجل من أجل حصار طارنت برأ، وفي نفس الوقت
أرسلوا أسطولاً لكي يحاصرها بحراً. ونتيجة لهذا الحصار المحكم الذي
طبقه البيزنطيون لم تجد طارنت سوى الاستسلام لهم بعد أن صمد
المسلمون بها وقاموا حتى آخر سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م . (٢)

وهكذا بعد سقوط طارنت لم يبق في يد الأغلبه من أراضي
جنوب إيطاليا سوى ثلاثة مواقع حصينه هي منتية (Amantea)
وسبرينه (Santa Severina) وترويا (Tropea) (٣)

وبالرغم من ذلك استطاعت قوات الأغلبه إقامة قاعدة (إمارة) لهم
في مونت جاريانو (جاريليانو) سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢ - ٨٨٣م . وأضحت
هذه القاعدة (الإمارة) مركزاً لتهديد مستمر للولايات البابويه وقد استمرت
هذه القاعدة نحو أربعين سنة (٢٦٩ - ٣٠٣هـ/٨٨٢ - ٩١٥م) (٤)

-
- (١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ -
ارشيبالد لويس : نفس المرجع ، ونفس الصفحة .
- (٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ - أحمد
توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٥١) عن كتاب غارات الهمج
للمؤرخ فردينان لوط) .
- (٣) سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة ، هامش
٢٧٤ .
- (٤) ابراهيم علي طريخان : المرجع السابق ، ص ١٦٥ - ارشيبالد لويس :
المرجع السابق ، ص ٢٢٠ - محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع
السابق ، ص ٢٢٧ .

تدعيم نفوذ بيزنطة في جنوب ايطاليا :-

ووصل نشاط بيزنطة في تلك الأثناء الى مياه صقليه . فقد ظهر أسطول بيزنطى قى هذه المياه وحقق بعض النجاح ، وهدد طريق التجارة بين المدن التى تقع في جنوب ايطاليا وبين المسلمين ، وتمكن من الاستيلاء على كميات كبيرة من زيت الزيتون خلال عملياته هذه حتى أثر هذا على ثمن هذه السلعه في اسواق القسطنطينيه . (١) ويبدو أن البيزنطيين أقاموا على الدوام أسطولهم هذا عند ثرمه (طبرمين) . وربما يكون وجوده هذا هو المسئول عن رجوع نابلى سنة ٢٧١هـ / ٨٨٤م لأن حضار بيزنطة وللولاة لها بعد طول بعد عنها . (٢)

وفي سنة ٢٧٢هـ / ٨٨٥م عقدت هدنة بين والى صقليه سواد بن محمد وبين بطريق الروم قائد الحاميه الروميه بصقليه لمدة ثلاثة اشهر في مقابل فداء ثلاثمائة اسير من المسلمين ، يدفع بهم الروم الى سواده . ولكن يبدو أن هذه الهدنة كانت عبارة عن خدعه حربيه ماهره من قبل الروم ، ارتكب المسلمون بقبولها غلطه فادحه ان كان الروم يهدفون بها أخذ مهله للتجهيز لأمر عظيم فما كادت تنتهى مدة الاشهر الثلاثة حتى كانوا قد رتبوا أمرهم واستعدوا للمسلمين وحصنوا مراكزهم بعد ضعف وجاءهم المدد العظيم من القسطنطينيه تحت إمرة أنجفور (مجفور أو نقفور فوكاس أو نيقوفوروس Ncefors) الذى وصل الى بلاد المسلمين في ايطاليا وانزل جنده البر وقد كان

-
- (١) ارشيبالد لويس : نفس المرجع السابق ، ص ٢١٩ - ٢٢٠
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٢٠ - محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحه .
(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٢٠

(١) في عسكر كبير . وظل يعمل بالمنطقة لمدة عامين ، طوراً بالقوة والعنف وطوراً بالسياسة والحيلة . (٢)

فقام بحصار مدينة سبرينه (Sonta Severina) وضيق الخناق على من بها من المسلمين فسلموها له على الأمان ثم عادوا الى أرض صقلية . وبعد ذلك وجه انقفور جنوده الى مدينة منتتية " فحاصروها حتى سلمها أهلها بأمان الى بلرم صقلية" (٣) وهو يقصد بقوله هذا تسليمهم المدينة وعودتهم الى بلرم . وأنشأ انقفور بجنوب ايطاليا ثغرين أحدهما ثغر لونجون - بارديا وعاصمته باري ، والاخر ثغر كلابريا وعاصمته ريو . (٤) وفي عام ٢٧٣هـ / ٨٨٦م تم لنقفور تدعيم قوة بيزنطة في جنوب ايطاليا . وبالنسبة لقلوريه وأبوليا فقد انتظمتا في أجناد (Themes) وأُعترفت مدن كمبانيا (أما لفي وجاتيا ونابلي) بسيطرة بيزنطة ، وفعلت بينيفانت نفس الشيء وعندما وجدت بيزنطة انها استرجعت نشاطها الحربي في البحر التيراني من الجهة الاخرى (أى الجهة الإيطالية) ، وكذلك عندما رأت سكون مسلمي صقلية بعض الشيء عن غاراتهم اعتقدت

-
- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٦٠
(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٢٠
(٣) ابن الاثير : نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .
(٤) محمود اسماعيل عبدالرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٧

كما لو انه قد بزغ فجر عصر سلام جديد . (١)

المسلمون يستأنفون غاراتهم من صقلية على جنوب إيطاليا :-

ولكن خاب أمل البيزنطيين ولم يتحقق شيء من هذا فما كان عام ٢٧٣هـ / ٨٨٦م - وكان قد توفي الامبراطور البيزنطي باسيل الأول (٢٥٣-٢٧٣هـ / ٨٦٧ - ٨٨٦م) وجاء خلفه الامبراطور ليو السادس (٢٧٣-٣٠٠هـ / ٨٨٦-٩١٢م) (٢) - حتى عاد المسلمون إلى سابق عهدهم من إرسال الغارات الخاطفة السريعة التي كانت تغنم وتخرب ثم تعود إلى قواعدها بصقلية . (٣)

وفي سنة ٢٧٥هـ / ٨٨٨م حقق المسلمون في ساحل ريو انتصاراً عظيماً تكبد الروم فيه خسائر فادحة في العتاد والارواح (٤) فقد أبحرت الاساطيل البيزنطية غرباً إلى ريو مخترقة مضيق مسينا ، وقرب ميلازو ، باتجاه الشاطئ الشمالي لصقلية ، التقى هذا الأسطول البيزنطي بأسطول كبير إسلامي ، فكانت معركة شديدة بين الطرفين هزم فيها البيزنطيون . (٥) ويذكر ابن عذارى

-
- (١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٢٠
(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٦٣
(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ - محمود اسماعيل عبدالرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٧
(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٠
(٥) ارشيبالد لويس : نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة

ان القتلى من الروم في هذه المعركة اكثر من سبعة آلاف رجـل
وغرق لهم نحو من خمسة آلاف واخذت مراكب الروم في ميلاص (١)
وهرب اهل ريو . (٢)

وقد عبر ارشيبالد لويس عن هذه الهزيمة النكراء للـروم
بقوله : " وتكررت مأساة عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م ، إذ انهزم البيزنطيون
شر هزيمة وتحطمت سفنهم " . (٣)

وكانت نتيجة هذا النصر العظيم ان اخذت مدن وحصون
الروم المجاورة للمسلمين تقع في أيديهم بعد هجر الروم لها
ولم تقتصر سطوة جند الأغلبة في صقلية على صقلية فقط بل تعدتها
الى الارض الكبيره (إيطاليا) فكانت تبث اليها السرايا متتابعة
تنتصر وتغنم وتسبي وتعود الى بلرم محملها غنمته (٤) .

ونتيجة لهذه الانتصارات المتواليه للمسلمين وخاصة
موقعة ميلاص أرسل الامير الأتلي إبراهيم بن أحمد شخصا يدعى
مجبر بن إبراهيم بن سفيان - وهو من أهل الشرف والثروة قرب

(١) ميلاص : هى قرية من قرى صقلية تقع على الساحل الشمالى

للجزيرة الى الشرق من مسينا .

ياقوت : معجم البلدان ، م ، ٥ ، ص ٢٤٤ - ابن الابار ،

المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٢٠

(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٢٠) ويقصد

بمأساة عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م المحاولة الفاشلة التى قام

بها البيزنطيون للثأر من المسلمين لأخذهم مدينة قصر يانه

فقد ارسلو ثلاثمائة شلندى لقتال المسلمين ، وتقابلوا

معهم ولكن أسطول المسلمين استطاع هزيمتهم وإجبارهم

على الرجوع لبلادهم بعد ان غنم منهم مائة شلندى وقتل

منهم عددا كبيرا) .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ١٢٠

له جيد الغناء ويحذقه وينادم الأمير- الى مسينا وقلوريه
(كلابريا) لقيادة عسكرها. ولكن اثناء عبوره في أحد الشوانى
الى الشاطيء الايطالى أسره الروم وحملوه الى القسطنطينيه
حيث مات في السجن هناك . (١)

غزو ريو : (٢)

وفي سنة ٢٨٨هـ / ٩٠٠م غزا الأغلبة قلورية بقيادة
والى صقلية أبى العباس بن إبراهيم بن أحمد ، حيث عبّر
المجاز في مراكبه الحربية إلى مدينة ريو ، التى كانت يجتمع بها
كثير من الروم . فما كاد المسلمون ينزلق البر الايطالى
في شهر رجب/يونيو من تلك السنه حتى لقيهم الروم على باب
ريو . لكن رجال أبى العباس تمكنوا منهم وهزموهم شر هزيمة
وسيطر أبو العباس على المدينة بالسيف وغنم منها غنام عظيمة
ليس فقط من ذهب وفضه لا تقدر ولا تعد بل ايضاً من الدقيق
والأمتعه التى شحنوها في مراكبهم . ثم رجع بعد ذلك إلى
مسينا . (٣)

ولا ندرى حقيقه وضع مدينة ريو هذه أفُتحت نهائياً . وإذا

-
- (١) ابن الأبار : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٥
(٢) ريو : مدينة للروم مقابل جزيرة صقلية من ناحية الشرق على
برقسنطينيه (ياقوت : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٦)
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٧-٩٨ - ابن
عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣١ - ابن خلدون :
المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٤

كان الأمر كذلك فلماذا لم تذكر رواية ابن الاثير أن أبا العباس ترك بها حامية . هذا ومن المحتمل أن يكون قد تم صلح بينه وبين أهلها رغم فتحها بالسيف . (١)

ومما يرجح القول الأخير ما يذكره ابن عذارى من أنه " استأمنت له حصون ، وأعطوه الجزية " . (٢)

وعند وصول أبي العباس لمسينا هدم سورها ، ثم إذا به يفاجأ بأسطول بيزنطى وصول لتوه من القسطنطينية قرب مسينا (٣) فهزمه وأخذ منه ثلاثين مركباً ، وعاد الى بلرم ليقضى بها الشتاء

فتوح الأمير إبراهيم بن أحمد في إيطاليا :-

وفي سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م توجه الأمير إبراهيم بن أحمد الى مسينا ، وأمر الجند بالتجمع فيها للمسير بغية الجهاد في قلورية ، فأقام بمسينا يومين حتى تم الاستعداد . (٤) ثم أمر

-
- (١) سعد زغلول عبد الحميد : المجمع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٩
 - (٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣١
 - (٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٨
 - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٤
 - (٤) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ١٨١ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع ج ٢ ، ص ٢٨٣ - محمود اسماعيل عبدالرازق : المرجع السابق ، ص ٢٢٧

جيشه بعبور البحر الى قلوريه (كلايريا) في يوم ٢٥ رمضان / ٣ سبتمبر من تلك السنة ، فدخلها عنوة فقتل وسى ، ورهب منــــه الفرنجه (١) . وسار بعد ذلك يريد مدينة كسنته (كوسنتــــــا Cosenza) (٢) ، فأتاه رسل الروم يطلبون الا مــــان مع دفع الجزية ، فلم يقبل منهم ورفض طلبهم ، وأمر جنده بالهجوم على المدينة ومقاتلتهم . وكان قد ابتدأ به المرض وهو عــــــلة يقال لها (الذرب) (٣) ، وبدأ يضعف وتقل قوته . فبقى هو في الساقه بعيدا عن جنده ، ونزلوا هم في الوادى وحاصروا المدينة ، وكان الأمير يشرف عليهم من بعيد ، وفي ٢٥ من شوال / ٢ أكتوبر من تلك السنة أمر بتوزيع أولاده وحفدته وقواده على أبواب كسنتــــه وبالهجوم عليها مع مواصلة ضرب اسوارها بحجارة المجانيق . (٤)

وقد كان لغياب الامير الأغلبى عن جنده أثره السيء إذ هيّطت معنوياتهم فلم يجتهدوا في قتال الروم . وكان قد انفرد عنهم عندما اشتد عليه المرض وامتنع عنه النوم ، وحدث به الفواق . وكانت

-
- (١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٤ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٣٤ - ٣٥ .
 (٢) كسنته : بضم اوله وفتح السين وسكون النون وفتح الهاء وهى اليوم تدعى كوسنته (Cosenza) وهى مدينة بأرض قلوريه (كلايريا) بالقرب من خليج تارنتو . (ابن الخطيب : المصدر السابق ، ح ٣ ص ٣٥ ، هامش ٥)
 (٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٦
 (٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٨٣

هذه هي بداية النهاية لإبراهيم بن أحمد فقد وافته منيته فـ في ليلة السبت ١٨ من ذى القعدة سنة ٢٨٩ هـ / ٢٥ أكتوبر ١٠٩٠ م. (١)

وبعد وفاة الأمير إبراهيم بن أحمد سارع قواد جنده بالاجتماع لاختيار من يولونه قيادة الجند وخاصة وهم يحاصرون مدينته وفي وسط معركة مع الروم ، فكان إجماعهم على تولية حفيده أبي مضر زيادة الله بن أبي العباس ليقوم بحفظ العساكر والأموال والخزائن حتى تنتهي المعركة ويصلوا الى الأمير أبي العباس بأفريقية . (٢)

لكن زيادة الله عرض الإمارة على عمه أبي الأغلب الذي لم يتقدم على زيادة الله بسبب حبه للسلام والأمن . (٣)

أما بالنسبة لاهل مدينة كُسنْتَه فانه لما ضاق عليهم الحصار أرسلوا يطلبون الأمان والتسليم ، فما كان من زيادة الله الا ان سارع بإعطائهم الأمان وقبل منهم الجزية قبل أن يعلموا بموت الأمير إبراهيم بن الأغلب . ثم رحل زيادة الله عن كُسنْتَه عائدا الى بلرم بعد أن رجعت السرايا التي كان جده قد أرسلها قبل ان يشتد عليه المرض . (٤) وهو يحمل معه جسد جده إبراهيم بن أحمد

-
- (١) ابن الاثير: المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٦ - ابن خلدون :
المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٤ - ابن الخطيب : المصدر
السابق ، ح ٣ ، ص ٣٥ - ٣٦
- (٢) ابن الاثير : نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .
- (٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٨٤
- (٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٤

بعد ان وضعوه في تابوت (١) ، ثم قام بدفنه في يلرم في ٢٣ من ذى الحجة سنة ٢٨٩هـ / ٩٠١م (٢) وقيل انه حمل الى افريقيه ودفن في القيروان . (٣)

و بموت ابراهيم بن أحمد ، اضطربت أحوال دولة الأغالبة في أفريقية في عهد ابنه أبى العباس عبد الله ، وفى عهد حفيده زيادة الله الثالث ، وذلك بسبب انشغالهم بمقاومة الخطر الشيعى ، الأمر الذى اثر كثيراً على الجهاد فى صقلية وبالتالى على الجهاد فى جنوب ايطاليا ، فانصرفوا عن عمليات الفتح بها ، ثم كان سقوط دولة الأغالبة الذى وضع نهايته لغارات المسلمين على مدن واقاليم جنوب ايطاليا . (٤)

ولكن على الرغم من سقوط دولة الأغالبة وتوقف غاراتهم على جنوب ايطاليا فقد ظل المسلمون يسيطرون على بعض مراكزها المنيعه مثل سابينو شمال بنيفانت وجنوب بسطوم ، وجاريليانو ، وخرائب ديرافارفا . ومن هذه المراكز كان المسلمون يقومون بتهديد المناطق المجاورة لهم وخاصة روما نفسها . (٥)

-
- (١) ابن الاثير: المصدر السابق ، ح ٦ ، ص ٦
 (٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ح ٤ ، ص ٢٠٤ - ابن الخطيب: المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ١٢٠
 (٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، نفس الصفحة .
 (٤) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٢١ - محمود اسماعيل عبد الرازق ، المرجع السابق ، ص ٢٢٨
 (٥) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٢١ (عن الفصل الثانى من كتاب غارات الهمج للمؤرخ فردينان لوط - محمود اسماعيل عبد الرازق : نفس المرجع السابق ، و نفس الصفحة .

{ فتح جزيرة مالطه وجزيرة لبند وشه ونموشه ومحاولات فتح جزيرة سردانيه :-

فتح مالطه :

تعتبر مالطه من أهم جزر الأرخبيل المالطي الذي يتكون من
اربع جزر غير مالطه هي جزيرة جوثزو (Gozo) ، وكمونيه
(كومينو Comino) ، وكومينتو (Cominotto) ، وفلفولا
(Fiffola) وما يحاذيها من صخور أخرى . (١)

وتعتبر جزيرة مالطه كذلك أكبر هذه الجزر ، بالإضافة الى كونها
جزيرة عامرة كثيرة الخيرات حسنة الموقع . (٢)

وقد تنصر أهل مالطه في القرن الأول للمسيح على يد القديس
بولس . وبعد انتهاء السيادة الرومانية الغربية على الجزيرة سيطرت
عليها قبيلة " الفندس " ، ومن بعدهم " القوط " ثم " البليسايريون "
الى أن آل امرها الى البيزنطيين وبقيت في حوزتهم الى أن فتحها
المسلمون . وقد عرفت الجزيرة في العصور القديمه باسم " ميليتيه "
ولكن المسلمين حرفوا هذا الاسم وسموها مالطه . (٣)

-
- (١) شكيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا
وجزر البحر المتوسط ، ص ٣٥٣
- (٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع السابق ،
ص ١٢١ .
- (٣) عن تاريخ جزيرة مالطه قبل فتح المسلمين لها انظر شكيب ارسلان :
المرجع السابق ، ص ٣٥٤ - ٣٥٨ - ابراهيم علي طرخان : المرجع
السابق ، ص ٦٨ .

فتح المسلمين لمالطه :

من الراجح أن محاولات فتح جزيرة مالطه خاصة وجزر الأرخبيل المالطي عامة كانت مع البدايات الأولى لفتح صقلية في عهد الأغلبة .

ففي سنة ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م ، أى في عهد الامير زيادة الله الأول (٢٠١ - ٢٢٣ هـ / ٨١٦ - ٨٣٧ م) كانت هناك غزوة اسلامية لها . (١) ثم كانت هناك غزوه اسلامية أخرى لها ، ففي سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٥ م جهز أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله والي صقلية اسطولاً فصار نحو الجزائر ، فغنموا غنائم عظيمة ، وفتحوا مدنا ومعقل وعادوا سالمين . (٢)

ومن الراجح أن هذه الجزائر المذكورة في الرواية انما تعنى جزر الأرخبيل المالطي .

وتعتبر هذه الغزوات مجرد محاولات متكررة للسيطرة على هذه الجزر وذلك لأن السيادة الإسلامية لم تثبت عليها إلا في سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م حين سير محمد بن خفاجه والي صقلية جيشاً لفتحها . وكان الروم يحاصرونها فلما سمعوا بقدوم المسلمين إليها رحلوا عنها ، وكان ذلك في عهد الأمير أبي الغرائق محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٥٠ - ٢٦١ هـ / ٨٦٤ - ٨٧٤ م) وتشير الكتب التاريخية (٣)

(١) حسين مؤنس: الاسلام في حوض البحر الابيض، المجله التاريخيه المصريه، المجلد الرابع، العدد الاول، مايو ١٩٥١ م، ص ١١٣ - ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٨٨ - ابن خلدون المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠٠

(٣) ابن الاثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٠٧ - ابن الخطيب: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٦ (يذكر تاريخ فتحها في سنة ٢٦١ هـ) ويؤيده في ذلك السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٩١ .

الى أن الاسطول البيزنطي حاول استرجاع الجزيرة لممتلكات الأباطورية
البيزنطية في سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩ م^(١).

ويبدو أن ما رواه ابن الاثير عن حصار جزيرة مالطة في هذه
السنة إنما كان محاوله من جانب البيزنطيين لاستردادها ، ولما علم
المسلمون بذلك قدّموا لفك ذلك الحصار عنها ، ولما عرف الروم بقصد وم
المسلمين إليها فكّوا حصارهم لها ورحلوا إلى بلادهم . ولهذا فإنه
من المرجح أن فتح المسلمين للجزيرة إنما كان في سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م
وهم في طريقهم لغزو مواضع في جزيرة صقلية .^(٢)

اما ارشيبالد لويس فهو يذكّر ان الأغالبه استولوا على جزيرة مالطة
عام ٢٥٢ هـ / ٨٧٠ م .^(٣)

وقد جاء استيلاء الأغالبه على جزيرة الأرخبيل المالطي وضمها
لممتلكاتهم مكملاً لفتوحاتهم في صقلية ، بجانب ضمها لأملاك الدولة
الاسلامية ، وقد اعتبر فتح مالطة وصقلية من الأحداث البارزة في تاريخ
البحرية الإسلامية . فمالطة تعتبر مفتاح حوض البحر الأبيض المتوسط

-
- (١) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص
١٢١ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦١ .
(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠١ - حسن حسني
عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ٨٧ .
(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢١٧ - ويؤيده في ذلك
هـ . سانت . ل . ب . موسى : ميلاد العصور الوسطى ، ص ٢٦٣ .

الأوسط والغربي وخاصةً بعد أن أصبحت جميع الجزر في تلك المنطقة الوسطى من هذا البحر في أيدي المسلمين. (١) وبذلك أصبحت سيطرة المسلمين مؤكدة على المضائق الواقعة بين صقلية وإفريقية. (٢) وقد استطاع المسلمون بفضل افتتاحهم لهاتين الجزيرتين (مالطه وصقلية) تهديد إيطاليا كلها، وسيادة البحر التيراني، وفتح مدن وحصون مهمه بجنوب إيطاليا. (٣)

وكانت جزيرة مالطه تتمتع بموقع استراتيجي عظيم الأهمية في الحوض الأوسط للبحر المتوسط. (٤) وقد ازدادت هذه الأهمية بعد أن أنشأ الأغالبه بها داراً لصناعة السفن من اشجار الصنوبر التي تكثر بها، وبذلك أصبحت قاعدة بحريه هامه للأغالبية في البحر الأبيض المتوسط وقفت مع اخواتها في تونس وسوسة وطرابلس، ومسينا وقوصه. (٥)

وكان مقام المسلمين بمالطه أطول وأثبت من مقامهم بصقلية، فقد ظلت خاضعة للمسلمين ما يقرب من مائتين وعشرين سنة. (٦) لذلك رسخت قدم اللغة العربية وتغلغلت الروح الشرقية فيها. (٧)

(١) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : المرجع السابق، ص

١٢١ - إبراهيم على طرخان : المرجع السابق، ص ٦٩ .

(٢) أرشيبالد لويس المرجع السابق، ص ٢١٧ .

(٣) فتحي عثمان : المرجع السابق، ج ٢، ص ١٩٢ .

(٤) فتحي عثمان : المرجع السابق، ج ١، ص ٢١١ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : المرجع السابق،

ص ١٢١ .

(٦) شكيب ارسلان : المرجع السابق، ص ٣٦٠ .

(٧) فتحي عثمان : نفس المرجع السابق، ونفس الصفحه - عبد المنعم ماجد :

العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص ١٠٢ .

ويذكر شكيب ارسلان عن أحمد فارس الشدياق^(١) أنه نتيجة لمعاملة المسلمين الحسنه لأهل مالطه ان اعتنقت غالبية أهلها الاسلام ه وامتزجوا كثيرا بالمسلمين بها حتى أصبحوا شعباً واحداً . (٢)

وقد ساعد على ذلك أن الأغالبه عمدوا إلى نقل سكان من تونس الى جزيرة مالطه . (٣)

وإذا جمعنا بين حسن معاملة المسلمين للأهالي وبين طول مدة بقائهم في مالطه لتبين لنا سبب بقاء لغتهم العربية مؤثره في اللغه المالطيه . وقد اختلف العلماء في أصل اللهجه المالطيه ، فزعم بعضهم أنها في الاصل فينيقيه ، وذكر آخرون أنها لهجه عربيه ، وهذا رأى الجمهور . ولكن لسنا ندرى أهى ترجع للهجة عرب الشام أم ترجع للهجة عرب المغرب ، فإن فيها عبارات من كلتا اللهجتين ، وان كانت اللهجه المغربية هي الغالبه . (٤)

-
- (١) اقام العلامة اللغوى احمد فارس الشدياق بجزيرة مالطه اربع عشرة سنة ، ألف في هذه الفترة التى قضاها بها كتابه المعروف " الواسطه في معرفة احوال مالطه " - انظر في هذا الصدد شكيب ارسلان : المرجع السابق ، ص ٣٥٨
- (٢) شكيب ارسلان : المرجع السابق ، ص ٣٦٠ .
- (٣) فتحي عثمان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١١ .
- (٤) شكيب ارسلان : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ ، ٣٦٦ - إبراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

فتح جزيرة لنبند وشه وجزيرة نموشه :-

هما جزيرتان تقعان في وسط البحر الابيض المتوسط شرقي تونس. ويوجد بجزيرة لنبند وشه مرسى جيد وأمين ، أما جزيرة نموشه فلا يوجد بها مثل هذا المرسى ، وهما قليلتا الزرع والحيوان . (١)

أما من جهة تاريخ خضوعهما للسيادة الإسلامية الأغلبية فالراجح أنهما خضعتا لهذه السيادة خلال عمليات الفتح لجزيرة صقلية . وكان فتحهما في سنة ١٩٧ هـ / ٨١٢ م في عهد الأمير إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ - ١٩٧ هـ / ٨٠٠ - ٨١٢ م) مؤسس دولة الأغلبه فقد كان بينه وبين حاكم صقلية البيزنطي وهو البطريق قنسطنطين هده لمدة عشر سنوات وقد سبق ان ذكرنا ذلك في حديثنا عن فتح صقلية ، لكن هذه الهدنة لم يطل أمرها فما كان من المسلمين في سنة ١٩٧ هـ / ٨١٢ إلا أن قاموا بالهجوم على بعض الجزر التابعة لصقلية . فأرسل الامبراطور البيزنطي ميخائيل الأول (٨١١ - ٨١٣ م) اسطولا بقيادة جريجورى وساعدته المدن الإيطالية مثل جاتيا وأمالفي ، غير أن المسلمين استطاعوا ان يستولوا على بعض سفن هذا الاسطول قرب جزيرة لنبند وشه ، وقتلوا بحارتها . ومن المرجح انهم استولوا على الجزيرتين في تلك السنة . (٢)

- (١) ابراهيم على طرخان : نفس المرجع السابق ، ص ٦٧ .
(٢) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

محاولات فتح جزيرة سردينيا :-

هي جزيرة في بحر المغرب كبيرة وليس هناك بعد الأندلس وصقلية وأقريطش أكبر منها . (١) وهي كثيرة الجبال قليلة المياه ، كبيرة المساحة إذ يبلغ طولها مائتين وثلاثين ميلا وعرضها من الغرب الى الشرق مائة وثمانين ميلا ، وفيها ثلاث مدن هي الفيصنه (القيطنه) وهي مدينه عامره ، ومدينه قالمره ، وهي رأس المجاز إلى جزيرة قرشقه والثالثه تسمى قشتاله . (٢)

وتقع الجزيرة في النصف الغربي من البحر المتوسط بين شبه جزيرة ايبيريا وشبه جزيرة ايطاليا من جهه ، وبين سواحل المغرب الاسلامي وساحل فرنسا الجنوبي من جهة ثانية . (٣)

لكن الجزيرة ليس بها موانئ كثيرة ، وذلك لعدم تعرج سواحلها ، ومن أجل ذلك قلت صلاحية شواطئها الشماليه والشرقيه للملاحه ، كما اضطر سكان هذه الشواطئ ، وبسبب كثرة المستنقعات بها الى الالتجاء الى المرتفعات الداخلية . هذا بعكس شواطئها الغربيه والجنوبيه فقد كانت صالحه للملاحه ، مما جعلها هدفا للمسلمين من ناحية الجنوب ومن ناحية الاندلس . (٤)

-
- (١) ياقوت : المرجع السابق ، م ٣ ، ص ٢٠٩
(٢) الحميري : المرجع السابق ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي ، ص ١٢٢ .
(٤) ابراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

أما من حيث تاريخها القديم فقد احتلها الرومان واتخذوها
منفى ، وفي عام ٤٧٦ م سيطر عليها الوندال ، ثم جاء بعد هم البيزنطيون
عندما استرد جستنيان بعض الجزر التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية .
وبقيت جزيرة سردانية بيد البيزنطيين حتى القرن الرابع الهجري / العاشر
الميلادي ، وكانت تعتبر في التنظيم الإداري البيزنطي تابعة لبند صقلية .^(١)

وقد توالى الغزو الاسلامي لجزيرة سردانية لضمها لأسلاك
المسلمين كغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط . وكان أول غزوة لها
في عهد موسى بن نصير سنة ٩٢هـ / ٧١٠ م ، ثم تكررت بعد ذلك
الحملة عليها في عهد ولاية المغرب من قبل خلفاء بني أمية وبني العباس
فكانت غزوة ١١٧هـ / ٧٣٥ م ، وغزوة ١٣٥هـ / ٧٥٢ م ^(٢) .

ثم جاء الأغلب ليكملوا مسيرة الجهاد في البحر الأبيض المتوسط
وقد ذكر لنا ارشيبالد لويس غزوتين قام بهما الأغلب لهذه الجزيرة ، ومن
المرجح انهما كانتا في عهد أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب
(١٩٦ - ٢٠١ هـ / ٨١١ - ٨١٦ م) في عامي ١٩٧هـ / ٨١٢ م و ١٩٨هـ /
٨١٣ م) ولكنهما فشلتا وفي الغزوة الأخيرة خسر المسلمون مائة سفينة
اغرقتها لهم العواصف قرب الجزيرة . ^(٣)

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٧٤ ، ٧٥
(٢) عن هذه الغزوات انظر الفصل الأول ، ص ٥٧٤ ، ٥٥٢ ، ٤٦
(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

وقد ظلت جزيرة سردانية آمنة من الغزو الإسلامي حتى سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م ، وفي هذه الأثناء قام البيزنطيون بتعمير الجزيرة والعمل على تحصينها . فلما كانت امارة زيادة الله بن الأغلب على إفريقية (٢٠١ - ٢٢٣ هـ / ٨١٦ - ٨٣٧ م) اهتم بالبحرية الإسلامية الأغلبية وبالجهاد البحري في البحر الأبيض المتوسط . فخرجت سرية من سرايا الاسطول الأغلبى وغزت سردانية سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م ، فغنموا من أهلها غنائم كثيرة . (١) وأدى هذا النصر الى تشجيعهم المعاوذة غزوها مرة أخرى ، ففي سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م توجه القائد محمد بن عبد الله التميمي لغزوها ولكنه لم يستطع فتحها . (٢) ثم تكررت بعد ذلك الغزوات عليها ولكن هذه الغزوات لم تستطع السيطرة عليها وفرض السيادة الإسلامية بها حتى كان فتحها في سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ - ١٠١٥ م على يد مجاهد العامري صاحب دانية والجزر الشرقية . (٣) ورغم ذلك لم يمتد فتح المسلمين لها طويلا فقد خرجوا منها سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م . (٤)

ويرجع عدم نجاح الأغلب في فتح جزيرة سردانية الى عدم ملائمة مناخ الجزيرة لهم ، فضلا عن شدة مقاومة أهلها للغزوات الإسلامية ،

-
- (١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .
- (٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٧ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ - شكيب ارسلان : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ (يذكر انها كانت في سنة ٢٠٧ هـ) - ابراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص ٧٥ .
- (٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ١٢٣ . ابراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص ٧٧ .
- (٤) ابراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

بفضل المساعدات التي تلقوها من قبل الفرنجه ، والبابويه ، والجمهوريات
الاطاليه البحرية وعلى رأسها جنوه وبيزا . ومن أجل ذلك لم تتأثر
سردانيه كغيرها من البلاد التي فتحها المسلمون ، سواء من حيث اعتناق
اهلها للقسيده الاسلاميه أو تأثرهم بالحضارة الاسلاميه . (١)

.. ..

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٧٦ .

الفصل الرابع

النشاط النجاري لبحرية الأغالبة في حوض البحر الأبيض المتوسط

١- زوال السيادة البيزنطية على البحر
الأبيض المتوسط.

٢- بحرية الأغالبة تلعب الدور الرئيسي في
الحركة النجارية البحرية بين شرق البحر
الأبيض المتوسط وغربه.

١- زوال السيادة البحرية البيزنطية على البحر الأبيض المتوسط:

يعتبر قيام دولة الأغالبه في سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م بداية عصر جديد في تاريخ البحر الأبيض المتوسط وهو العصر الذي سيطرت فيه البحرية الإسلامية على ذلك البحر.

ولكن قبل أن نذكر متى وكيف بدأت هذه السيطرة علينا أن نتعرف أولاً على القوة البحرية التي كانت تفرض سيادتها على هذا البحر قبل المسلمين الأ وهي القوة البحرية البيزنطية. هذه السيادة البحرية البيزنطية على البحر الأبيض المتوسط هي التي فرضت على معظم الدول الإسلامية المطلّة عليه مواضع عواصمها: فعاصمة مصر في القسطنطينية، وعاصمة أفريقية في القيروان، وعاصمة الأندلس في فاس، وقرطبة عاصمة الأندلس.

وقد اشتركت هذه العواصم في صفة واحدة هي بعدها عن البحر لتكون في مأمن من مفاجاته. وفي ختام القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي كانت لا تزال هيمنة البحرية البيزنطية على البحر الأبيض المتوسط لا تزال قائمة. (١)

فقد تحكمت البحرية البيزنطية في المضائق البحرية في البحر الأبيض المتوسط، هذا بجانب هيمنتها على النشاط التجاري وفرضها نوعاً من الرقابة

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ١٦٢.

التجارية على الشواطئ الإسلامية كذلك حالت البحرية البيزنطية دون قيام مسلمي شمال أفريقية بنشاط تجارى من قواعدهم البحرية في تونســــــــــــــــس، وذلك بواسطة أساطيلهم الموجودة في صقلية وقوصره والتي كانت تهدد دائما المدن والموانئ الأغلبية على ساحل البحر الأبيض المتوسط. (١)

أما فيما يتعلق بالعلاقات التجارية بين البيزنطيين ومسلمي شمال أفريقيا فمعلوماتنا ضئيلة جداً في هذا الموضوع. ومع ذلك فتوجد بعض الحقائق التي تؤكد وجود تعامل تجارى عن طريق صقلية خلال السنوات الأخيرة من القرن الثاني الهجرى / الثامن الميلادى والأولى من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى . (٢)

ومن هذه الحقائق ما جاء من مواد خاصة بالتجاره في اتفاقيه الهدنه التي عقدت بين الأمير الأغلبى إبراهيم ابن الأغلب (١٨٤-١٩٧ هـ/ ٨٠٠-٨١٢ م) مؤسس دولة الأغالبه وبين حاكم صقلية البيزنطى البطريق قنسطنطين في سنة ١٨٩ هـ/ ٨٠٤-٨٠٥ م^(٣)، وكذلك اتفاقيه الهدنه التي كانت بين الأمير الأغلبى ابو العباس عبد الله وبين جريجورى القائد البيزنطى بصقلية في سنة ١٩٨ هـ/ ٨١٣ م. فقد كان يتقرر فى هذه الاتفاقيات تأمين سلامة التجار من الجانبين (٤).

-
- (١) محمود اسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص ٢٢٩.
(٢) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ١٧٦.
(٣) انظر قبل، الفصل الثالث، الفقرة الثانية (فتح جزيرة صقلية) ص ١٤٠-١٤١.
(٤) انظر قبل، الفصل الثالث، الفقرة الثانية (فتح جزيرة صقلية) ص ١٤٠-١٤١.

ومن هذه الإتفاقيات يتضح وجود تجار من صقلية في شمال أفريقيا ،
وتجار من مسلمي شمال أفريقية في صقلية ، يستفيدون في عمليات التبادل
التجاري من بنود هذه الإتفاقيات والراجح أن زيت الزيتون كان - كما
كان الحال قبل - أهم ما كان يصدره المغرب مقابل حصوله على بضائع
الشرق التي يتجر فيها البيزنطيون .^(١)

وكانت الاندلس تشد عن هذه الرقابة البحرية البيزنطية على
تجارة البحر الأبيض المتوسط ، ويرجع ذلك لأن الأندلس كانت ترتبط
بها بيزنطة بعلاقات الصداقة منذ عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط
٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢١ ، ٨٢٢ - ٨٥٢ م^(٢) .

-
- (١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق ، ص ١٧٦ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٧٦ - ١٧٧) اما بالنسبة لعلاقات
الصداقة بين الأندلس وبيزنطة ، ففي سنة ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ - ٨٤٠ م
وفد على قرطبة سفير من قبل قيصر القسطنطينية الامبراطور تيوفيلوس
(٢١٤ - ٢٢٨ هـ / ٨٢٩ - ٨٤٢ م) ، يدعى قرطبيوس ، ومعه
كتاب وهدية فخمة . فاستقبله الأمير عبد الرحمن بحفاوة ، وقدر
الأمير عبد الرحمن على سفارة تيوفيلوس بمثلها ، وأوفد كاتبه
وصديقه الشاعر يحيى الغزال الى القسطنطينية ومعه يحيى
بن حبيب المعروف (بالمنقله) انظر ابن حيان القرطبي :
المقتبس من ابناء اهل الأندلس ، ص ٢٥٢ - محمد عبد الله عنان ،
دولة الاسلام في الاندلس ، القسم الأول ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ -
حسين مؤنس : المرجع السابق ، ٢٩٢ .

وكان من المشكوك فيه استمرار وجود رقابة بيزنطية على شواطئ شمال أفريقيا فيما بين سوسة وقابس وبين مصر وسورية ، إذ كان من الصعب على بيزنطة - ان لم يكن من المستحيل - أن تغلق تماماً جميع طرق التجارة البحرية من قواعدها في كريت وصقلية وقبرص ومالطة وقوصرة في وجه العلاقات التجارية البحرية بين المغرب ومصر وسورية . (١)

كذلك حدث في فترة الرقابة التي فرضتها بيزنطة على تجارة البحر الأبيض المتوسط أن بعض الموانئ الإيطالية التي كانت تخضع اسماً فقط لهذه الرقابة أن خالفت هذا النظام . وقد جاءت البندقية في مقدمة هذه الموانئ ، إذ كانت تتمتع بحكم ذاتي تحت السيادة البيزنطية . ومنذ سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٢ م كان لها بحرية تتكون من ستين إلى ثمانين سفينة ، ووصلت مصالحها التجارية إلى ما وراء الحدود البيزنطية بفضل محافظتها بصفة عامة على رابطة الولاة نحو بيزنطة . لكن بالرغم من القيود التي كانت تفرضها بيزنطه ، فقد نشط التجار البنادقة في تصدير الرقيق والخشب لمدن الشواطئ الإسلامية . وفي عام ١٣١ هـ / ٧٤٨ م اشتروا رقيقاً من روما ذاتها ليجنوا ثمار تلك التجارة الراححة . ومن الراجح أن هذه التجارة هي أصل قدمهم تجاراً في شغور أفريقيا الشمالية (٢)

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

والى جانب البندقيه فقد حملت ايضاً لواء مخالفة نظام الرقابـه
البيزنطى والاعتراض عليه بعض مدن البحر التيراني ، وهى مدن كمبانيا :
أما لغى ، وجاتيا ، ونابلى . ومن المحتمل أن تكون تجارة شمال أفريقيا
وأسبانيا وصلت زمن الكارولنجيين الى روما عن طريق هذه الموانى البحرية
وبالأخص مدينة نابلى ، وذلك لما لديها من رغبة شديدة في الخلاص من
القيود الاقتصادية التى تقوم بفرضها بيزنطة عليهم . (١)

ومع بداية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى بدأ الموقف
يتغير في أفريقيا . هذا الى جانب بداية إهمال بيزنطة شأن قوتها
البحرية وربما يرجع هذا الى أوائل عهد الملكة ايرين (١٨١ - ١٨٧ هـ /
٧٩٧ - ٨٠٢ م) ، وإن لم تظهر آثار هذا الإهمال بصفة واضحة إلا فى
نهاية عهد ها . ثم جاء خليفتها ، نقفور (١٨٧ - ١٩٦ هـ / ٨٠٢ - ٨١١ م)
فوجد البحرية البيزنطية في حالة سيئة للغاية . (٢)

وهكذا في الوقت الذى أخذت فيه البحرية البيزنطية تضعف
أخذت دول البحر الأبيض المتوسط الأخرى تزيد من قوة وتدعيم قوتها
البحرية وهذه الدول هى دولة الأغالبة في أفريقيا ، والأندلس ، وسورية
والامبراطورية الكارولنجية ، الى جانب المدن البحرية الإيطالية .

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٨٠

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

فكانت بداية معرفة أعداء البيزنطة بضعفها بحرياً عندما نجح
مسلمو الأندلس - بعد رحيلهم من الاسكندرية - في النزول بجزيرة
إقريطش (كريت) فسنة ٢١٢هـ / ٨٢٧ م ، ثم استكملوا سيادتهم
على الجزيرة في سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٥ م . وقد دانت جزيرة إقريطش
لمسلمي الأندلس وسيطروا عليها وعلى منطقة بحر إيجة قرابة قرن ونصف .^(١)

وفي الوقت نفسه استطاع الأغالبه بأفريقيه القيام بهجوم على
صقلية أحد مفاتيح البحر الأبيض المتوسط الهامة . وقد نجح الأغالبه
في الاستيلاء على صقلية بسبب ضعف الاسطول البيزنطى .^(٢)

وهكذا انطوت صفحة السيادة البيزنطية البحرية وبدأت صفحته
أخرى من النفوذ الاسلامى - على البحار وأحس المسلمون في أفريقيه
وكريت والأندلس - باعتبارهم حكام البحر المتوسط الجدد - بأنهم

(١) لمزيد من المعلومات عن فتح إقريطش ارجع الى : محمد يوسف
الكندى : الولاة وكتاب القضاة ، من ص ١٥٨ الى ١٨٤ - الحميدى :
المصدر السابق ، ص ٣٠١ - الضبي : المصدر السابق ، ص ٤٠٧ -
البلاذرى : فتوح البلدان ، ق ١ ، ص ٢٧٩ - السيد عبد العزيز
سالم واحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، من ص ٧٥ الى ٨٢ .
(٢) انظر قبل ، الفصل الثالث ، الفقرة الثانية (فتح جزيرة صقلية)
من ص ١٤٠ الى ص ١٤٩

ورثة السيادة البحرية التي تمتعت بها القسطنطينية مدة طويلة في البحر الأبيض المتوسط .

وما لا شك فيه أنه بفضل انتصارات الأغلبه على الأساطيل البيزنطية ، وتجريد البيزنطيين من معاقلهم البحرية في مالطة وقوصرة فضلا عن صقلية قد تداعت سيادة بيزنطة البحرية ، واختفت هيمنتها على مصائر تجارة البحر الأبيض المتوسط . ولم يتم ذلك إلا عن ضعف قوة بيزنطة البحرية وظهور قوة بحرية جديدة هي قوة الأغلبه^(١) ، الى جانب قوة مسلمي كريت البحرية ، ومسلمي الامويين في الاندلس فبالاضافة للجزر التي سيطر عليها الأغلبه فقد سيطر بعض مسلمي الاندلس على جزيرة كريت شرقاً (كما ذكرت سابقاً) وسيطر مسلمو الاندلس على جزر البليار (ميورقه ومنورقه) غرباً . ولم يتبق إلا طريق واحد في يد البيزنطيين وهو الطريق الموصل بين القسطنطينية وبين البندقية ، عبر البحرين الأيوني والادرياني - وذلك لبعده عن خطر القواعد الإسلامية في البر والبحر - ورغم ذلك فإن هذا الطريق لم تستطع البحرية البيزنطية استعماله قرابة الثلاثين عاماً لوجود قواعد إسلامية في بارى وطارنت ، الى أن تم القضاء على هذه القواعد بعد عام ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م .

وهكذا سيطر المسلمون على مداخل البحار الضيقة بواسطة ما سيطروا عليه من جزر أو قواعد بحرية . فمثلاً سدت كريت مدخل بحرايجه ،

(١) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

وسدت صقلية ومونت جاريليانو بجنوب ايطاليا مدخل البحر التيراني، وسدت
جزر البليار وفراكسينت خليج ليونز. ورغم ذلك فقد حافظت بعض الشسىء
بيزنطة على سيطرتها على مضيق مسينا الذى يصل بين شرق البحر الأبيض
المتوسط وغربه حتى عام ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م. إلا أنها لم تكن سيطرة تامة
بسبب تعاون نابلى وجاتيا وأمالفى مع القوى البحرية الاسلامية تعاوناً
تأكدت صلاته أكثر من مرة. وهكذا يصح القول أن المسلمين في كريست
وأفريقيه والأندلس صاروا ان ذاك سادة البحر الأبيض المتوسط ومالكسى
زمام طرق التجارة الدولية فيه. (١)

.. ..

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

٢- بحرية الأغالبه تلعب الدور الرئيسى في الحركة التجارية البحرية بين
شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه :

وكانت لسيطرة المسلمين البحرية على البحر الأبيض المتوسط آثار
عظيمة على الحياة الاقتصادية والتجارية في كل الاقاليم الإسلامية المطلّة
على البحر الأبيض المتوسط.

وكان أكثر المستفيدين من هذا التحول هم سكان صقلية وسكان
شمال أفريقية بصفة خاصة. وأدت سيطرة المسلمين على البحر الأبيض المتوسط
وبخاصة على الطريق البحرى التجارى الذى يصل بين المغرب وسورية ومصر
عن طريق صقلية وكريت وقبرص إلى زيادة أهمية الدور الذى قام به المغاربة
كوسطاء في تجارة ذلك البحر^(١) كما أدت سيطرة المسلمين على الطريق
البحرى التجارى السالف الذكر الذى يربط بين المغرب وسورية ومصر إلى
حماية وتأمين الطريق البحرى التجارى الذى كان يربط بين الاسكندرية
وموانيء المغرب حتى سبته^(٢). فقد كانت سفن المغاربة تغلق من الاسكندرية
وتبحر محاذية لساحل المغرب وترسو في الموانيء المغربية التى تمر بها

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ٢٥٢

(٢) سبته : هى بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود

مرسى على البحر، بينها وبين فاس عشرة أيام . (ياقوت: المصدر

السابق، م ٣ ، ص ١٨٢ - ١٨٣)

(١) وأهمها طبرق ، ودرنه ، وطمينه ، وأجدابية ، وسرت ، وطرابلس ، وقابس ،
حتى تصل آخر المطاف الى سبته (٦) .

-
- (١) طبرق : وتسمى ايضا طبرقه وهى مدينة بالمغرب من ناحية البر البربرى على شاطئ البحر قرب باجه ، وهى عامره لورود التجار اليها ، وفيها نهر كبير تدخله السفن الكبار وتخرج في بحر طبرقه . (ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ، ص ١٦) .
- (٢) درنه : موضع بالمغرب قرب انطابلس ، وهى من عمل باجه بينها وبين طبرقه (ياقوت : المصدر السابق ، م ٢ ، ص ٤٥٢) .
- (٣) طلمينه : وتسمى ايضا طلمينا وهى فرضه مشهوره تبعد عن الاسكندرية نحو مسافة شهر ، ومنها تحمل المراكب الشعير والعسل الي غيرها ، وبها قصر يسكنه يهود وهذا القصر على هيئة برج كبير ، ترسى المراكب قبالة فيقوم التجار العرب بمبايعتهم البضائع عن طريق المقياضه . (أبو الفداء : تقويم البلدان : ص ١٤٩ - الدمشقي : المرجع السابق ، ص ٢٣٤) .
- (٤) أجدابية : هى بلدة بين برقه وطرابلس الغرب ، بينها وبين زويله نحو شهر سيرا ، لها مرسى على البحر يعرف بالما دور ، وهى اكثر بلاد المغرب نخلا واجودها تمرا . (ياقوت : المرجع السابق ، م ١ ، ص ١٠٠) .
- (٥) سرت : مدينة على ساحل البحر الرومي بين برقه وطرابلس الغرب لابس بها ، ومن سرت الى طرابلس عشر مراحل والى أجدابية ست مراحل . (لمزيد من المعلومات ارجع الى ياقوت : المرجع السابق ، م ٣ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ - أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٤٩ - الدمشقي : المرجع السابق ، ص ٢٣٤) .
- (٦) البكرى : المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب ، ص ١٤ - ١٥ .

وقد أدى هذا النشاط البحري التجاري من قبل الأغلبية إلى ازدهار أحوال أفريقية الاقتصادية من زراعة وصناعة وتعددين وتجارة هذا إلى جانب ازدهار النهضة العمرانية من منشآت وعمائر لم يخل الأمراء في إقامتها وتزيينها .

فقد غدت تونس في أواخر حكم الأغلبية ، بلداً زراعياً غنياً ، اكتست أقاليمه الجنوبية بأشجار الزيتون والكروم وفاضت سهوله الوسطى بالحبوب الوفيرة . (١) وقد أدخل إليها زراعة بعض النباتات الشرقية مثل القطن وقصب السكر والزعفران وهي تدل على أهمية اتصال شمال أفريقية ببلاد الشرق الأدنى . (٢)

ولم تكن صناعتها أقل انتعاشاً من ثروتها الزراعية . فقد قامت في القيروان صناعة الزجاج والخزف المصنوع بالمينا ، وامتازت أنواعه برقيها وجودتها . وكذلك أصبح النسيج من الصناعات الهامة . فكانت البلاد تنتج الفاخر من السجاد والمنسوجات والاقمشة الرقيقة التي اشتهرت بها ، (٣) وقد تدخلت الحكومه في تونس تدخلاً مباشراً لتنظيم الحياة الاقتصادية والتجارية فأشرفت على الأسعار وعلى مستوى الإنتاج وأحوال الصناعة عن طريق نظام الحسبة . (٤)

-
- (١) عبد الله العروى : تاريخ المغرب ، ص ١٢٣ .
(٢) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .
(٣) عبد الله العروى : المرجع السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .
(٤) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

أما من جهة ازدهار التعدين في أفريقية فقد كان يتمثل بصفه خاصة في مدينة مجانه (Majjanat) على بعد أربعين كيلو متراً في شمال الشمال الشرقي من تيبسه (Tebessa) - وكان يستخرج من مناجمها الحديد والفضة والرصاص والأنتيمون (الكحل) وقد استخدمت هذه الخامات بعد تجهيزها في دور الصناعة الأغلبية وعلى الاخص في دار صناعة سوسه .^(١) وقد ترتب على هذا الانتعاش في مجال الزراعة والصناعة في أفريقية ازدياد في النشاط التجاري .

وبالمثل حدث ذلك في صقلية فقد نشطت الحركة التجارية بها نشاطاً ملحوظاً في ايام حكم الأغالبه بها ، بعد أن كانت قد بلغت درجة كبيرة من التدهور زمن الحكم البيزنطي ، وقد جاء هذا النشاط في الحركة التجارية في صقلية نتيجة لعدة عوامل هي :

أولاً : موقع صقلية الجغرافي الممتاز بين أفريقية وإيطاليا وغرب أوروبا .

ثانياً : حرص الأغالبه على وجود اسطول لهم قوى في مياهها .

(١) ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ - عبد الله العروى : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

يقوم بتأمين سيادتهم عليها وتأمين الاتصال بين إفريقيا والجزيرة فضلا عن استخدامه في مواصلة الجهاد في بقية جزر البحر الأبيض المتوسط وفي جنوب إيطاليا . (١)

ثالثا : ما كانت تتمتع به جزيرة صقلية في هذه الفترة موضوع البحث من وفرة الإنتاج الزراعي بسبب إلغاء أمراء الأغالبه للإقطاعيات الكبيرة ، وتشجيعهم تملك مساحات زراعية صغيرة ، هذا ، إلى جانب إحيائهم للزراعة الصقلية وإمدادها بأساليب ومحاصيل جديدة . (٢)

رابعا : اهتمامهم بالصناعة والعمل على تطويرها . (٣)

وقد ساعد صقلية على القيام بهذا الدور قربها من شمال إفريقيا حيث بينها وبين تونس أربعون ميلا ، وقربها كذلك من إيطاليا ، فبينهما خليج من عشرة أميال . (٤)

وبذلك أصبحت معظم مدن صقلية السا حلية مراكز تجارية هامة خاصة تلك المدن التي اشتهرت بسهولة الإقلاع منها والرسو بها مثل مدينة مسينا التي يقول عنها الإدريسي " بأن السفر منها واليهما قصدا ، وأنها دار الإنشاء وبها الحط

-
- (١) انظر في هذا الصدد حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ١ - ٤ .
(٢) فرانشيسكو غابرييلي : الاسلام في عالم البحر المتوسط ، ص ١١٨ .
(٣) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ٥٠ - ٥١ .
(٤) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ٤ .

والأقلاع، وبها الإرساء من جميع بلاد الروم الساحلية، وبها تجتمع السفن الكبار، والمسافرون والتجار، من بلاد الروم والإسلام والقاصدون إليها من جميع الأقطار، وأسواقها رائعة وسعتها نافعة وقصد لها كثير. (١)

ونتيجة للعوامل السابقة فقد لعبت جزيرة صقلية دوراً كبيراً في النشاط البحري التجاري، وأخذت أساطيلها الإسلامية تجوب عرض البحر الأبيض المتوسط محملة بتجارة كافة البلاد المطله على شواطئها، سواء كانت هذه التجارة قادمة من الشرق أو من الغرب، كما أن موانئ غربي أوروبا استعادت كثيراً من نشاطها التجاري نتيجة الانتعاش البحري التجاري بصقلية. (٢)

وكانت هناك بالمقابل حركة تجارية داخل هذه الجزيرة خاصة بعد أن اهتم المسلمون بالصناعة بها فنشطت بعض الصناعات القائمة على الإنتاج الزراعي مثل صناعة السكر، وصناعة النسيج الكتانية والقطنية والحربية التي فاقت إنتاج مصر والشام من حيث الجودة والرخص^(٣)، وقد نقل المسلمون لصقلية زراعة نبات البربر (أونبات البردي) فقامت عليه صناعة الورق الذي يفي باحتياجات حكام صقلية، وما يتبقى من الإنتاج كان يصنع حبلاً لاستخدامها في السفن. (٤)

-
- (١) الحميري: المصدر السابق، ص ٥٥٩ - حامد زيان غانم : المرجع السابق، ص ٥٠ - ٥١ (وقد نقل الاثنان عن الإدريسي).
(٢) حامد زيان غانم : المرجع السابق، ص ٥١ - ٥٢ .
(٣) نفس المرجع السابق، ص ٤٨ .
(٤) ابن حوقل : المصدر السابق، ص ١١٢ .

وبجانب هذه الصناعات قامت صناعة أخرى هي صناعة دبع الجلود
التي بلغت درجة من الرقي والازدهار بصقلية (١).

وكذلك اهتم المسلمون باستخراج المعادن من أرض صقلية مثل
معدن الفضة والنحاس والنوشادر (٢) والكبريت والذهب . ومن الجدير
 بالذكر أن الذهب يوجد بجبل كبير بصقلية وكان يطلق على هذا الجبل
 اسم جبل الذهب وكذلك وجد بصقلية معدن الحديد والرصاص (٣) وأقام
 المسلمون على هذه المعادن صناعات راقية رفيعة الجودة .

وقد أدى هذا الازدهار الإقتصادي داخل صقلية إلى انتعاش
 التجارة البحرية في البحر الأبيض المتوسط ، وترتب على ذلك تنويع السلعة
 التجارية الواردة على السفن الصقلية ، فمن الشرق حملت السفن التوابل
 والمنتجات الشرقية الفاخرة وبالمقابل تعود محملة من صقلية بمنتجاتها
 المختلفة من أقمشة (كتانية أو حريرية) أو منتجات زراعية مثل الجوز واللوز
 والفستق والبندق والميعه السائل (وهي ميعه طيبة تعتبر من أعظم الأدوية)
 كذلك كانت السفن الصقلية تحمل منتجات فنية مختلفة وتحفا خشبية وعاجية
 ومعدنية وأواني خزفية وزجاجية آتية بها من مصر والشام لتسوقها في
 أوروبا ، وبذلك نشطت تجارة غرب أوروبا وازدهر اقتصادها . (٤)

-
- (١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ .
(٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .
(٣) ياقوت : المصدر السابق ، م ٣ ، ص ٤١٨ .
(٤) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ٥٢ .

ونشطت كذلك الحركة التجارية داخل جزيرة صقلية فأزدحمّت أسواقها التجارية الداخلية بالبضائع والتجار ، وكان يوجد في صقلية سوق خاصة لكل طائفة ، فكان يوجد ^{سوق} للصيارفة وآخر للصيادين وثالث للحدادين ، وكذلك للزياتين ، والدقاقين ، والطرازين والقصابين — والسماكين والخبازين ، والعطارين ، والدباغين ، والجزارين ، والأساكفة والريحانيين والنجارين والقطائريين والحلاجيين والحذائين ، وباعة البقل والقمح والفاكهة ، وغيرهم . (١) وقد وجد بمعظم مدن صقلية فنادق ينزل بها التجار الأجانب . (٢)

ونرجع مرة ثانية لمدينة القيروان أعظم المراكز التجارية أهمية في ذلك الوقت ، فقد كان يصدر منها زيت الزيتون الذي كان يجمع من مناطق طرابلس والساحل التونسي ثم يصدر إلى الإسكندرية والى صقلية وإيطاليا . (٣) وكذلك كانت تجارة الرقيق من أنشط التجارات في هذه الفترة ، سواء تجارة الرقيق الأبيض الذي كان يجلب من بلاد الترك بآسيا الوسطى ومن بلاد الصقالبة أى من أوروبا الوسطى والشرقية ، أو تجارة الرقيق الأسود الذي كان يجلب من مناطق مختلفة من القارة الأفريقية مثل بلاد النوبة والحبشه وسواحل إفريقيا الشرقية

-
- (١) ابن حوقل : المرجع السابق ، ص ١١٤ .
(٢) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ٥٣ (نقلا عن الإدريسي)
(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ .

وبلاد السودان . (١)

وكان يشارك القيرواني في هذا الازدهار الاقتصادي كثير من مدن أفريقيا مثل تونس التي كانت تعتبر مركزاً تجارياً هاماً أيضاً، وكذلك قصة وبجاية والاريس وطبنة .^(٢)^(٣)

ولم تقل أهمية مدينة قابس الواقعة عند نهاية احد الطرق الصحراوية عن المدن السابقة ولا عن سفاقس وسوسة . فقد كانت سفاقس مركزاً هاماً لصيد السمك وزيت الزيتون ، كما كانت سوسة سوقاً لزيوت الزيتون أيضاً وكانت دار صناعة رئيسيه وثيقة الصلة بصقلية . (٤)

وتأتى تجارة الذهب في المركز الثاني من حيث الأهمية في التجارة العالمية في البحر الأبيض المتوسط بعد تجارة الرقيق . فقد تدفق ذهب السودان عبر أفريقيا الى المشرق الإسلامي وإلى منطقة البحر الأبيض المتوسط . (٥)

وعموماً فإن أهم السلع التي كانت ترد في قائمة التبادل التجاري بين المغرب ومراكز التجارة العالمية المتصلة به هي الخشب والتمور-

-
- (١) الحبيب الجنحاني : المغرب الاسلامي (الحياة الاقتصادية والاجتماعية) ، ص ٢٩ .
- (٢) قصة : هي بلدة صغيرة في طرف إفريقيا من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد بينها وبين القيروان ثلاثة ايام . (ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ، ص ٣٨٢) .
- (٣) طبنة : بلدة في طرف إفريقيا مما يلي المغرب على ضفة الزاب ليس بين القيروان الى سجلماسه مدينه اكبر منها . (ياقوت : المصدر السابق ، م ٤ ، ص ٢١) .
- (٤) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٢ ، ص ٤٩٨ .
- (٥) الحبيب الجنحاني : المرجع السابق ، ص ٣١ - ٣٢ .

زيت الزيتون - الحبوب - القطن - الملح - ا للحوم - العسل - الزبدة
السكر - الخزف - العنبر - المرجان - العطور - الصوف - ا لمنسوجات -
الورق - النحاس المصنوع - الخرز - الشمع - الحديد - الفرو - الجلود^(١) .

ومما لا شك فيه أن ذلك النشاط التجاري الخارجى كان يقابله
نشاط تجارى داخلى انعكس في أهمية أسواق القيروان وتعددها
والنشاط المستمر بها الذى كان له شأن كبير على أسعار أسواق المدن
الأخرى مثل العباسية ورقاده^(٢) ، التى كانت تتخذ القيروان نموذجاً
من حيث التنظيم وتطبيق قواعد حسبه^(٣) .

وقد كانت أسواق القيروان تسمى باسم اختصاصها التجارى أو كان
البعض منها ينسب الى أسماء أشخاص، أو فئة اجتماعية معينة مثل " سوق
اسماعيل " ، وتاجر الله ، وسوق هشام ، وسوق اليهود الرهادنة^(٤) .
أما بقية الاسواق المنسوبة الى البضاعة، أو المهنة فهي : السوق الكبير -
وربما المقصود به سماء القيروان الشهير - وسوق السراجين ، والبزازيين -
وسوق الضرب ، وسوق الجزارين ، وسوق النحاسين ، وسوق الزجاجيين ،

-
- (١) الحبيب الجناحاني : المرجع السابق ، ص ٢٤ .
(٢) العباسية : مدينه بناها إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقيه قرب
القيروان ، نسبها الى بنى العباس . (ياقوت : المصدر السابق ،
م ٤ ، ص ٧٥)
(٣) الحبيب الجناحاني : المرجع السابق ، ص ٥٢ .
(٤) عن اليهود الرهادنة انظر فيما بعد .

وسوق القطانين ، وسوق الغزل ، وسوق الخرازين ، وسوق الدجاج ،
وسوق الأحد ، وحوانيت الكتانين ، وحوانيت الرفائين ، وحوانيت
الفحامين ، وحوانيت الصرافين . (١)
وهكذا نرى أن النشاط التجاري الخارجى كان مرتبطاً ارتباطاً
وثيقاً بالنشاط التجارى الداخلى ، وهذا أدى الى تطورهما معاً . ونعنى
بذلك حركة النقل التجارى البحرى وحركة النقل التجارى البرى لأن
القيروان كانت نقطة لقاء بين المغرب والمشرق وبين التجارة البحرى
في البحر الأبيض المتوسط وقوافل التجارة البرية الصحراوية . (٢)

وبذلك عظمت ثروة أفريقية في عهد دولة الأغالبة نتيجة لهذا
الازدهار الاقتصادي الذي تمثل في نشاط الحركة التجارية الداخلية
والخارجية .

وقد لعبت العملة الذهبية التي سكها الأغالبة دوراً كبيراً في هذا
الازدهار الاقتصادي الذي شهدته دولة الأغالبة . فقد أسس الأغالبة
دار ضرب في مدينة القيروان كانت تضرب بها الدينار والدرهم
الأغلبية . (٣)

وقد عثر على عملات أغلبية موجودة في المتاحف المختلفة وهي
من اللغائير الذهبية ذات الجودة العالية وذلك لحرص أمراء بني الأغلب

(١) البكرى : المرجع السابق ، ص ٢٧ . (يقول وعمرت بالأسواق والحمامات
والفنادق) - الحبيب الجنايني : المرجع السابق ، ص ٦٧ - ٦٨ .
(٢) الحبيب الجنايني : المرجع السابق ، ص ٦١
(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٧٥ - ارشيبالد لويس : المرجع السابق ،
ص ٢٦١ .

على قوة عملتهم وجودة سبيكتها ، فحافظ الدينار الذهبي على سلامة وزنه (٤٢٠ جرام) . (١)

وموجز القول أن القوة البحرية للأغلبة في البحر الأبيض المتوسط لعبت دوراً هاماً في انعاش الحركة التجارية البحرية بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه ، فقد أصبحت الركيزة الأساسية في هذا النشاط البحري بعد أن ورثت في هذا الصدد دور البحرية البيزنطية التجارية بعد فتح الأغلبة لجزيرة صقلية وغيرها من جزر وسط وغرب البحر الأبيض المتوسط فضلاً عن الموانيء الهامة في جنوب إيطاليا (٢) . فلم تعقد السفن البيزنطية - منذ مطلع القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي - تقوم بما كانت تقوم به من دور أساسي في ميدان التجارة البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط . (٣) وأما بالنسبة للحركة البحرية التجارية مع غرب أوروبا فقد لعبت بحرية المدن الإيطالية الناشئة كالبنديقية ونابلي وأما لفي وجاتيا وسالرنودور الوساطة التجارية عن طريق البحر الإسلامية للأغلبة في حركة التبادل التجاري بين الشرق والغرب . (٤)

-
- (١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ - الحبيب الجناحاني : المرجع السابق ، ص ٧٥ - ٧٦ (بجانب الدينانير الذهبية سك الأغلبة نصف الدينار وثلاث الدينار لتيسير التعامل النقدي ، كما سكوا دينانير خاصة نقشت عليها كلمة " للخليفة " لأنها كانت مخصصة للمبلغ الذي كان يرسله الأغلبة في كل سنة لبيت مال الخلافة العباسية) .
- (٢) محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .
- (٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ وما بعدها .
- (٤) نفس المرجع السابق ، ص ٢٦٧ وما بعدها .

وكان لليهود الرهائن (يهود أسبانيا والمغرب) دور كبير في الحركة التجارية البرية والبحرية بين الشرق والغرب مروراً بالقيروان وبصقلية . فيذكر لنا ابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ) أنهم كانوا يركبون من بلاد فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بالغرما ، ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخاً ، ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى ^{البحر} الحجاز وجدة ، ثم يمضون إلى السند والهند والصين ، فيتحملون من الصين المسك والعود والكافور والدار الصيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا إلى القلزم ، ثم يحملونه إلى الغرما ، ثم يركبون في البحر الغربي . وربما عدلوا بتجارتهم إلى القسطنطينية فباعوها إلى الروم ، وربما صاروا بها إلى ملك الفرنج فيبيعونها هناك . وإن شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بأنطاكية ويسيرون على الأرض ثلاث مراحل إلى الحابية ، ثم يركبون الفرات إلى بغداد ، ثم يركبون في دجلة إلى الأبله ، ومن الأبله إلى عمان والسند والهند والصين ، كل ذلك متصل بعمه ببعض .

أما الطريق البري الذي كان يسلكه تجار اليهود الرهائن فكان يبدأ من الأندلس ويتجه إلى طنجة عبر مضيق جبل طارق مجتازاً المغرب الأقصى والاندلس والوسط مروراً بالقيروان ، المركز الرئيسي لتجارتهم العالمية هذه ، حتى يصل إلى مصر . ومن مصر إما أن يتجه طريقهم إلى بلاد الشام ماراً بالرملة ودمشق ثم إلى العراق ماراً بالكوفة ثم إلى فارس ماراً بالاهواز ثم إلى كرمان والهند والصين ، أو يتجه إلى القلزم عبر البحر الأحمر إلى ^{البحر} الحجاز وجدة كما سبق أن ذكرنا . (١)

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

لشاعة

" الخاتمة "

في خاتمة هذا البحث أتعرض لذكر أهم النتائج التي توصلت إليها بعد دراستي لموضوع البحرية الإسلامية في بلاد المغرب فـي دولة الأغالبة ١٨٤ - ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ - ٩٠٨ م .

فمما توصلت إليه في الفصل الأول معرفة الأسباب التي دفعت المغاربة المسلمين لإنشاء دار الصناعة في تونس ، سواء كانت أسبابا مباشرة أو غير مباشرة ، كذلك عرفت كيف أنشأوا هذه الدار ، لتكون أول قوة بحرية مغربية إسلامية في افريقيه .

وقد أتضح لي مدى نشاط هذه الدار البحرية في عصر الـولة للدفاع عن شواطئ افريقيه من أية غارة بيزنطيه الى جانب قيام المسلمين بالجهاد في جزر البحر الأبيض المتوسط في حوضيه الأوسط والغربي . ولكن للأسف لم يستمر هذا النشاط بسبب الفتن والثورات التي اشتعلت في افريقيه بين البربر الخوارج الصفريه والأباضيه ، مما شغل الولة عن الخروج للجهاد واقتصار دور البحرية في الدفاع عن شواطئ افريقيه الى جانب الأربطه التي وجدت في هذه الفتره من تاريخ افريقيه .

أما الفصل الثاني فقد اتضح لي فيه مدى اهتمام الأغالبة بالبحرية - وقد حاولت في هذا الفصل أن أجمع معلومات تعطينا صورة مكتملة بعض الشيء عن بحرية الأغالبة - وقد عرفت من هـذا الفصل كيف تعدد دور الصناعة وذلك لتوفر مواد الصناعة التي كانت متوفرة في دولة الأغالبة سواء في افريقية أو في جزيرة صقليه ،

أو في بقية الجزر التابعة للأغالبة . وقد اتضح لى سبب اهتمام الأغالبة ببناء دور الصناعة في املاكهم ، وجلب المواد اللازمة لها وذلك لاحساسهم بالخطر البيزنطى بعد نقض الهدنتيين اللتين كانتا بين امراء الأغالبة وبين القادة الروم في صقلية .

كذلك اتضح لى مثال آخر لمدى اهتمام الأغالبة بالبحرية وذلك بتأمين شواطئ بلادهم ، بأن أقاموا التحصينات على طول الشواطئ الافريقية للدفاع عنها . وقد كان امراء الأغالبة مولعين بحب البناء والتشييد .

وقد ساعد الأغالبة على تكوين هذه القوة البحرية القوية كثرة القواعد البحرية والمراسي على طول شواطئهم مما جعلها قوة يخشاها أعداؤها ويحسبون لها الف حساب .

وقد اتضح لى في هذا الفصل أيضا مدى قوة البحرية الأغلبية وعدد قطع أسطولها المشترك في كل معركة وذلك حسب النصوص التاريخية المتوفرة . هذا الى جانب تقديم المعلومات الوافية عن هذه القطع من حيث اسمائها ، والنصوص التى تثبت تواجد ها في الأسطول الأغلبى ، ومن حيث وضعها ومعرفة وظيفتها والفائدة منها داخل الأسطول الأغلبى .

ومما اتضح لى في الفصل الثالث أن جهاد المسلمين الأغالبة في البحر الأبيض المتوسط كان ملحمة رائعة ، سواء كان جهادهم هذا لفتح بعض الجزر به كفتح جزيرة قوصره ذلك الفتح الذى اتضح لى انه كان في عهد الأغالبة حسب نص ابن خلدون ورواية ارشالد لويس في حين أن كثيرا من المصادر والكتب التاريخية لا تذكر

اي فتح لها في عهد الأغالبة فهم يقتصرون في ذكر فتحها على
الفتح الأول - الذى اعتبروه نهائيا - في عهد والى افريقيه
عبد الرحمن بن حبيب الفهرى سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م . في حين انها
فتحت ثانيا في عهد زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب سنة
٢٢١ هـ / ٨٣٥ م .

وفي الفقرة الثانية من هذا الفصل اتضح لى كيف تم لمسلمى
الأغالبة فتح جزيرة صقلية التى تعتبر اهم الاحداث التاريخية
في تاريخ البحر الأبيض المتوسط عامة وتاريخ دولة الأغالبة خاصة
في هذه الفترة من تاريخ العصور الوسطى ، وقد استمر فتحها قرابة
القرن .

وعرفت كذلك كيف فتحت كل من جزيرة مالطه وجزيرة ليندوشه
وجزيرة نموشه هذا الى جانب ايضاح محاولات بحرية الأغالبة
لفتح جزيرة سردانية .

كما بلغ نشاط بحرية الأغالبة ان وصلت فتوحاتهم الى جنوب
ايطاليا ، وتهديدهم مدينة روما نفسها عدة مرات ، والتى تعتبر
قلب ايطاليا ، ومقر البابويه ، ومعقل الكنيسة والمسيحية . فقد
قاموا بحصارها وتخريب أرياضها ونهب كنائسها ، وهذا في حد ذاته
يعتبر نصرا كبيرا للمسلمين الأغالبة حتى ولو لم يستطيعوا الاستيلاء
عليها . فهو يدل على ما وصلت اليه البحرية الأغلبية من قوة
وطش . هذا الى جانب ما اتضح لى من انشاء دويلات عربية فى
جنوب ايطاليا بقيت مدة من الزمن تهدد جنوب ايطاليا عامة ومدينة
روما خاصة ولاية لامبوزا ، وبرنديزى ، وبارى ، ومونت جاريلىانو .

ومما اتضح لى في الفصل الرابع أنه على الرغم من ان البحرية البيزنطيه هى التى كانت سائده على البحر الأبيض المتوسط، وأنها كانت كذلك مهيمنة على تجارته البحرية الا انه جاء الوقت الذى ضعفت فيه في حين قويت البحرية الأغلبية الى جانب بحريّة مسلمى كريت وبحرية مسلمى الأندلس ، فأصبح للمسلمين الغلبة على البحر الأبيض المتوسط ، وأصبح للبحرية الأغلبية بصفة خاصة ، والبحرية الإسلامية بصفة عامة دورها الفعال في التجارة بين المشرق والمغرب ، وبذلك اعتبرت البحرية الإسلامية بحق وريثة السيادة البيزنطية البحرية والتجارية في هذا البحر . وقد أسهم هذا الدور التجارى للبحرية الأغلبية في الأزدهار الاقتصادى لدولة الأغلبية .

وبذلك اكون قد أبرزت بهذا البحث - عن بحرية الأغلبية - صورة مشرقة من تاريخ الأمة الإسلامية كانت غير واضحة بالشكل الجدير بها وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك . كما أرجو أن تتحقق للقارئ الكريم هذه الصورة المشرقة التى تحققت على ايد أمراء الأغلبية - بواسطة بحريتهم - للإسلام وللحضارة الإسلامية في جزر الحوض الأوسط والغربي للبحر الأبيض المتوسط وفي جنوب إيطاليا .

والله ولى التوفيق ،،،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قائمة بأسماء

أعراء الأغالبة

امراء بنى الأغلب : (١)

- ١- إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال ، أبو اسحق :
(١٨٤-١٩٦ هـ / ٨٠٠-٨١١ م)
- ٢- أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب :
(١٩٦-٢٠١ هـ / ٨١١-٨١٦ م)
- ٣- زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب :
(٢٠١-٢٢٣ هـ / ٨١٦-٨٣٧ م)
- ٤- الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو عقال (ويلقب بخزر) :
(٢٢٣-٢٢٦ هـ / ٨٣٧-٨٤٠ م)
- ٥- محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو العباس :
(٢٢٦-٢٤٢ هـ / ٨٤٠-٨٥٦ م)
- ٦- أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو إبراهيم :
(٢٤٢-٢٤٩ هـ / ٨٥٦-٨٦٣ م)
- ٧- زيادة الله الثاني بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو محمد :
(٢٤٩ - ٢٥٠ هـ / ٨٦٣-٨٦٤ م)
- ٨- محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو الفرائيق :
(٢٥٠ - ٢٦١ هـ / ٨٦٤ - ٨٧٤ م)
- ٩- إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب :
(٢٦١-٢٨٩ هـ / ٨٧٤-٩٠١ م)

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير، ج٢، ص ٣٧١ .

١٠- عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم
ابن الأغلب .

(٢٨٩ - ٢٩٠ هـ / ٩٠١ - ٩٠٢ م)

١١- زيادة الله الثالث بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد
ابن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو مضر :

(٢٩٠ - ٢٩٦ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨ م)

.. ..

قائمة بأسماء
ولاة صقلية في عهد الأغالبة

ولاية صقلية في عهد الأغلبية : (١)

- ١- اسد بن الغرات :
(٢١٢-٢١٣هـ / ٨٢٧-٨٢٨م)
- ٢- محمد بن ابي الجوارى :
(٢١٣-٢١٤هـ / ٨٢٨-٨٢٩م)
- ٣- زهير بن غوث :
(٢١٤-٢١٦هـ / ٨٢٩-٨٣١م)
- ٤- عثمان بن قره ب :
(تولى في نهاية ٢١٦هـ / ٨٣١م لكنه لم يحظ بموافقة
الامير زيادة الله الأول) .
- ٥- أبو فهر محمد بن عبد الله التميمي :
(٢١٦-٢٢٢هـ / ٨٣١-٨٣٧م)
- ٦- أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله :
(٢٢٢-٢٣٦هـ / ٨٣٧-٨٥١م)
- ٧- العباس بن الفضل :
(٢٣٧-٢٤٧هـ / ٨٥٢-٨٦١م)
- ٨- احمد بن يعقوب :
(من جمادى الاخره ٢٤٧هـ / اغسطس ٨٦١م الى ذى
الحجة من نفس السنه / فبراير ٨٦٢م) .

(١) هذه القائمة مستخرجه من دراستنا في هذه الرسالة عن فتح صقلية
(انظر الفصل الثالث) .

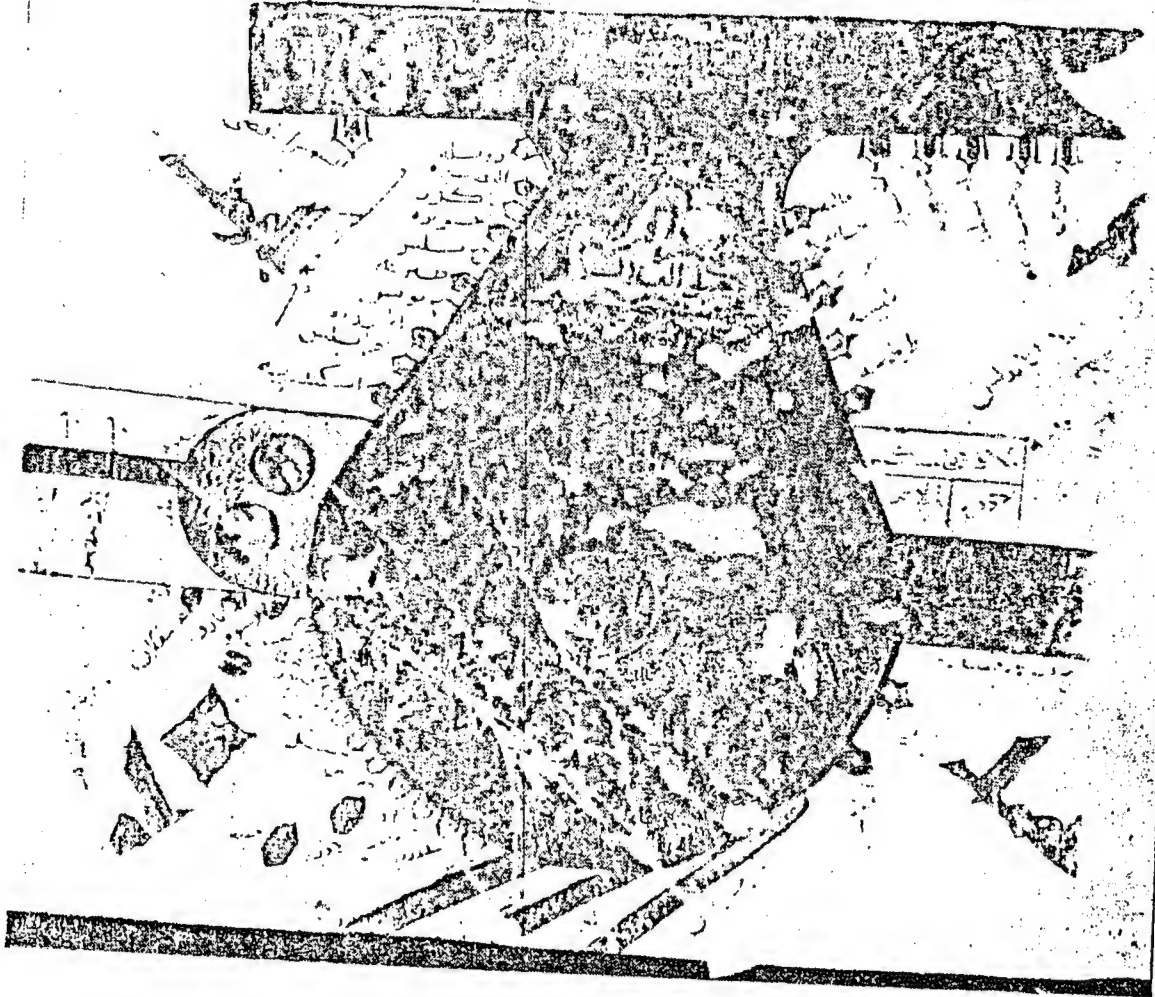
- ٩- عبد الله بن العباس :
(من ذى الحجة ٢٤٧هـ الى جمادى الأولى من سنة
٢٤٨هـ / يولييه ٨٦٢م)
- ١٠- خفاجه بن سفيان :
(٢٤٨ - ٢٥٥هـ / ٨٦٢ - ٨٦٩م)
- ١١- محمد بن خفاجه :
(٢٥٥ - ٢٥٧هـ / ٨٦٩ - ٨٧١م)
- ١٢- رباح بن يعقوب :
(من رجب سنة ٢٥٧هـ الى محرم ٢٥٨هـ / ٢٨ مايو -
٨٧١م - الى نوفمبر - ديسمبر ٨٧١م) .
- ١٣- الحسين بن رباح :
(لم يلبث ان عزل من قبل الامير ابي الفرائق وولى بدلا منه
قريبة عبد الله بن محمد بن عبد الله التميمي) .
- ١٤- عبد الله بن محمد بن عبد الله التميمي :
(شوال ٢٥٩ - ٢٦٤هـ / اغسطس ٨٧٢ - ٨٧٧م)
- ١٥- جعفر بن محمد :
(٢٦٤ - ٢٦٥هـ / ٨٧٧ - ٨٧٨م)
- ١٦- الحسن بن رباح :
(٢٦٥ - ٢٦٧هـ / ٨٧٨ - ٨٨٠م)
- ١٧- الحسن بن العباس :
(٢٦٧ - ٢٦٨هـ / ٨٨٠ - ٨٨١م)
- ١٨- محمد بن الفضل :
(٢٦٨ - ٢٧٠هـ / ٨٨١ - ٨٨٣م)
- ١٩- الحسين بن أحمد :
(٢٧٠ - ٢٧١هـ / ٨٨٣ - ٨٨٤م)

- ٢٠- سواد بن محمد بن خفاجة :
(٢٧١-٢٧٣هـ / ٨٨٤-٨٨٦م)
- ٢١- هبشي : أحمد بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب :
(٢٧٣-٢٨٧هـ / ٨٨٦-٩٠٠م)
- ٢٢- سواد بن محمد بن خفاجة :
(٢٧٦-٢٧٨هـ / ٨٨٩-٨٩١م) وكانت ولايته لصقليه
نيابه عن هبشي
- ٢٣- محمد بن الفضل :
(٢٧٨-٢٨٧هـ / ٨٩١-٩٠٠م) وكانت ولايته ايضا نيابه عن هبشي
- ٢٤- ابو العباس بن إبراهيم بن أحمد :
(٢٨٧-٢٨٨هـ / ٩٠٠-٩٠٠م، ٩٠١م)
- ٢٥- إبراهيم بن أحمد :
(٢٨٩- الى ١٨ من ذي القعدة ٢٨٩هـ / ٩٠١-
٢٥ أكتوبر ٩٠٢م)
- ٢٦- زيادة الله بن ابي العباس :
(من ذي القعدة ٢٨٩- الى ٢٠ جمادى الاخره
من سنة ٢٩٠هـ / ٢٥ أكتوبر ٩٠٢- ٢٢ مايو ٩٠٣م)
- ٢٧- محمد بن السرقوسي :
(٢٩٤-٢٩٥هـ / ٩٠٦-٩٠٧م)
- ٢٨- أحمد بن ابي الحسين بن رباح :
(٢٩٥-٢٩٦هـ / ٩٠٧-٩٠٨م)

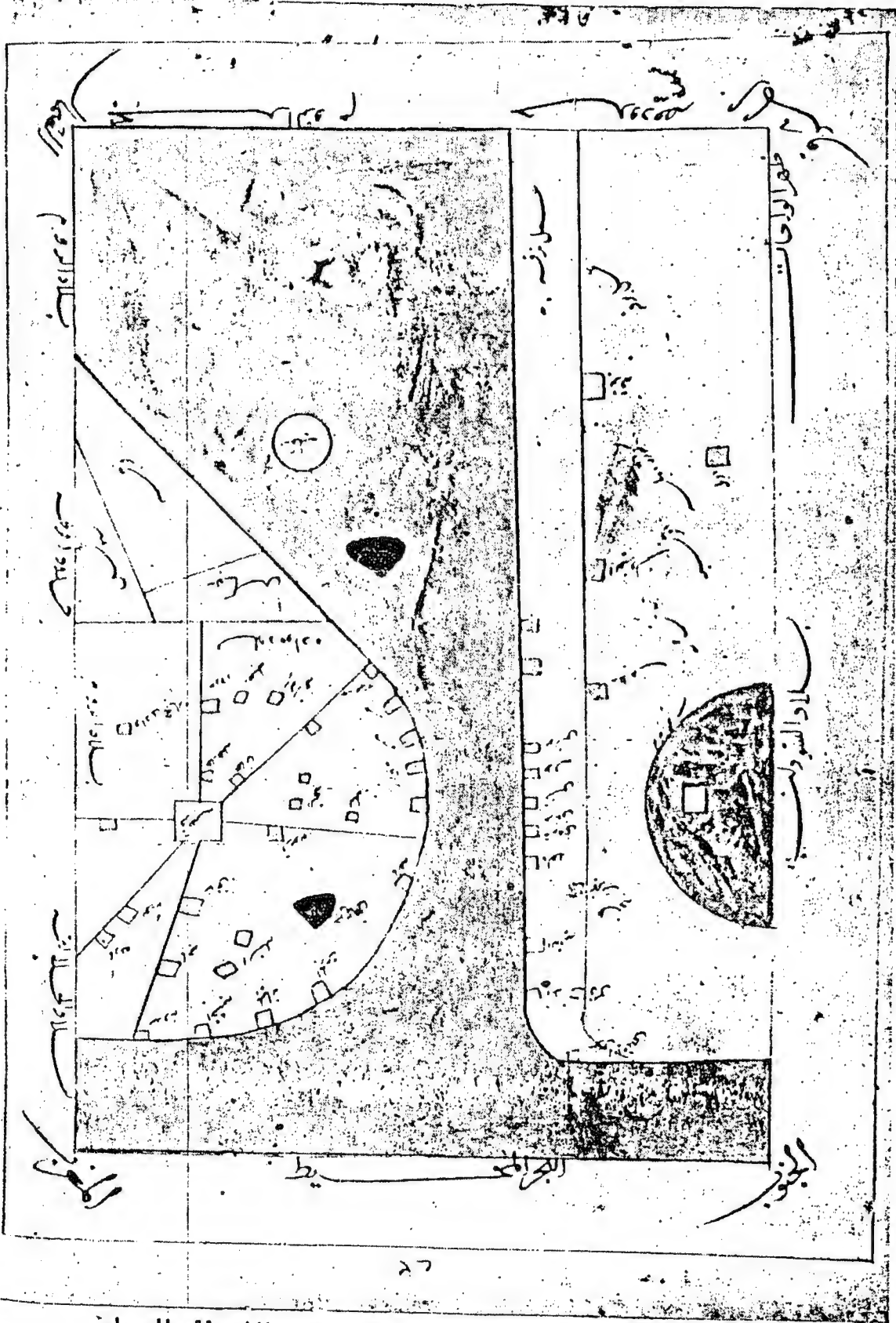
الحزب الناصري

ومما ينبغي ان يذكر في هذا الكتاب
 ان البحر الابيض المتوسط
 انصرف الى البحر المتوسط
 في هذا الوقت

وهذه صورة بحر الروم

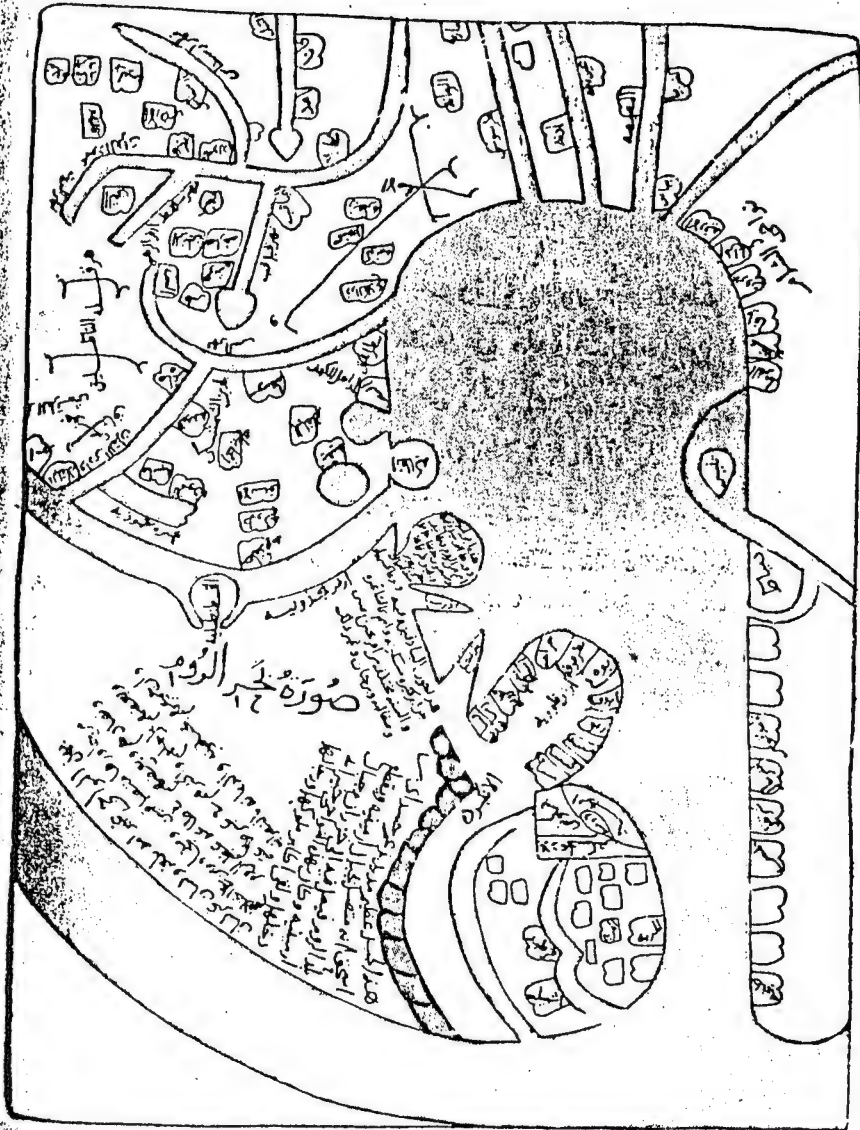


صورة البحر الابيض المتوسط " بحر الروم " كما رسمها
 الاصطخرى في كتابه المسالك والممالك .



صورة بلاد المغرب كما رسمها الاصطخرى في كتابه المسالك والممالك

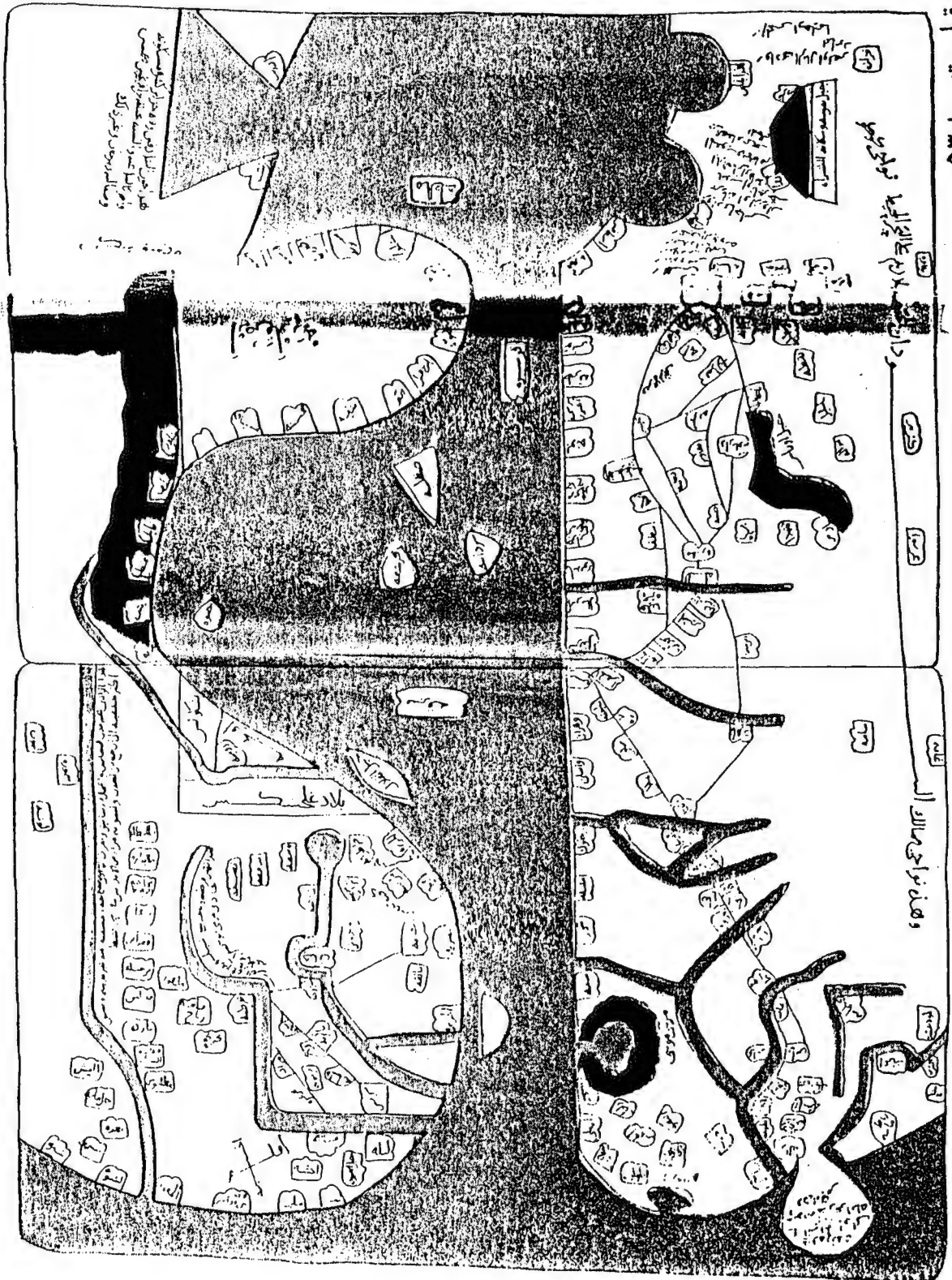
صورة بحر الروم



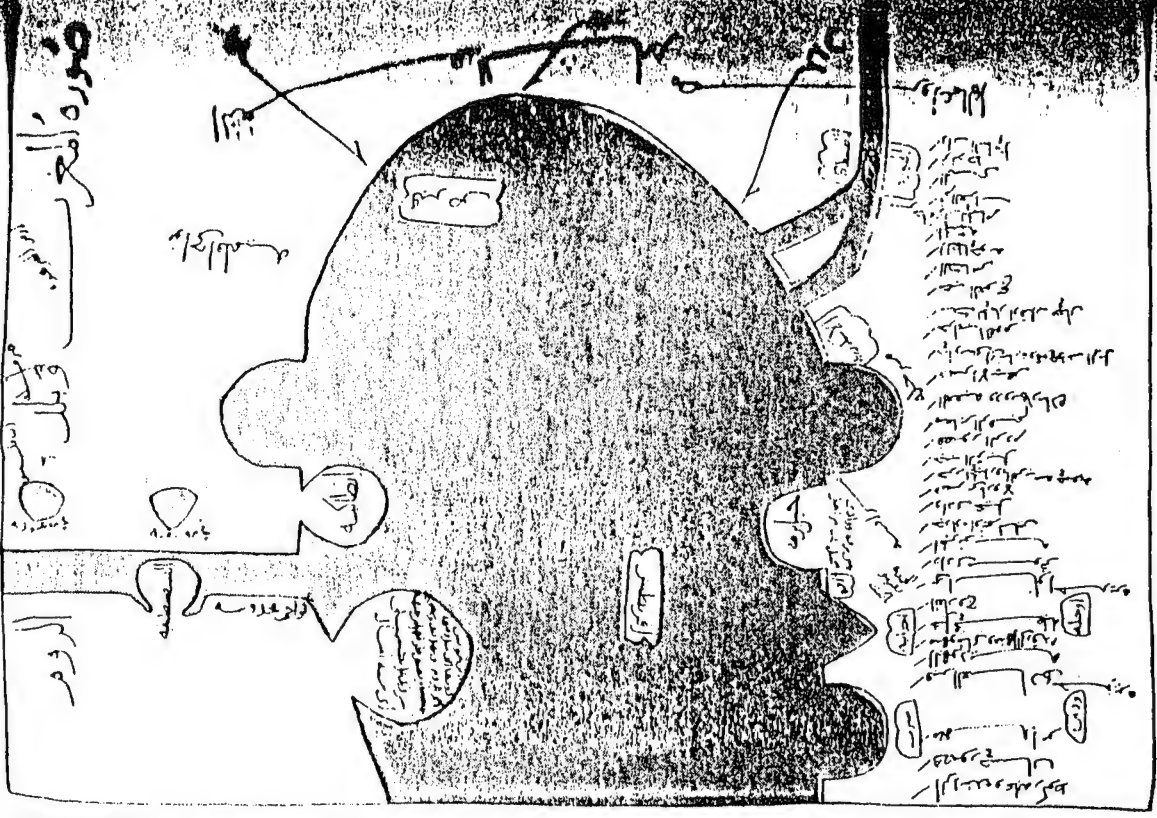
المقر ١ الثالث

عن كتاب صورة الأرض لابن حوقل : ت ٣٨٠ هـ
القرن الثالث

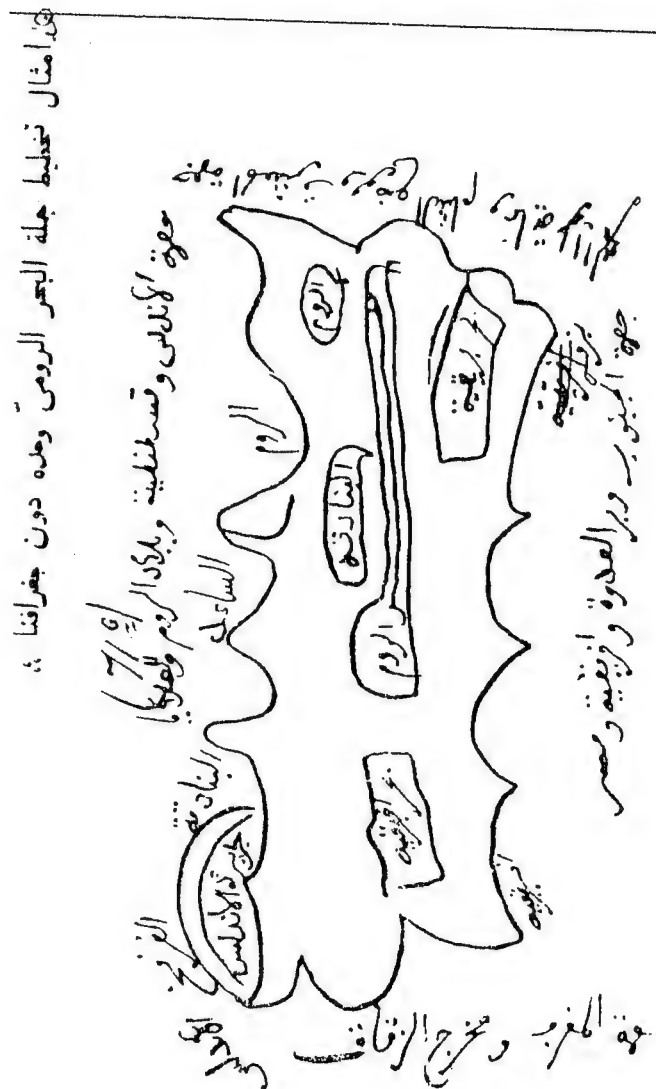
عن كتاب صورة الارض لابن خقول ت ٣٨٠ هـ



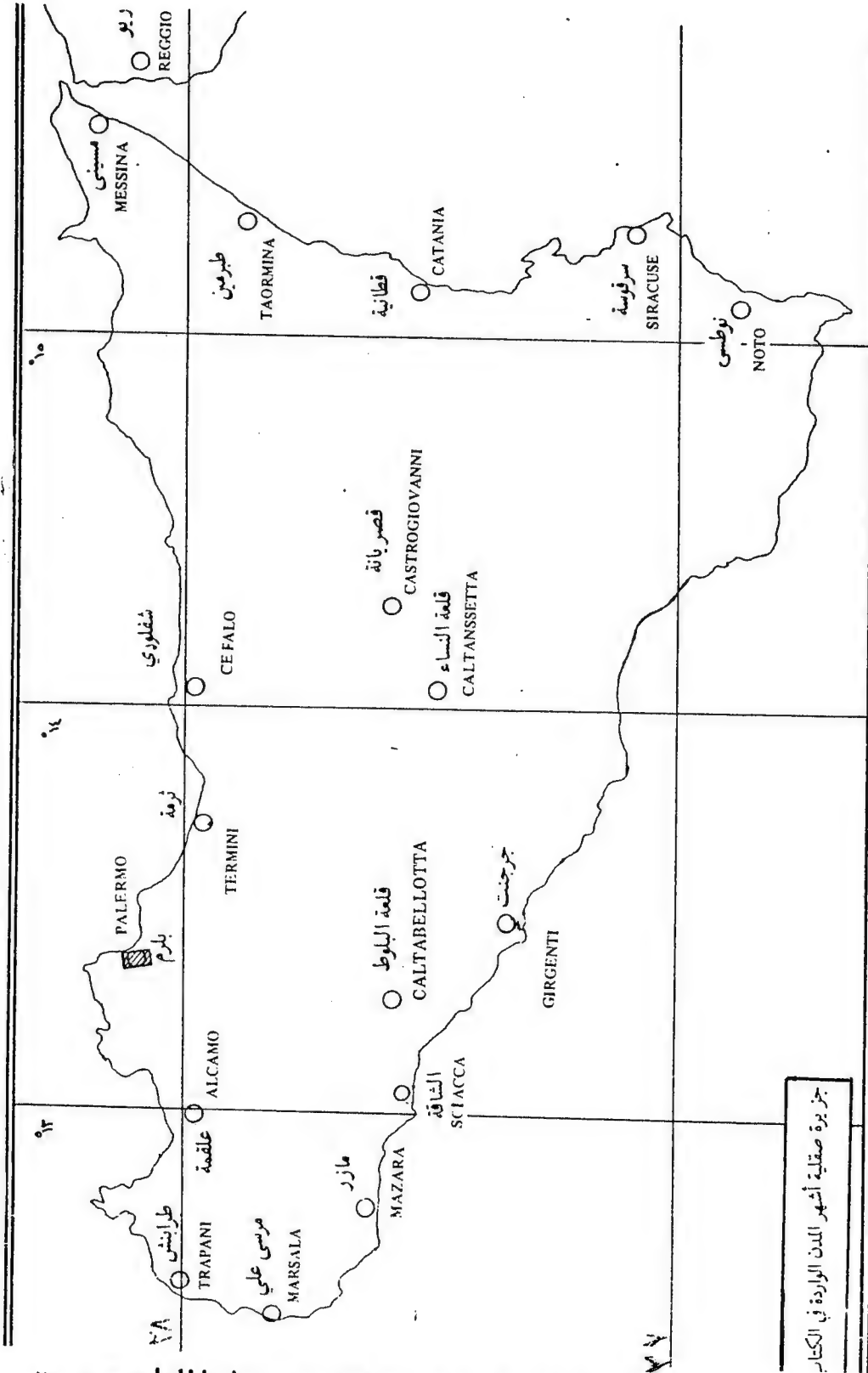
وهذه نواحي بلاد الروم



صورة الارض
قوتل
الروم

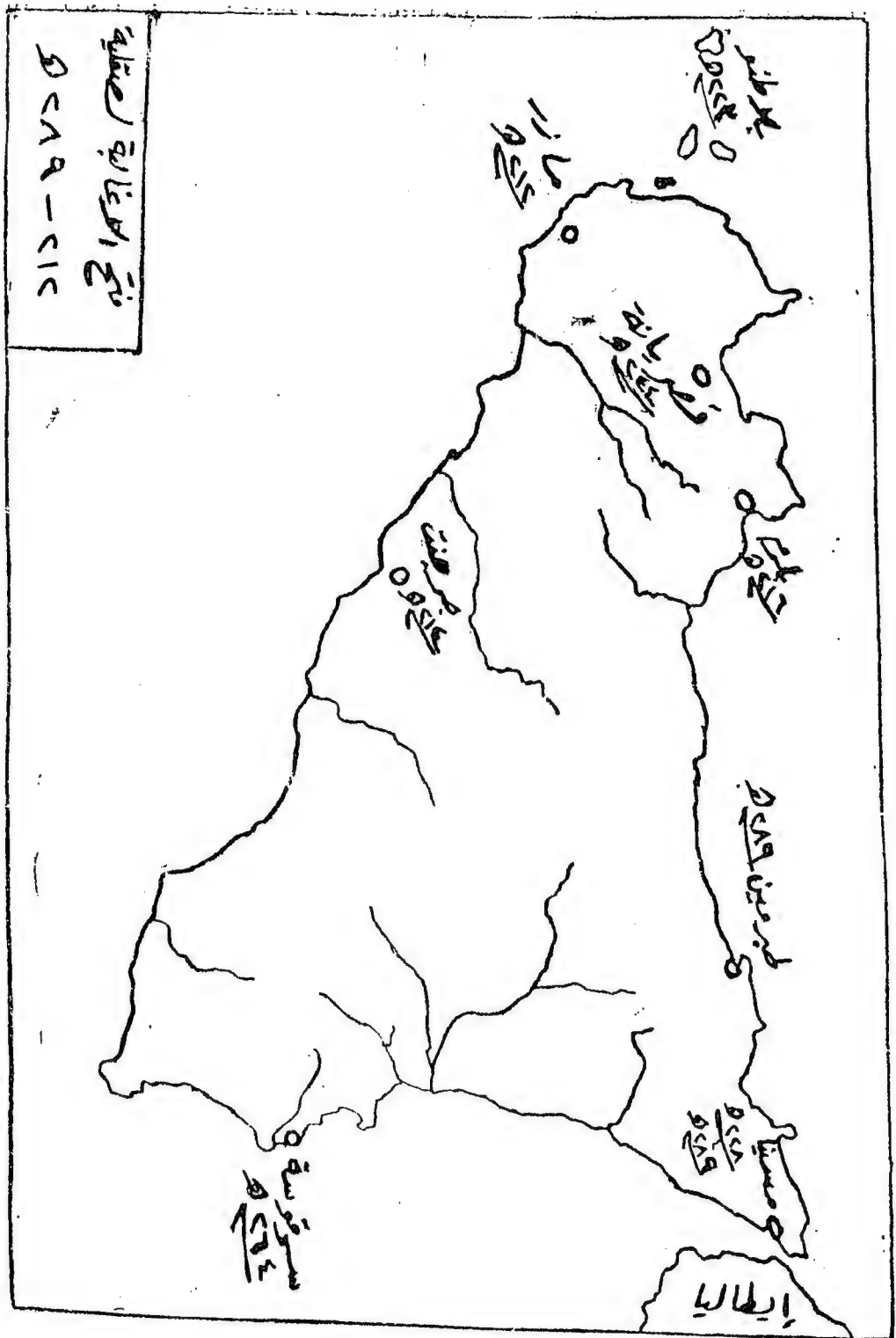


تخطيط للبحر الأبيض المتوسط للمؤرخ "الدمشقي"
(ت ٧٢٧هـ) من كتابه نخبه الدهر في عجائب البر والبحر



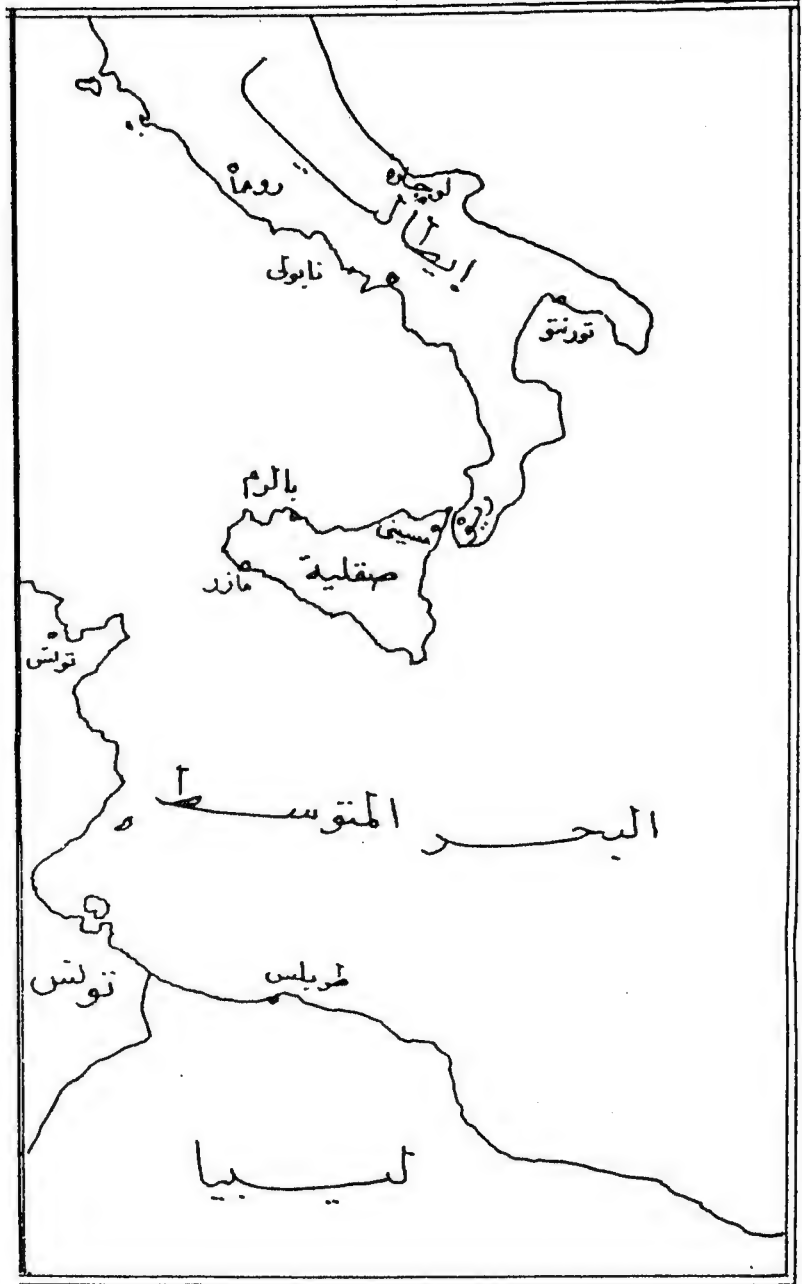
مأخوذة عن بيانات الادريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. وابن عبد النعم الحميري في كتابه الروض المطار.

عن كتاب الحضارة الاسلامية في صقلية وجنوب ايطاليا ص ٢٠١
د . عبد المنعم رسلان



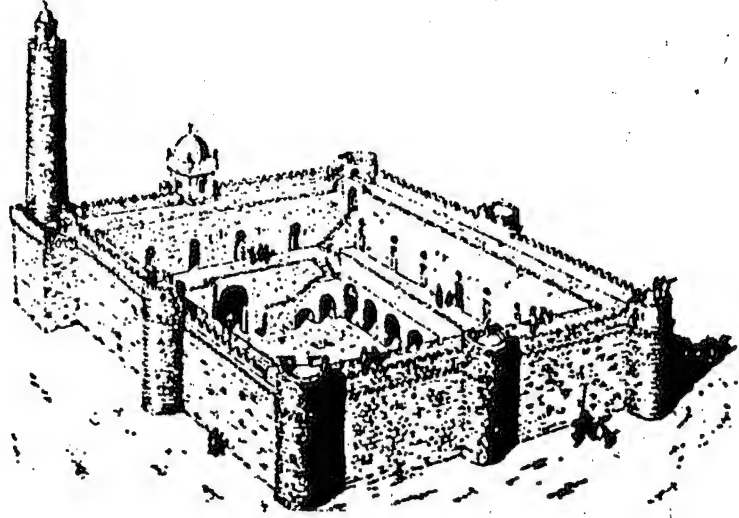
منهج المصنفات لصلية
٢١٢ - ٢٨٩ هـ

عن كتاب الاغالبه وسياستهم الخارجيه
لمحمود اسماعيل عبدالرازق



خريطة لجزيرة صقلية وجنوب إيطاليا.

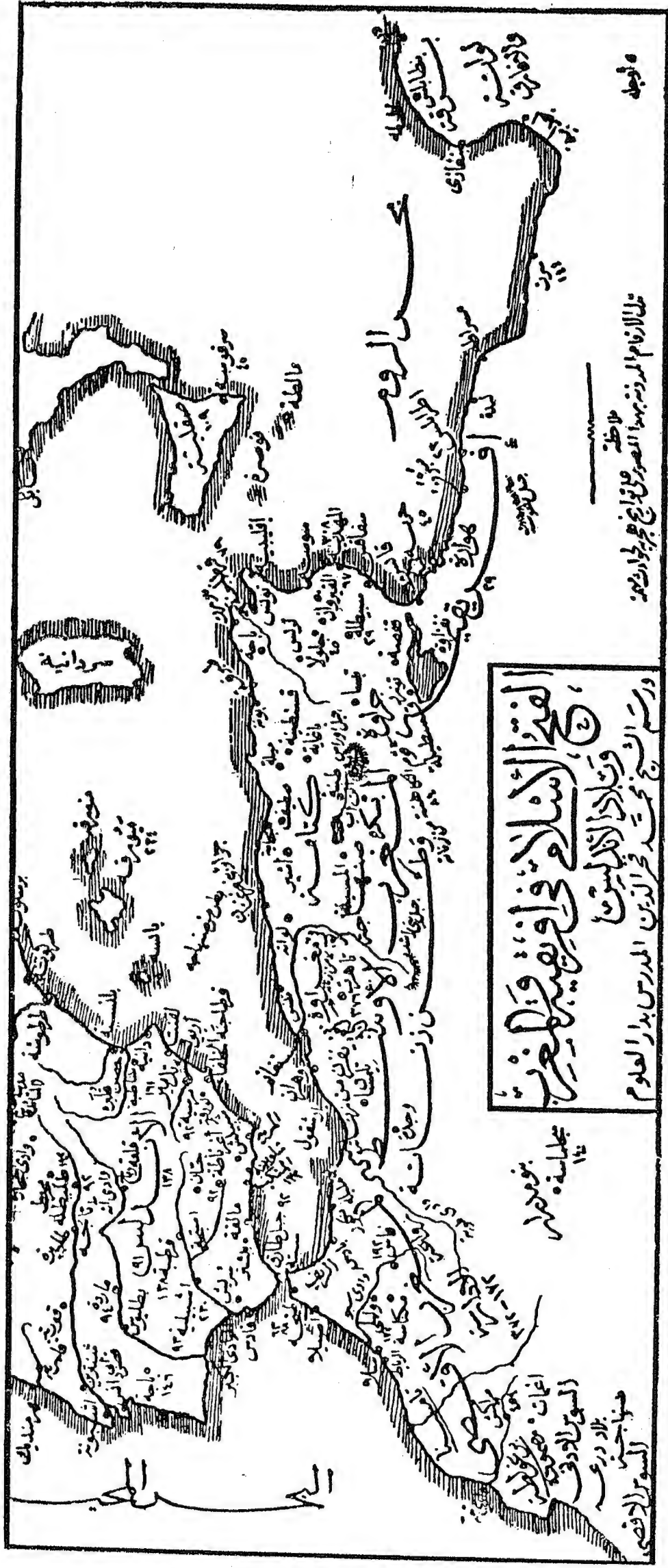
عن كتاب الحضارة الاسلامية في صقلية وجنوب
إيطاليا ص ٢٠ د . عبد المنعم رسلان



رسم ٦ - «رباط صوصة» في تونس

عن كتاب الفن الاسلامي

تأليف ارنست كونل - ترجمة د . احمد موسى



ه لوجه

تلا لالزام المدرزة بهذا الصور على تاريخ جبر جدارهم

ملاحظة

الفتح الاسلامي في ارض بعلبك
وتبلا الاكلمين
درسم الشيخ محمد خرازين المدرس بدار العلوم

من كتاب حركة الفتح الاسلامي في القرون الأولى
شكوى فيحصل

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

١ - المصادر المطبوعة :

- ١- ابن الأثير (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م)
الحله السيرة ، الجزء الأول ، حققه وعلق على حواشيه
حسين مؤنس ، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٣ م ، الناشر
الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة .
- ٢- ابن أبي دينار (ت ١١٠ هـ / ٦٩٨ م)
المؤنس في اختبار افريقيا وتونس ، تحقيق وتعليق محمد
شمام ، الطبعة الثالثة ، تونس ١٣٨٧ هـ
- ٣- ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)
الكامل في التاريخ ، الجزآن الخامس والسادس ، الطبعة
الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، الناشر دار الكتاب
العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٤- ابن جبير (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)
رحلة ابن جبير ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت
١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- ٥- ابن حوقل (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م)
كتاب صورة الأرض ، طبعه ١٩٧٩ م ، منشورات دار مكتبة
الحياة بيروت ، لبنان .
- ٦- ابن حيان القرطبي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م)
المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، حققه وقدم عليه وعلق
عليه محمود عيسى مكي ، مطابع الأهرام التجارية
القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م .
- ٧- ابن خرداذبه (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م)
المسالك والممالك ، مكتبة المثنى - ببغداد .

- ٨- ابن الخطيب (ت ٥٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)
كتاب أعمال الأعلام ، القسم الثالث (تاريخ المفسر
العربي في العصر الوسيط) ، تحقيق وتعليق
احمد مختار العبادي ، ومحمد ابراهيم الكتاسي ،
نشر وتوزيع دار الكتاب - الدار البيضاء ١٩٦٤م .
- ٩- ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)
المقدمة ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م)
دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان
كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام
العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان
الأكبر ، المجلد الرابع ، طبعة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ،
مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .
- ١٠- ابن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)
وفيات الأعيان وانباء الزمان ، حققه احسان عباس ،
في ٧ مجلدات ، دار صادر بيروت - لبنان .
- ١١- ابن عبد الحكم (ت ٥٧٢هـ / ٨٧٠م)
فتوح مصر وأخبارها .
- ١٢- ابن عذاري (من كتاب القرن السابع)
كتاب البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ،
الجزء الأول ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان .
- ١٣- ابن الغقيه مختصر كتاب البلدان طبع فع مدينة ليـــــدن ،
بريل ١٣٠٢ .
- ١٤- ابو العرب تميم (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٤م)
طبقات علماء إفريقيا وتونس ، تقديم وتحقيق علي
الشليبي ونعيم حسن اليافي ، نشر الدار التونسية
للنشر ١٩٦٨م .

- ١٦- ابو الفداء (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
تقويم البلدان ، طبعة باريس دار الطباعة السلطانية
١٨٤٠ م .
- ١٧- المختصر في اخبار البشر ، الجزء الأول ، الطبعة
الاولى ، بالمطبعة الحسينيه المصرية .
- ١٨- ابو الفضل عياض (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م)
تراجم اغلبية (مستخرجه من مدارك القاضي عياض)
تحقيق محمد الطالبي ، طبعة ١٩٦٨ م ، طبع
بالمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية .
- ١٩- الأضطخري (ت في النصف الاول من القرن الرابع الهجرى)
المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبدالعال
الحيني ، طبعة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ، الناشر
دار القلم ، القاهرة .
- ٢٠- البكرى (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)
كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب ، مكتبة
المثنى بغداد .
- ٢١- البلاذرى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)
كتاب فتوح البلدان ، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه
صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية -
القاهرة .
- ٢٢- الحميدى (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)
جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، طبعة
١٩٦٦م الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- ٢٣- الحميدى (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م)
كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، حققه
إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت .
- ٢٤- خليفه بن خياط تاريخ خليفه بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ،
الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، دار القلم ،
دمشق - بيروت - مؤسسة الرسالة بيروت .

- ٢٥- الدباغ (ت ١٢٩٦هـ / ١٢٩٦م)
معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، طبعة
١٩٧٢م ، نشر مكتبة الخانجي بمصر ، والمكتبة
العتيقة بتونس .
- ٢٦- الدمشقي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م)
كتاب نخبة لدهر في عجائب البر والبحر ، مكتبة
المتن بغداد .
- ٢٧- الرقيق القيرواني (من كتاب القرن الخامس الهجري)
تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي
تونس مطبعة الوسط .
- ٢٨- الضبي (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)
بغية الملتص في تاريخ رجال أهل الاندلس ، طبعة
١٩٦٧م ، دار الكتاب العربي
- ٢٩- الكندي (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م)
الولاة وكتاب القضاة ، مطبعة الآباء اليسوعيين ،
بيروت ، ١٩٠٨م .
- ٣٠- المراكشي (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م)
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد
سعيد العريان ، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ /
١٩٦٣م ، القاهرة .
- ٣١- المقدسي (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، الطبعة الثانية ،
طبعة ليدن - بريل ١٩٠٣م .
- ٣٢- المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، حققه احسان
عباس ، المجلد الأول ، دار صادر بيروت ، لبنان
١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

- ٣٣- المقریزی (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)
اتعاط الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ،
الجزء الأول ، تحقيق جمال الدين الشيال ،
القاهرة ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- ٣٤- الناصري السلاوي (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م)
الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ،
الجزء الأول ، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف
جعفر الناصري ومحمد الناصري ، مطبعة
دار الكتاب ، الدار البيضاء .
- ٣٥- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
معجم البلدان ، في خمسة مجلدان ، طبعة
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، دار صدار
للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

ب - المراجع الحديثه :

- ٣٦- ابراهيم احمد العدوي :
الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط ،
نشر مكتبة نهضة مصر ، بالجيزة ، القاهرة .
- ٣٧- الاميون والبيزنطيون ، الطبعة الثانية ،
الدار القومية للطباعة والنشر .
- ٣٨- ابراهيم حركات :
المغرب عبر التاريخ ، الطبعة الأولى ، المجلد
الاول ، طبع ونشر دار السلمي ، الدار
البيضاء ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .

- ٣٩- ابراهيم على طرخان :
المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ،
الناشر مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦ م
- ٤٠- احسان عباس :
العرب في صقلية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥ م ،
دار الثقافة ، بيروت - لبنان .
- ٤١- أحمد شلبي :
موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،
الجزء الرابع ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٥ م ،
مطبعة السنة المحمدية - القاهرة .
- ٤٢- أحمد مختار العبادي :
في تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة
العربية والنشر ، بيروت - لبنان ١٩٧٨ م .
- ٤٣- أحمد توفيق المدني :
المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ،
طبع سيركوز ، ١٣٦٥ هـ .
- ٤٤- حامد زيان غانم :
تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية وأثرها
على أوروبا ، دار الثقافة للطباعة والنشر ،
القاهرة ١٩٧٧ م .
- ٤٥- الحبيب الحنجاني :
المغرب الإسلامي ، الدار التونسية للنشر ،
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، تونس ، الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع ، الجزائر .
- ٤٦- حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف :
العالم الإسلامي في العصر العباسي ، الطبعة
الرابعة ١٩٨٠ م ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

- ٤٧- حسن ابراهيم حسن :
تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى ،
والاجتماعى ، الجزء الاول والثانى ،
الطبعة السابعة ١٩٦٢م ، مكتبة النهضة
المصرية ، القاهرة .
- ٤٨- _____ :
تاريخ الدولة الفاطمية (فى المغرب ، ومصر ،
وسوريه ، وبلاد العرب) ، الطبعة الثانية
١٩٥٨م ، القاهرة .
- ٤٩- حسن حسنى عبد الوهاب :
خلاصة تاريخ تونس ، الدار التونسية للنشر
١٩٧٦م ، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع .
- ٥٠- حسين مؤنس :
معالم تاريخ المغرب والاندلس ، الطبعة
الاولى ١٩٨٠م ، القاهرة ، الناشر دار ومطابع
المستقبل .
- ٥١- درويش النخيلي :
السفن الإسلامية على حروف المعجم ، طبعة
١٩٧٤م ، مطابع الاهرام التجارية .
- ٥٢- سعاد ماهر :
البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ،
وزارة الثقافة ، دار الكاتب العربى للطباعة
والنشر .
- ٥٣- سعد زغلول عبد الحميد :
تاريخ المغرب العربى ، مطبعة المعارف
القاهرة ، ١٩٦٥م ، الجزء الاول والجزء
الثانى .

- ٥٤- سعيد عبدالفتاح عاشور :
اوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول (التاريخ
السياسى) ، الطبعة الثامنة (١٩٨١ م) ، الناشر
مكتبة الانجلو المصرية .
- ٥٥- السيد عبدالعزيز سالم :
المغرب الكبير (العصر الاسلامى دراسة تاريخية
وعمرانية واثريه) الجزء الثانى ، طبعة (١٩٨١ م) ،
دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت .
- ٥٦-
البحرية المصرية فى العصر الفاطمى ، ضمن
كتاب تاريخ البحرية المصرية ، لنخبة من الاساتذة
المتخصصين بجامعة الاسكندرية - بالتعاون مع
القوات البحرية بجمهورية مصر العربية ، طبعة
١٩٧٣ م ، مطابع الاهرام التجارية .
- ٥٧- السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى :
تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ،
طبعة ١٩٦٩ م ، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر ، بيروت - لبنان .
- ٥٨- شكيب ارسلان :
تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا
وجزائر البحر المتوسط ، منشورات دار مكتبة
الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣ م .
- ٥٩- صابر دياب :
سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر
المتوسط من اوائل القرن الثانى الهجرى
حتى نهاية العصر الفاطمى ، الطبعة
الاولى ، ١٩٧٣ م .

- ٦٠ - عبد الله العروى :
- تاريخ المغرب ومحاولة في التركيب ، ترجمة
ذوقان قرقوط ، الطبعة الاولى يوليو ١٩٧٧ م ،
المؤسسة العربية للدراسات واشتربيروت - لبنان
- ٦١ - عبد المنعم رسلان :
- الحضارة الاسلامية في صقلية وجنوب ايطاليا
الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م ، الناشر
تهامة ، جدة المملكة العربية السعودية .
- ٦٢ - عبد المنعم ماجد :
- العلاقات بين الشرق والغرب في العصور
الوسطى ، طبعة ١٩٦٦ م ، ملتزم الطبع
والنشر مكتبة الجامعة العربية ، بيروت .
- ٦٣ - _____ :
- ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر .
التاريخ السياسى ، الطبعة الثانية ،
الاسكندرية ، ١٩٧٦ م .
- ٦٤ - عبد الوهاب بن منصور :
- قبائل المغرب ، الجزء الأول ، ١٣٨٨ هـ /
١٩٦٨ م ، المطبعة الملكية - الرباط .
- ٦٥ - عثمان الكعاك :
- محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من
القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر
، طبعة ١٩٥٨ م .
- ٦٦ - على حسن الخربوطلي :
- الاسلام في حوض البحر المتوسط ، الطبعة
الاولى ، يناير ١٩٧٠ م ، دار العلم للملايين
بيروت - لبنان .

٦٧- علي محمد فهمي :
البحرية الاسلامية في شرق البحر المتوسط،
ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية ، لنخبــــة
من الاساتذة المتخصصين بجامعة الاسكندرية
بالتعاون مع القوات البحرية بجمهورية مصر
العربية، طبعة ١٩٧٣ م ، مطابع الاهــــرام
التجارية .

٦٨- عمر فروخ :
العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر
الابيض المتوسط، الطبعة الاولى ، بيروت ١٣٧٨ هـ/
١٩٥٩ م ، منشورات المكتب التجارى بيروت .

٦٩- فتحى عثمان :
الحدود الاسلامية للبيزنطية (بين الاهتكاك
الحربي والاتصال الحضارى ، الجزء الاول والثاني
الناشر الدار القومية للطباعة والنشر .

٧٠- محمد جمال الدين سرور :
الدولة الفاطمية في مصر (سياستها الداخلية
ومظاهر الحضارة في عهد ها) ، طبعة ١٩٧٩ م ،
القاهرة .

٧١- محمد عبد الله عثمان :
دولة الاسلام في الاندلس (من الفتح الى بدايــــة
عهد الناصر) العصر الاول - القسم الاول ، الطبعة
الثالثة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م ، الناشر مؤســــسة
الخانجي . القاهرة .

٧٢- _____ :
تراجم اسلامية شرقية اندلسية ، الطبعة
الثانية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ/
١٩٧٠ م

- ٧٣- محمد عبد العزيز مرزوق :
الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس ،
دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .
- ٧٤- محمد عبد الهادي شعيره:
الرباطات الساحلية لليبيه الاسلامية، المؤتمر
التاريخي ١٦-٢٣ مارس ١٩١٨ م (لبيبا
في التاريخ) ص ٢٤٧ .
- ٧٥- محمد علي دبور :
تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الثاني ، الطبعة
الاولى ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م ، مطبعة عيسى
البابني الحلبي وشركاه ، القاهرة .
- ٧٦- محمد كرد علي :
الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الاول والثاني ،
الطبعة الثانية ١٩٥٠ م ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر - القاهرة .
- ٧٧- محمود اسماعيل عبد الرازق :
الآغالبة (١٨٤-١٢٩٦ هـ) سياستهم الخارجية ،
القاهرة ، ١٩٧٢ م .
- ٧٨- محمود شيت خطاب :
قادة فتح المغرب العربي ، الجزء الاول ، الطبعة
الاولى ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦ م ، دار الفتوح
للطباعة والنشر ، بيروت .

ج - المراجع الحديثة العربية :

٧٩- ارشيبالد لويس :

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ،
ترجمة احمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم
محمد شفيق غريال ، مكتبة النهضة المصرية
القاهرة .

٨٠- ارنست كونسل :

الفن الاسلامي ، ترجمة احمد موسى طبعة ١٩٦٦ م ،
دار صادر بيروت ، لبنان .

٨١- شارل اندرى جوليان :

تاريخ افريقيا الشمالية ، الجزء الاول ، تعريب
محمد مزالي - والبشيرين سلامه ، الطبعة
الثانية ، الدار التونسية للنشر .

٨٢- غوستاف لوبون :

حضارة العرب ، نقله للعربية عادل زعيتر ،
الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٦ م .

٨٣- هـ . سانتال . ب . موسى :

ميلاد العصور الوسطى (٣٩٥ - ٨١٤) ، ترجمة
عبد العزيز توفيق جاويد ، ومراجعة السيد الباز
العرينى ، طبعة ١٩٦٧ م ، الناشر عالم
الكتب .

د - الدوريات :

- ٨٤- حسن حسنى عبد الوهاب :
قصة جزيرة قوصرة العربية ، المجلة التاريخية
المصرية ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ،
اكتوبر ١٩٤٩ م .
- ٨٥- حسين مؤنس :
المسلمون في حوض البحر المتوسط ، المجلة
التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد
الاول ، مايو ١٩٥١ م .
- ٨٦- سيد ناجي :
قاضى القضاء وشيخ الفتيا المجاهد الشهيد أسد
بن الفرات ، مجلة الأمة العدد السابع والعشرون
السنة الثالثة ، ربيع الاول ١٤٠٣ هـ /يناير
١٩٨٣ م .
- ٨٧- فرانثيسكو غابرييلى :
الاسلام في عالم البحر المتوسط ، الفصل الثاني
من كتاب تراث الاسلام بالقسم الاول ، تصنيف
شاخت وبوزورث ، وهو من سلسلة كتب عالم
المعرفة ، رقم ٨ ، صدر في شعبان - رمضان
١٣٩٨ هـ ، اغسطس ١٩٧٨ م .

الفهرست
موسسه
مطالعات

الفصل الأول

١٨ البحرية الإسلامية في بلاد المغرب قبل قيام دولة الأغالبة

١٩ -١ انشاء دار الصناعة في تونس

٣٧ -٢ دور البحرية الإسلامية الناشئة في الدفاع عن شواطئ بلاد المغرب .

الفصل الثاني

٦١ اهتمام الأغالبة بالبحرية

٦٦ -١ توفر المواد اللازمة لصناعة السفن .

٧٣ -٢ تعدد دور الصناعة

٨٠ -٣ التحصينات البحرية الداعية للساحل الافريقي

٩٥ -٤ القواعد البحرية والمراسي

١٠٢ -٥ البحرية الأغلبية

الفصل الثالث

١١١ دور البحرية الإسلامية في عهد الأغالبة

١١٣ -١ فتح جزيرة قوصره

١٢٠ -٢ فتح جزيرة صقلية

٢٤٢ -٣ فتوح الأغالبة بجنوب ايطاليا

٢٧٩ -٤ فتح جزيرة مالطه ، وجزيرة لبند وشه ونموشه ، ومحاولات

٢٨٥ فتح جزيرة سردانية .

الفصل الرابع

٢٨٩ النشاط التجاري لبحرية الاغالبة في حوض البحر الابيض

المتوسط

٢٩٠ -١ زوال السيادة البحرية البيزنطية على البحر الابيض المتوسط

٢٩٨ -٢ بحرية الأغالبة تلعب الدور الرئيسى فى الحركة التجارية

البحرية بين شرق البحر الابيض المتوسط وغربه .

الصفحة

الموضوع

٣١١	الخاتمة
٣١٥	الملاحق
٣١٥	١- قائمة باسماء امراء الاغالبة
٣١٧	٢- قائمة باسماء ولاة صقلية في عهد الأغالبة .
٣٢٠	٣- الخرائط التوضيحية
٣٣٣	قائمة المصادر والمراجع
٣٤٧	الفهرس

تصويب الأخطاء المطبعية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢	٢١	استخرجت	استخرجت
٤	١٤	لأبيه	لأبين
١٢	٤	كما	لما
٢٠	٦	الرانس	الهرانس
٢٢	هامش ١ - السطر ٥	وهو	وهم
٤٤	١٢	مائه	ماقتي
٥٧	١١	في تونس اتخذه	في تونس إذا اتخذه
٧٧	١٧	وأرض المغرب إذا	وأرض المغرب . إذا
٨٥	هامش ٢	انظر فيما بعد ص ٥٤-٥٦	انظر فيما بعد ص ٩٣-٩٤
٩٦	١٧	على أسس القصير	على رأس القصير
٩٨	١٣	موجه هادي ممتد	موجه هادي عند
١٠٥	٧	محمد بن السند سي	محمد بن السند ي
١١٥	٨	الآخر	آخر
١١٦	٣	الافريقيه	لا فريقيه
١٢٥	١٠	والمسلمين	من المسلمين
١٤٣	هامش ٢ سطر ٢	المرجع السابق	المصدر السابق
١٤٤	هامش ١ سطر ١	“	“
١٥٠	“ “ “ “	“	“
١٥٦	هامش ٣	ص ٣٥	ص ٣٥ هامش (١)
١٦٤	هامش ٢	ص ٢٩٠	ص ٣٩٠
١٧٤	٧	يقيم في بلاد بلرم	يقيم في بلرم
٢٢١	هامش ١ سطر ٥	ابن جبر	ابن جبير
٢٢٦	١	الاحوال	الأحول
٢٢٧	١٣	وتبه	وتبسه
٢٥٥	هامش ١ - سطر ١	ص ٨٨٢	ص ٨٢
٢٦١	هامش ١ - سطر ١	ص -	ص ٢٤٦
٢٦٧	١٢	لجيش	لحث
٢٧٣	السطر الأخير	قرب له	قريب له
٢٨٨	٤	القصيده الاسلاميه	العقيدة الاسلاميه
٢٩٩	هامش ٣-٤-٥	المرجع السابق	المصدر السابق
٣٠٥	٣	سفن	سوف
٣٠٥	هامش ١	المرجع السابق	المصدر السابق